للمؤمنين ولينَ عَريكةِ النصارىٰ وميلَهم إلى الإسلام، وقَرَنَ اليهودَ بالمشركين في العَداوةِ، ونَبَّهَ علىٰ تَقَدُّمِ قَدَمِهم فيها بتقديمِ ذكرِهم، وعَلَّلَ سُهولةَ مأْخذِ النصارىٰ وقربَ مودَّتِهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾ أي: علماءَ وعُبَّاداً ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ قومٌ فيهم تواضعٌ وإخباتٌ ولاكِبرَ فيهم، واليهودُ علىٰ خلافِ ذلك، وفيه دلالةٌ علىٰ أنَّ العلمَ يَهدي إلى الخيرِ وَيَنْفَعُ في أَبوابِ البِرِّ، وكذلك التألُّهُ والتفكُّرُ في أمرِ[1] الآخرةِ والبراءَةُ من الكِبرِ، ثمَّ وَصَفَهم برِقَّةِ القلوبِ والبكاءِ عندَ استماعِ القرآنِ، وذلك نحوُ ماحُكِيَ عن النجاشي أنّه قالَ لجعفرِ بنِ أَبي طالبٍ حينَ اجْتَمَعَ في مجلسِه المهاجِرون إلى الحبشةِ وعمرُو بنُ العاصِ[2] مع من معه من المشركين وهم يُغْرونَه عليهم: هَلْ فِي كِتابِكُمْ ذكرُ مَرْيَمَ؟ فقال جعفرٌ: فيه سورةٌ تُنْسَبُ إليها، وقَرَأَها إلىٰ قولِه: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3] وقَرَأَ سورةَ طٰه إلىٰ قولِه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[4] فَبَكَى النجاشي[5]، وكذلك فَعَلَ قومُه الّذين وَفَدُوا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وهم سبعون رجلاً حين قَرَأَ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ سورةَ يٰسٓ فبَكَوا[6]. واللامُ في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَتَعَلَّقُ بـ﴿عَدَٰوَةً﴾ و ﴿مَّوَدَّةً﴾، ووصفُ

---

(١) في بعض النسخ: أُمور.

(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أحد عظماء العرب ودهاتهم، وأُولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشدّاء على الاسلام، أسلم في هدنة الحديبيّة، ولّاه النبي ﷺ إمْرة جيش ذات السلاسل، ثم استعمله علىٰ عمان، ولمّا كانت الفتنة بين أميرالمؤمنين عليه السلام ومعاوية كان مع معاوية حتّىٰ ولّاه معاوية علىٰ مصر سنة ٣٨ هـ، وأطلق له خراجها ستّ سنين فجمع أموالاً طائلة، مات بمصر سنة ٤٣ هـ. (الاستيعاب بهامش الاصابة: ج ٢ ص ٥٠١، الاعلام للزركلي: ج ٥ ص ٧٩).

(٣) مريم: ٣٤. (٤) طه: ٩.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٨.

(٦) أنظر تفسير الطبري: ج ٥ ص ٦ ح ١٢٣٢٨، وتفسير القمي: ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ وفيه: «ثلاثين رجلاً».

اليهودِ بالعَداوةِ والنصارىٰ بالمودَّةِ ووصفُ العَداوةِ بالأَشدِّ والمودَّةِ بالأَقربِ يُؤْذِنُ بتفاوتِ مابينَ الفريقَيْنِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ المرادُ به إنشاءُ[1] الإيمانِ والدخولُ فيه ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ مع أُمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله الَّذين هم شهداءُ علىٰ سائرِ الأُممِ يومَ القيامةِ كما قال تعالىٰ: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2] وإنَّما قالوا ذلك لأَنَّهم وَجَدُوا ذكرَهم في الإنجيلِ كذلكَ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ إنكارٌ واستبعادٌ لانتفاءِ الإيمانِ مع ثبوتِ موجِبِه وهو الطمعُ في أَن يُنْعِمَ اللهُ عليهم بصحبةِ الصالحين، ومحلُّ ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ النصبُ على الحالِ بمعنىٰ: غيرَ مؤْمنين، والواوُ في ﴿وَنَطْمَعُ﴾ واوُ الحالِ، والعاملُ في الأُولىٰ معنى الفعلِ في اللامِ، والمعنىٰ: وأَيُّ شيءٍ حَصَلَ لنا غيرَ مؤمنين، وفي الثانيةِ معنىٰ هذا الفعلِ مقيَّداً بالحالِ الأُولىٰ؛ لأَنَّك لوقلت: مالَنا ونَطمعُ لم يكن كلاماً[3]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿وَنَطْمَعُ﴾ حالاً من ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾[4].

﴿فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ (٨٦)

﴿بِمَا قَالُواْ﴾ أَي: بما تَكَلَّمُوا به عن اعتقادٍ وإخلاصٍ، من قولِكَ: هذا قولُ فلانٍ أَي: مذهبُه واعتقادُه، وذَكَرَ مجرَّدَ القولِ هنا لأَنَّه قد سَبَقَ وصفُهم بما يدلُّ علىٰ معرفتِهم وإخلاصِهم، وهو قولُه: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[5]، والقولُ إذا

---

(١) في نسخة: إفشاء.
(٢) البقرة: ١٤٣.
(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٦٧٠.
(٤) وهو اختيار النحاس. راجع إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٧.
(٥) الآية: ٨٣.

اقْتَرَنَ به المعرفةُ فذلكَ الإيمانُ الحقيقيُّ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)

رُوِيَ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذَكَّرَ أصحابَه يوماً ووَصَفَ القيامةَ لهم فبالَغَ في الإنذارِ، فَرَقُّوا، واجْتَمَعَ عَشَرَةٌ في بيتِ عثمان بنِ مظعونٍ[١] واتَّفقوا علىٰ أن يصومُوا النهارَ ويقومُوا الليلَ ولا يناموا على الفُرُشِ ولا يأْكُلُواْ اللحمَ ولا الوَدَكَ[٢] ولا يَقْرَبُوا النساءَ ويَلْبَسُوا المُسوحَ ويَرْفُضُوا الدنيا ويَسيحوا في الأَرضِ، فَبَلَغَ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ لهمْ: «إنِّي لم أُؤْمَرْ بذلك، إنَّ لأَنْفُسِكم عليكم حقّاً، فصُوموا وأَفطِروا، وقُوموا وناموا، فإنِّي أَقومُ وأَنامُ، وأَصومُ وأُفطرُ، وآكُلُ اللحمَ والدسَمَ، وآتِي النساءَ، ومَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي» ونزَلتْ[٣] الآيةُ.

﴿لَا تُحَرِّمُواْ﴾ أَي: لا تَمْنَعوا أَنفسَكم ماطابَ ولَذَّ من الحلالِ، ولا تقولوا: حَرَّمْنا الحلالَ علىٰ أَنفُسِنا تَزَهُّداً ومبالَغَةً منكم في العزمِ علىٰ تركِه ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أَي: لا تَتَعَدَّوْا حدودَ ماأُحِلَّ لكم إلىٰ ماحُرِّمَ عليكم، أَو جُعِلَ تحريمُ الطيِّباتِ اعتداءً فنُهِيَ عن الاعتداءِ ليدخُلَ تحتَه النهيُ عن تحريمِها، أَو أَرادَ: ولا تُسْرِفُوا في تناولِ الطيِّباتِ ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَي: من الوجوهِ الطيِّبةِ الَّتي تُسَمَّىٰ رزقاً، وقولُه: ﴿حَلَـٰلًا﴾ حالٌ من ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تأْكيدٌ للوصيَّةِ بما أَمَرَ به،

---

(١) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي؛ أبو السائب، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وهو أوّل من مات في المدينة سنة اثنتين للهجرة، وأوّل من دُفن بالبقيع. (أُسد الغابة: ج ٣ ص ٣٨٥، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٠٢).

(٢) الودك: دسم اللحم. (الصحاح: مادة ودك).

(٣) انظر تفسير البغوي: ج ٢ ص ٥٩، وأسباب النزول للواحدي: ص ١٦٩.

وقولُه: ﴿أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ استدعاءٌ إلى التقوىٰ بألْطَفِ الوجوهِ.

وتدلُّ الآيتان علىٰ كَراهيَّةِ التفرُّدِ والخروجِ ممَّا عليه الناسُ في التأهُّلِ وطلبِ الولدِ وعمارةِ الأَرضِ.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨٩)

اللغوُ في اليمينِ[١]: هو الساقطُ الَّذي لا يَتَعَلَّقُ به حكمٌ ويَقَعُ من غيرِ قصدٍ، مثلُ قولِ القائِلِ: «لا وَاللهِ» و «بَلى وَاللهِ» ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ أَي: بتعقيدِكم الأَيمانَ وهو توثيقُها بالقصدِ والنيَّةِ، وقُرِئَ: «عَقَدْتُمْ» بالتخفيفِ[٢] و «عاقَدْتُمْ»[٣]، والمعنىٰ: ولكن يُؤَاخِذُكم بنَكثِ ما عَقَّدْتُم فحُذِفَ المضافُ، أَو بما عَقَّدْتم إذا حَنَثْتُم فحُذِفَ وقتُ المؤَاخذَةِ لكونه معلوماً ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ أَي: فكفَّارةُ حِنثِه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ يُعْطَىٰ كلُّ واحدٍ منهم مُدَّيْنِ أَو مُدّاً، والمُدُّ: رَطلان وربعٌ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أَي: من أَقْصَدِه؛ لأَنَّ من الناسِ مَنْ يُسْرِفُ في إطعامِ أَهلِه ومنهم مَن يُقَتِّرُ، وأَفضلُه الخبزُ واللحمُ وأَدْوَنُه الخبزُ والمِلحُ، وعن

(١) في نسخة: الأيمان.

(٢) وهي قراءة عاصم برواية أبي‌بكر وحمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٦٠، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٧.

(٣) قرأه ابن عامر وحده علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ص ١٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٦٠، وابن غلبون في تذكرته: ج ٢ ص ٣٩٠، وابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات: ص ٢٤٧.

الصادقِ عليه السلام أنَّه قرأَ: «أَهاليكم» بسكونِ الياءِ[١] وهو اسمُ جمعٍ لأَهلٍ كالليالي والأَراضي، وأَمَّا تسكينُ الياءِ في حالِ النصبِ فللتخفيفِ كما قالوا: رَأَيْتُ مَعْدِي كَرَبَ تشبيهاً للياءِ بالأَلفِ ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطفٌ على ﴿إِطْعَامُ﴾ والكسوةُ عندنا[٢] ثوبان: مِئْزَرٌ وقَميصٌ، وعند الضرورةِ قميصٌ ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ عبدٍ أَو أَمةٍ، وهذه الثلاثةُ واجبةٌ على التخييرِ[٣] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ إِحْداها ﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعاتٍ، وكذلك هو في قراءَةِ أُبيٍّ وابنِ مسعودٍ[٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ ﴿كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحَنِثْتُمْ، تَرَكَ ذكرَ الحِنثِ لحصولِ العلمِ بأَنَّ الكفَّارةَ إِنَّما تجب بالحِنثِ لابنفسِ الحلفِ ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ فبَرُّوا فيها ولاتَحْنَثوا، وقيل: احفَظوها بأَن تُكفِّروها[٥]، وقيل: احفظوا كيفَ حَلَفْتُم بها ولاتَنْسَوها تَهاوُناً بها[٦] [٧] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثلُ ذلك البيانِ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أَي: أَحكامَ شريعتِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَه فيما يُعَلِّمُكم ويُبَيِّنُه لكم.

---

(١) حكاه عنه عليه السلام القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٢٧٩.

(٢) انظر التبيان: ج ٤ ص ١٣.

(٣) انظر فقه الرضا عليه السلام: ص ٢٧٠، والتبيان: ج ٤ ص ١٤.

(٤) حكاه السمرقندي في تفسيره ج ١ ص ٤٥٦ ونسبه الى أُبيّ، وفي تفسير القرطبي: ج ٦ ص ٢٨٣: قرأها ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة والثوري، وهو أحد قولَيّ الشافعي، واختاره المزني.

(٥) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٦٣.

(٦) قاله النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٨، واختاره الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٥، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٦٢.

(٧) قال البغوي: فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث، هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه، فإنْ حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب فالأفضل أن يحنث نفسه ويُكفِّر. (تفسيره: ج ٢ ص ٦٢).

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: وهذا يدلّ على أنّ اليمين في المعصية منعقدة، وعندنا أنّ اليمين في المعصية غير منعقدة لأنّها لو انعقدت للزم حفظها. راجع تفصيل ذلك في التبيان: ج ٤ ص ١٤ ـ ١٥.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (٩١)

أَكَّدَ سبحانه تحريمَ الخمرِ والميسرِ بوجوهٍ من التأكيدِ: منها: أَنَّه قرَنَهما بعبادةِ الأَنصابِ الَّتي هي الأَصنامُ، ومنه قولُه عليه السلام: «شارِبُ الْخَمْرِ كَعابِدِ الْوَثَنِ»(١)، ومنها: أَنَّه جعَلَهما رِجْساً كما قال: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾(٢)، ومنها: أَنَّه جعَلَهما من عملِ الشيْطانِ، ومنها: أَنَّه أَمَرَ بالاجتنابِ، ومنها: أَنَّه جعَلَ الاجتنابَ من الفلاحِ، والهاءُ في ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ تعود إِلىٰ عملِ الشيطانِ أَو إِلىٰ مضافٍ محذوفٍ كأَنَّه قيل: إِنَّما شأْنُ الخمرِ والميسرِ أَو تعاطي الخمرِ والميسرِ ونحو ذلك، ومنها: أَنَّه ذكَرَ نتائِجَهما من المفاسدِ الَّتي هي وقوعُ التعادي والتباغض بينَ أَصحابِ الخمرِ والقَمرِ(٣) ومايُؤَدِّيان إِليه من الصدِّ ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الَّتي هي عمادُ الدينِ، وقولُه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ نهيٌ بليغٌ، أَي: فهل أَنتم مع ماتُلِيَ عليكم من هذِهِ الصوارفِ مُنْتَهُونَ؟

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)

﴿وَٱحْذَرُواْ﴾ أَي: كونوا حَذِرين خائِفين، أَو واحذَروا ماعليكم في تركِ

(١) المطالب العالية لابن حجر: ج ٢ ح ١٧٧٧، اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٩ ص ١٥٢.
(٢) الحج: ٣٠. (٣) في بعض النسخ: القمار.

طاعةِ اللهِ والرسولِ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ ولم تَعْمَلُوا بما أَمَرْتُكُمْ به ﴿فَاعْلَمُوٓاْ﴾ أَنَّكُمْ لَم[١] تَضُرُّوا الرسولَ بتولِّيكم عمَّا أَدَّاه إليكم؛ لأَنَّ الرسولَ لم يُكَلَّفْ إِلَّا ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وإِنَّما أَضَرَرْتُم أَنفسَكم، وهذا وعيدٌ ﴿لَيْسَ عَلَى﴾ المؤمنين الصالحين ﴿جُنَاحٌ﴾ في أَيِّ شيءٍ طَعِمُوهُ من المطاعِمِ المُسْتَلَذَّةِ ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ ماحُرِّمَ عليهم منها، وثَبَتُوا على الإيمانِ والعملِ الصالحِ وازدادوه ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ أَي: ثمَّ ثَبَتُوا على التقوىٰ والإيمانِ ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ أَي: ثمَّ ثَبَتوا علىٰ اتِّقاءِ المعاصي وأَحسَنوا أَعمالهم، أَو أَحْسَنوا إلى الناسِ يُواسونهم بما رَزَقَهم اللهُ من الطيِّباتِ، وقيل: إِنَّ الاتِّقاءَ الأَوَّلَ هو اتِّقاءُ المعاصي العقليَّةِ الَّتي تختصُّ المكلَّفَ ولاتَتَعدَّاه، والاتِّقاءَ الثانيَ هو اتِّقاءُ المعاصي السمعيَّةِ، والاتِّقاءَ الثالثَ اتِّقاءُ مَظالمِ العبادِ ومايَتَعدَّىٰ إلى الغيرِ من الظلمِ والفَسادِ[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩٤)

نَزَلَتْ[٣] عامَ الحُدَيْبِيَّة، ابتلاهم الله بالصيدِ وهم مُحرِمون وكان قد كَثُرَ عندهم حتَّى أَنـَّه كان يغشاهم في رحالِهم فيَتَمكَّنون من صيدِه أَخذاً بأَيديهم وطعناً برماحِهم ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ أَي: بتحريم بعضِ الصيدِ؛ لأَنـَّه عَنىٰ صيدَ البرِّ خاصَّةً[٤]، وأَنـَّهم ابْتُلُوا بذلك كما ابْتُلِيَ أُمَّةُ موسىٰ عليه السلام بصيدِ البحرِ وهو السمكُ

---

(١) في بعض النسخ: لن.

(٢) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٠. وراجع الأقوال الأُخرى الواردة فيه في اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٣٩ ـ ٤٠. (٣) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٧٧.

(٤) وهي إحدىٰ الأقوال الثلاثة التي ذكرها الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢١ ـ ٢٢ فراجع. وانظر اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٤٠.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ليَتَمَيَّزَ من يخافُ عقابَ الآخرةِ وهو غائبٌ مُنْتَظَرٌ فيتَّقي الصيدَ ممَّن لا يخافُه فيُقدِمُ عليه ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فصادَ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الابتلاءِ فالوعيدُ لاحقٌ به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٩٥) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩٦)

﴿ٱلصَّيْدَ﴾ ما يُصادُ من الوحشِ، أُكِلَ أم لم يُؤكَلْ ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: مُحرِمون بحجٍّ أو عمرةٍ، جمعُ حرامٍ ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ وهو أن يَقْتُلَه وهو ذاكرٌ لإحرامِه، أو عالمٌ بأنَّ ما يَقْتُلُه ممَّا يَحْرُمُ عليه قتلُه، وعن الزهريِّ[١]: نَزَلَ الكتابُ بالعمدِ وجَرَتِ السنَّةُ في الخَطَأ[٢] ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ برفعِ ﴿جَزَآءٌ﴾ و ﴿مِّثْلُ﴾ معناه: فالواجبُ عليه جزاءٌ يُماثِلُ ما قَتَلَ من الصيدِ، وقُرِئَ: «فَجَزاءُ مثلِ ما قَتَلَ» على الإضافةِ[٣]. والأَصلُ فيه: «فجزاءٌ مثلَ ما قَتَلَ» بنصبِ «مثل» ومعناه: فعليه

(١) هو أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيدالله الزُهري، عالم الحجاز والشام، روىٰ عن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن جعفر، وغيرهما، وروىٰ عنه عطاء بن أبي رباح وأبو الزبير وعمر بن عبدالعزيز وعمر بن دينار وصالح بن كيسان وغيرهم، مات سنة ١٢٣ هـ. (تذكرة الحفّاظ: ج ١ ص ١٠٢، تهذيب التهذيب: ج ٩ ص ٤٤٥).

(٢) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٠٨.

(٣) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٧، والتبيان: ج ٤ ص ٢٣.

أن يُجزىٰ مثلَ ماقتَلَ، ثمَّ أُضيفَ المصدرُ إلى المفعولِ به ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ وهي الإبلُ والبقرُ والغَنمُ، ويقال للإبلِ أيضاً: نَعَمٌ وإن انفَرَدَ، وهذه المُماثَلَةُ عند أئمَّةِ الهدىٰ عليهم السلام إنَّما تعتبر في الخلقةِ، ففي النعامةِ بَدَنَةٌ، وفي حمارِ الوحشِ وبقرِ الوحشِ بقرةٌ، وفي الظبي والأرْنَبِ ونحوِهما شاةٌ[1] ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بمثلِ ماقتَلَ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: حَكَمان عدلان من الفقهاءِ يَنظُران إلىٰ أشبهِ الأشياءِ به من النعَمِ فيحكمان به، وقِراءَةُ السيِّدَيْن: الباقرِ والصادقِ عليهما السلام: «ذو عَدْلٍ مِّنْكُم»[2] المرادُ به الإمامُ ﴿هَدْياً﴾ حالٌ من ﴿جَزَآءٌ﴾ لأنَّه تخصَّصَ بالصفةِ فأشْبَهَ المعرفةَ، أو حالٌ من الضميرِ في ﴿بِهِ﴾، أو بدلٌ من محلِّ ﴿مِّثْلُ﴾ إذا جرَرْتَه[3]، و ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وصفٌ له، أي: هدياً يَبْلُغُ الكعبةَ، ومعنىٰ بلوغِهِ الكعبةَ أن يُذْبَحَ بالحَرَمِ، وقالَ أصحابُنا: إذا كان مُحرِماً بالعمرةِ ذَبَحَ أو نَحَرَ بمكَّةَ، وإن كانَ مُحْرِماً بالحجِّ فبمِنىٰ[4] ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ معناه: أو الواجبُ عليه كَفَّارةٌ، وقُرِئَ: «أو كفَّارةُ طعامِ مساكينَ» على الإضافةِ[5] وتقديرُه: أو كفَّارةٌ من طعامِ مساكينَ، كقولِك: «خاتَمُ فضَّةٍ» والمعنىٰ: خاتمٌ من فضَّةٍ، وهو أن يُقَوِّمَ الجزاءَ ويَفُضَّ ثمنَه على الحنطةِ ويَتَصَدَّقَ به علىٰ كلِّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ وعدلُ الشيءِ ماعادَلَه من غيرِ جنسِه، وصِياماً تمييزٌ للعدلِ، و ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الطعامِ وهو أن

(١) انظر الفقه المنسوب للرضا عليه السلام: ص ٢٧٢، والنهاية للشيخ الطوسي: ص ٢٢٢ ومابعدها، والمبسوط: ج ١ ص ٣٣٩، والتبيان: ج ٤ ص ٢٥.

(٢) انظر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٤١، والكشّاف: ج ١ ص ٦٧٩ وفيه: محمّد بن جعفر والظاهر هو وَهمٌ منه.

(٣) راجع تفصيل ذلك في إعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٤٠ ـ ٤١.

(٤) ذهب إليه الشيخ في الخلاف: ج ٢ ص ٣٧٣ مسألة (٢١٦)، والنهاية ونكتها: ج ١ ص ٥٢٩، وابن البرّاج في المهذّب: ج ١ ص ٢٣٠، وأبو الصلاح في الكافي في الفقه: ص ٢٠٠، وسلّار في المراسم: ص ١٢١، وابن إدريس في السرائر: ج ١ ص ٥٩٤.

(٥) قرأه نافع وابن عامر. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٠.

يُصامَ عن كلٍّ نصفِ صاعٍ يوماً.

والخيارُ في هذهِ الكفَّاراتِ الثلاثِ إِلىٰ قاتلِ الصيدِ[١]، وقيل: هي مُرَتَّبَةٌ[٢]، وكلا القولين رواه أَصحابُنا[٣] ﴿لِّيَذُوقَ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿جَزَآءٌ﴾ والمعنىٰ: فالواجبُ عليه أَن يُجازىٰ أَو يُكفِّرَ ليَذوقَ سوءَ عاقبةِ فعلِه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لكم من الصيدِ في حالِ الإِحرامِ يعني الدفعةَ الأُولىٰ، ومن عادَ ثانيةً إِلىٰ قتلِ الصيدِ مُحرِماً ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ تقديرُه: فهو يَنْتَقِمُ اللهُ منه ويعاقِبُه بما صَنَعَ ولاكفَّارةَ عليه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أَي: مَصيداتُه ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ومايُطْعَمُ من صيدِه، والمعنىٰ: أُحِلَّ لكم الانتفاعُ بجميعِ مايُصادُ في البحرِ وأُحِلَّ لكم أَكلُ المأْكولِ منه وهو السمَكُ وحدَه ﴿مَتَٰعاً لَّكُمْ﴾ مفعولٌ له، أَي: تمتيعاً[٤] لكم، والمعنىٰ: وأُحِلَّ لكم طعامُ البحرِ تَمتيعاً[٥] لتَنَّائِكم[٦] تأْكُلونه طَرِيّاً ولسيَّارتِكم يَتَزَوَّدونه قديداً، ص[٧]: «وطعامُه حلٌّ لكم وللسيارةِ».

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰماً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ

(١) وهو ماذهب إليه ابن عبّاس وعطاء والحسن وإبراهيم واختاره الجبّائي علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧، وبه قال الشافعي ومالك كما في الخلاف: ج ٢ ص ٣٩٨، وانظر الأمّ: ج ٢ ص ٢٠٧، والموطأ: ج ١ ص ٣٥٥، والمجموع: ج ٧ ص ٤٣٨، وعمدة القارئ: ج ١٠ ص ١٦١.

(٢) وهو قول ابن عبّاس في رواية أُخرىٰ والشعبي وإبراهيم والسدي علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧.

(٣) ذهب إلى الأول الشيخ في الخلاف: ج ٢ ص ٣٩٧ مسألة (٢٦٠)، والتبيان: ج ٤ ص ٢٥، وذهب الى الثاني العلّامة في مختلف الشيعة: ج ٤ ص ٨٩ وقال: وهو مذهب الشيخ المصنّف في النهاية وابن أبي عقيل وابن بابويه والسيد المرتضىٰ.

(٤) و (٣) في نسخة: تمتّعاً.

(٦) التانئ: أي المقيم، تنأ في المكان إذا أقام فيه. (القاموس المحيط: مادة تنأ).

(٧) كذا في جميع النسخ.

وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَافِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَّاعَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاتَكْتُمُونَ (٩٩) قُل لَّايَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠٠)

﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾[١]، ﴿قِيَٰماً لِّلنَّاسِ﴾ أي: لمعايشِ[٢] الناسِ ومكاسِبِهم ليَستَقيمَ به أُمورُ دينِهم ودنياهم لِما يَتِمُّ به من أمرِ حجِّهم وعمرتِهم وتجارتِهم وأَنواعِ منافعِهم، وجاءَ في الأَثرِ: أَنّه لو تُرِكَ عاماً واحداً لم يُحَجَّ إليه لم يُناظَروا ولم يؤَخَّروا[٣]، ومعناه: يُهلَكوا ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: والشهرِ الَّذي يُؤَدَّىٰ فيه[٤] الحجُّ وهو ذو الحجَّةِ، وقيل: عُنِيَ به جنسُ الأَشْهُرِ الحُرُمِ الأَربعةِ، واحدٌ فردٌ وثلاثةٌ سَرْدٌ[٥]، وهو عطفٌ على ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾ كما تقول: ظَنَنْتُ زيْداً مُنْطَلَقاً وعمراً ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ أي: والمقلَّدَ من الهدي خصوصاً؛ لأَنَّ الثوابَ فيه أَكثرُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ جعلِ الكعبةِ قياماً لِلناسِ ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كلَّ شيءٍ فيَعلَمُ مايُصْلِحُكم ممَّا أَمَرَكم به ﴿مَّاعَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ فيه تهديدٌ وإيذانٌ بأَنَّ الرسولَ قد بَلَّغَ ماوَجَبَ عليه

(١) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣١: وقال أهل اللغة: وانّما قيل: كعبة البيت وأُضيف لأنَّ كعبة تربع اعلاه، والكعوبة: النتوء، فقيل للتربيع: كعبة لنتوء زوايا المربع، ومنه كعب ثدي الجارية إذا نتأ، ومنه كعب الانسان لنتوئه. وسمّيت الكعبة حراماً لتحريم الله ايّاها أن يصاد صيدها أو يخلىٰ خلاءها أو يعضد شجرها.

(٢) في نسخة: لمعاش.

(٣) قاله عطاء بن أبي رباح. راجع الكشّاف: ج ١ ص ٦٨١.

(٤) في نسخة: به.

(٥) قاله الحسن علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣١.

تبليغه وقامت عليكم الحجّةُ فلا عذرَ لكم في التقصيرِ، أي: لا يستوي الحلالُ والحرامُ والصالحُ والطالحُ والصحيحُ من المذاهبِ[١] والفاسدُ، ولا تُعْجَبوا بكثرةِ الخبيثِ حتّى تُؤْثِروه لكثرتِه على الطيّبِ القليل ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ واختاروا الطيّبَ وإنْ قَلَّ على الخبيثِ وإنْ كثُرَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ (١٠٢)

أي: لا تُكثِروا مسألةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله حتّى تَسألوهُ عن تكاليفَ شاقّةٍ إن أفتاكم بها وكلّفكم إيّاها وَجبَت وربّما غمّكم[٢] ذلك وشَقَّ عليكم، وذلك نحوُ ما رُوِيَ: أنَّ سُراقَةَ بنَ مالكٍ أو عُكاشَةَ بنَ مِحصَنٍ قال: يا رسولَ اللهِ أفي كلِّ عامٍ كُتِبَ الحجُّ علينا؟ فأعْرَضَ عنه حتّى أعادَ المسألَة ثلاثاً، فقال: وَيْحَكَ وما يُؤَمِّنُك أن أقول: نَعَمْ!! واللهِ لو قُلْتُ: نَعَمْ لوَجَبَتْ، ولو وَجَبَتْ ما اسْتَطَعْتُم، ولو تَرَكْتُم لكفرْتُم، فاتْرُكوني ما تَرَكْتُكُمْ، فإنّما هَلَكَ من هَلَكَ قبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أَمَرْتُكُمْ بشيءٍ فَأْتُوا منه ما استطَعْتُم، وإذا نَهَيْتُكم عن شيءٍ فاجتَنِبُوه[٣].

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ﴾ عَنْ هذهِ التكاليفِ الصعبةِ في زمانِ الوحي ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ تلك التكاليفُ الّتي ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ وتُؤْمَرُوا بتحمُّلِها، وقيل: إنَّ رجلاً يقال له: عبدُالله سَأَلَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقال: من أبي؟ وكان يُطْعَنُ في نسبِه، فقال له عليه السلام: «حُذافةُ» فنزَلَتْ[٤] ﴿عَفَا ٱللَّهُ﴾ عمّا سَلَفَ من مسألتِكم فلا تعودوا إلى مثلِها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ

(١) في بعض النسخ: المذهب.
(٢) في بعض النسخ: عنّكم.
(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٨٤.
(٤) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧١، ورواه الطبري في تفسيره: ج ٥ ←

حَلِيمٌ﴾ لايُعاجِلُكم بعقوبتِه ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أَي: قد سأَل هذه المسأَلةَ قومٌ من الأَوَّلين ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا﴾ أي: بمرجوعِها أَو بسببِها ﴿كَـٰفِرِينَ﴾ وذلك أَنَّ بني إسرائِـيلَ كانوا يَسأَلون أَنبياءَهم عن أَشياءَ فإذا أَمَرُوها تَرَكُوها فَهَلَكُوا.

﴿مَاجَعَلَ ٱللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَاسَآئِبَةٍ وَلَاوَصِيلَةٍ وَلَاحَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّـذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآأَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَاوَجَدْنَا عَـلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَايَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَايَهْتَدُونَ﴾ (١٠٤)

البَحِيرَةُ: الناقةُ إذا انْتجَتْ خَمْسَةَ أَبطُنٍ، فإن كان آخرُها ذكراً بَحَروا أُذُنَها أَي: شَقُّوها وحَرَّموا ركوبَها، ولاتُطْرَدُ عن ماءٍ ولامَرْعىً، ولو لَقِيَها المُعْيِىٰ[1] لم يَرْكَبْها. والسائِبَةُ: ماكانوا يُسَيِّبونه، كانَ الرجلُ يقولُ: إذا قَدِمْتُ من سفري أَو بَرِئْتُ مـن مَرَضي فناقتي سائِبَةٌ، فكانت كالبَحيرةِ في تحريمِ الانتفاعِ بها، وكانَ الرجـلُ إذا أَعْتَقَ عبداً قال: هو سائِبَةٌ ولاعَقْلَ بينَهما ولاميراثَ، وكانوا يُسَيِّبونها لطَواغـيتِهم ولسَدَنَةِ الأَصنامِ. والْوَصيلةُ في الغنمِ: كانت الشاةُ إذا وَلَدَتْ أُنثى فهي لهـم، وإذا وَلَدَتْ ذكراً ذَبَحُوه لآلهتِهم، فإن وَلَدَتْ ذكراً وأُنثىٰ قـالوا: وَصَـلَتْ أَخـاها فـلم يَذْبَحوا الذكَرَ لأَجلِها. والحامي: هو الفحلُ إذا نُتِجَتْ من صلبِه عَشَرَةُ أَبطُنٍ قالوا: قد حَمىٰ ظهرَه فلا يُرْكَبُ ولايُحْمَلُ عليه ولايُمْنَعُ من ماءٍ ولامرعىً[2].

ومعنىٰ ﴿مَاجَعَلَ ٱللَّهُ﴾: ماشَرَعَ ذلك ولاأَمَرَ بالتبحيرِ ولابـالتسييبِ ولاغـيرِ ذلك، ولكنَّهم بتحريمِهم ماحَرَّمُوا ﴿يَفْتَرُونَ عَـلَى ٱللَّهِ ٱلْكَـذِبَ﴾ يـدَّعون أَنَّ اللهَ

← ص ٨١ ـ ٨٣ مطولاً، واخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ عن ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١) المُعْيِىٰ: المتعب. (لسان العرب: مادة عيى).

(٢) راجع تفصيل ذلك في معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢١٣.

حرَّمَها ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ ذلك افتراءٌ وكذبٌ، يعني الاتِّباعَ للّذين يُقلِّدون في تحريمِها رؤَساءَهم[١]، والواوُ في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ واوُ الحالِ دَخَلَ عليه همزةُ الاستفهامِ الّتي للإنكارِ[٢]، والتقديرُ: أَحَسْبُهم ذلك ولو كان آباؤُهم ﴿لَايَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَايَهْتَدُونَ﴾ والاقتداءُ إنّما يصحُّ بالعالمِ المُهتدي ولايُعرَفُ ذلك إلّا بالدليلِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَايَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥)

﴿عَلَيْكُمْ﴾ من أسماءِ الأفعالِ ومعناه: ٱلزموا إصلاحَ أنفسِكم، وقوله: ﴿لَايَضُرُّكُم﴾ جوابُ الأمرِ وهو مجزومٌ، وإنّما ضُمَّت الراءُ إتْباعاً لضمّةِ الضادِ، والأصلُ: «لَايَضْرُرْكُمْ»، وقُرِئَ: «لايَضِرْكم» بكسرِ الضادِ وضمِّها[٣] من ضارَه يَضِيره ويَضُوره، ويجوزُ أن يكونَ خبراً مرفوعاً[٤]، والمعنىٰ: لايَضُرُّكم ضلالُ ﴿مَّن ضَلَّ﴾ عن دينِكم ﴿إِذَا﴾ كُنتُم مُهتدِين، وهو مثلُ قولِه: ﴿فَلَاتَذْهَبْ نَفْسُكَ

---

(١) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٧: هذه الآية من الأدلّة الواضحة علىٰ بطلان مذهب المجبّرة من قولهم: من أنّ الله تعالىٰ هو الخالق للكفر والمعاصي وعبادة الأصنام وغيرها من القبائح؛ لأنّه تعالىٰ نفىٰ أن يكون هو الذي جعل البحيرة أو السائبة أو الوصيلة أو الحام، وعندهم: أنّ الله هو الجاعل له والخالق؛ تكذيباً لله تعالىٰ وجرأةً عليه، ثمّ بيّن تعالىٰ أنّ هؤلاءِ بهذا القول قد كفروابالله وافتروا عليه بأن أضافوا إليه ماليس بفعلٍ له، وذلك واضح لاإشكال فيه.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٦٨٥، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٩١.

(٣) قرأ يحيىٰ وابراهيم بكسر الضاد، والحسن بضمّها علىٰ ماحكاه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٤١.

(٤) وهو اختيار الأخفش وقال: لأنّه ليس بعلّة لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ وإنّما أخبر انّه لايضرّهم. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٧٨، وعنه التبيان: ج ٤ ص ٤١.

عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[١]، وكان المؤمنون يَتَأَسَّفون حسرةً علىٰ أَهلِ العنادِ من الكفّارِ يَتَمَنَّوْن دخولَهم في الإِسلامِ فخوطِبوا بذلك.

وعن ابنِ مسعودٍ أَنَّها قُرِئَتْ عندَه فقال: إِنَّ هذا ليسَ بزمانِها[٢] إِنَّها اليومَ مقبولةٌ ولكن يوشِكُ أَن يَأْتِيَ زمانٌ تأمرون فلا يُقْبَلَ منكم، فحينئذٍ عليكم أَنفسَكم[٣]، فهو علىٰ هذا تَسْلِيَةٌ لمن يَأْمُرُ بالمعروفِ وَيَنْهَىٰ عن المنكرِ فلا يُقْبَلُ منه وبسطٌ لعذرِه[٤].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾ (١٠٦)

﴿شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ مبتدأٌ و ﴿ٱثْنَانِ﴾ خبرُه، والتقديرُ: شهادةُ بينِكم شهادةُ اثنَيْن، وأُضيفَ المصدرُ الَّذي هو ﴿شَهَـٰدَةُ﴾ إِلىٰ «بَيْنِ» فجُعِلَ الظرفُ اسماً اتِّساعاً، و ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ ظرفٌ للشهادةِ و ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ بدلٌ منه، وفي إِبدالِه منه دَلالةٌ علىٰ وجوبِ الوصيَّةِ عندَ حضورِ الموتِ وظهورِ أَماراتِه؛ لأَنَّ زمانَ حضورِ أَسبابِ الموتِ جُعِلَ زمانَ الوصيَّةِ ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: إِن وقَعَ

---

(١) فاطر: ٨.
(٢) في نسخة: بزماننا.
(٣) رواه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٤٣.
(٤) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤١ مالفظه: وفي الآية دلالة علىٰ فساد مذهب المجبِّرة في تعذيب الأطفال؛ لأنّه لو كان الأمر علىٰ ماقالوه لم يأمن المؤمنون أن يؤخذوا بذنوب آبائهم، وقد بيّن الله تعالىٰ أنّ الأمر بخلافه مؤكّداً لما في العقل.

الموتُ في السفرِ ولم يَكُنْ معكم رجلان عدلان ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمين فَاسْتَشْهِدُوا على الوصيَّةِ آخَرَيْن ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أَي: من أهلِ الذمَّةِ، ورُوِيَ: أَنَّ ثلاثةَ نفرٍ خَرَجُوا تُجَّاراً من المدينةِ إلى الشامِ: تميمُ بنُ أَوْسٍ وعديٌّ[١] وهما نَصْرانيَّان وابنُ أَبي ماريةَ[٢] مولىٰ عمرو بنِ العاصِ، فَمرِضَ ابنُ أَبي ماريةَ وكَتَبَ كتابَ وصيَّةٍ[٣] فيه مامعه من المتاعِ ودَسَّ كتابَه في متاعِه لم يُخْبِرْ به صاحبَيْه، وأَمَرَهما أن يَدْفَعا متاعَه إلىٰ أَهلِه وماتَ، فَفَتَّشا متاعَه وأَخَذا إناءً من فضَّةٍ ثمَّ رَجَعا بالمالِ إلى الورثةِ، فَوَجَدُوا الكتابَ فطالَبُوهما بالإناءِ فجَحَدا، فَرفَعوا أمرَهم[٤] إلى النبيِّ ﷺ فنَزَلَت[٥].

قولُه: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ معناه: تَقِفونهما ليَحلِفا ﴿مِن بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أَي: من بعدِ صلاةِ العصرِ[٦] وقتَ اجتماعِ الناسِ، وقيل: أَو الظهرِ[٧]، وقيل: من بعدِ صلاةِ أَهلِ دينِهما يعني: الذمِّيِّين[٨] ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ في شهادتِهما وشَكَكْتُم واتَّهَمْتُموهما، فقولُه: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ اعتراضٌ بينَ القسمِ والمُقْسَمِ عليه وهو قولُه: ﴿لَانَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً﴾ أَي: لانَسْتَبْدِلُ بتحريفِ شهادتِنا ذا ثمنٍ، فحُذِفَ المضافُ في

---

(١) في الكشّاف: عدي بن زيد.
(٢) في الكشّاف: بديل بن أبي مريم.
(٣) في نسخة: وصيّته.
(٤) في نسخة: أمرهما، وكذا في الكشّاف.
(٥) سنن أبي داود: ج ٣ كتاب القضايا ص ٣٠٧ ح ٣٦٠٦، أسباب النزول للواحدي: ص ١٧٥، الكشّاف: ج ١ ص ٦٨٧، تفسير القرطبي: ج ٦ ص ٣٤٦.
(٦) وذهب إليه شريح وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة، وهو قول أبي جعفر عليه السلام علىٰ ماحكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢١٦، والنحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٤٦.
(٧) وهو قول الحسن. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٧٦، والتبيان: ج ٤ ص ٤٥، والكشّاف: ج ١ ص ٦٨٧.
(٨) قاله ابن عبّاس والسدي علىٰ ماحكاه عنهما الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٦، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٥.

الموضعَيْن؛ لأَنَّ من المعلومِ أَنَّ المبيعَ يُشْتَرَىٰ دون ثمنِه، وقيل: إِنَّ الضميرَ في ﴿بِهِ﴾ للقسمِ[١]، يعني: لانَسْتَبْدِلُ بالقسمِ باللهِ عِوَضاً[٢] من الدنيا، أَي: لا نحلف باللهِ كاذبين لأجلِ المالِ ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمُقْسَمِ له، أي: ولو كان مَن نُقْسِمُ له قريباً منَّا، ولانُحابي في شهادتِنا أَحداً ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ الَّتي أَمَرَنا اللهُ بحفظِها وأَلْزَمَنا أَداءَها، ورَوَوْا عن عليٍّ عليه السلام والشعبيِّ الوقفَ علىٰ ﴿شَهَٰدَةَ﴾ وابتداءَ «ءَاللهِ» بالمدِّ علىٰ طرحِ حرفِ القسمِ وتعويضِ حرفِ الاستفهامِ منه[٣]، ورُوِيَ أيضاً بغيرِ مدٍّ[٤]، وذلك علىٰ ماذكَرَه سيبويه: أَنَّ منهم مَن يَحْذِفُ حرفَ القسمِ ولايُعَوِّضُ منه همزةَ[٥] الاستفهامِ فيقول: اللهِ لَقَدْ كانَ كَذا[٦]، ﴿إِنَّآ إِذاً﴾ أَي: إن فَعَلْنا ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلْآثِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٧) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنُۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (١٠٨)

أَي: ﴿فَإِنْ﴾ اطُّلِعَ ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً﴾ أَي: فَعَلا ماأَوْجَبَ[٧] إِثماً

(١) قاله النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٤٦، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٨٨.
(٢) في بعض النسخ: عرضاً، وكذا في الكشّاف.
(٣) رواه عنهما المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٥٤ وزاد: ونعيم بن ميسرة وهو قراءة يعقوب برواية روح وزيد. وحكاه أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ٤٤ عنهما.
(٤) قرأه الشعبي علىٰ ماحكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ٤٤.
(٥) في نسخة: حرف.
(٦) انظر كتاب سيبويه: ج ٣ ص ٤٩٩.
(٧) في بعض النسخ: يوجب.

واسْتَوْجَبا أَن يُقالَ: إِنَّهما من ﴿ٱلْآثِمِينَ﴾ بخيانتِهما ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ أَي: فشاهدان آخَران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الإِثمُ، والمعنىٰ: من الَّـذين جُنِيَ عليهم وهم أَهلُ الميِّتِ وعشيرتُه، وفي الحديث: أَنَّه لمَّا عُثِرَ علىٰ خـيانةِ الرجلَيْن ووُجِدَ الإناءُ بمكَّةَ بعدَ أن اسْتَحْلَفَهما رسولُ الله ﷺ عند المـنْبَرِ حَـلَفَ رجلان من ورثتِه أَنَّه إناءُ صاحبِهما وأَنَّهما خانا وكَذَبا فدُفِعَ الإِناءُ إِليـهما[1]، و ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ الأَحقَّان بالشهادةِ لقَرابتِهما، وارتفاعُها[2] علىٰ أَنَّـها بـدلٌ مـن ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ أَو من الضميرِ في ﴿يَقُومَانِ﴾ أَو علىٰ «هُمَا الْأَوْلَيانِ» كأَنَّه قـيل: ومَن هما؟ فقيل: ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، وقُرِئَ: «الأَوَّلين»[3] علىٰ أَنَّه وصفٌ لـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ ومعنى الأَوَّلِيَّةِ: التقدُّمُ على الأَجانبِ في الشهادةِ لكونِهم أَحقَّ بها، وفي هذا دَلالةٌ على جوازِ ردِّ اليمينِ على المـدَّعي، وقُـرِئَ: ﴿ٱسْـتَحَقَّ عَـلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ على البناءِ للفاعلِ[4]، ومعناه: من الورثةِ الَّذين استَحَقَّ عليهم الأَوليان من بينِهم بالشهادةِ أَن يُجَرِّدوهما عن القيام بالشهادةِ، ويُظْهِرُوا بهما كذبَ الكاذبين ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ أَي: يَحْلِفان ﴿بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ﴾ وقولُنا في وصيَّةِ صاحبِنا ﴿أَحَقُّ﴾ بالقبولِ ﴿مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ وقولِهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ وماجاوَزْنا الحقَّ فيما طَلَبناه من حقِّنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي تَقَدَّمَ من بيانِ الحكمِ ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أَي: أَقرب إِلىٰ أَن يأْتـيَ

---

(١) رواه الحسن البصري في تفسيره: ج ١ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦، والقرطبي في تفسيره أيضاً: ج ٦ ص ٣٤٦.

(٢) في جميع النسخ: «ارتفاعهما» والصحيح المناسب لسياق العبارة ماأثبتناه.

(٣) قرأها يحيىٰ وحمزة ويعقوب علىٰ ماحكاها عنهم ابن غلبون في التذكرة: ج ٢ ص ٣٩١، ونسبها أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ٤٦ الى ابن سيرين.

(٤) وهي قراءة حفص والأعشىٰ الّا النفار والكسائي عن أبي بكر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٧، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤١٩.

الشهداءُ على نحوِ تلك الحادثةِ ﴿بِالشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنُۢ﴾ أي: أو أقربُ إلىٰ أن يخافوا أن تكرَّ[١] أيمانُ شهودٍ آخرين ﴿بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ فيفتضحُوا بظهورِ كذبِهم كما جرَىٰ في هذهِ القصَّةِ، فربَّما لا يحلِفون كاذبين ويتحفَّظونَ في الشهادةِ مخافةَ ردِّ اليمينِ إلى المستحقِّ عليهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَن تَخونوا وتَحلِفوا كاذبين ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ سمعَ إجابةٍ وقبولٍ.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١٠٩) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١١٠)

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ ظرفٌ[٢] لقولِه: ﴿لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يَهْديهم طريقَ الجنَّةِ يومئذٍ كما يَهْدي غيرَهم، أو يَومَ يَجمَعُ اللهُ الرسُلَ يكون كذا وكذا، أو نصب[٣] بـ﴿ٱذْكُرْ﴾[٤]. ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أي: أيَّ إجابةٍ أُجِبْتُم؟ وهذا السؤالُ توبيخٌ لقومِهم، ولذلك ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ وَكَلُوا الأمرَ إلىٰ علمِه بسوءِ إجابتِهم ولَجأُوا إليه في الانتقامِ منهم، وقيل: معناه: أنت أعلمُ بحالِهم منَّا فعلمُنا مغمورٌ بعلمِك وساقطٌ معه

(١) في نسخة: تكرّر.
(٢) وهو ماذهب إليه النحاس. راجع اعراب القرآن: ج ٢ ص ٤٨.
(٣) ذهب إليه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٨٩.
(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٠٢.

لأنَّك ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [١]، وقيل: معناه: لاعِلمَ لنا بما كانَ منهم بعدَنا [٢] ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ والمعنىٰ: أنَّه يُوَبِّخُ [٣] الكافرين يومئذٍ بسؤالِ الرسُلِ عن إجابتِهم وبتقريرِ ماأظْهَرَ علىٰ أيديهم من الآياتِ والمُعجِزاتِ فَكَذَّبوهم أو [٤] اتَّخذوهم آلهةً ﴿أَيَّدتُّكَ﴾ قوَّيْتُكَ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبرئيل عليه السلام، وقيل: بالكلامِ الَّذي يُحيا به الدين [٥] ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ طِفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾، و ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في موضعِ الحالِ، والمعنىٰ: تُكلِّمُهم في هاتَيْن الحالتَيْن من غيرِ أن يَتَفاوتَ كلامُك حينَ [٦] الطفولةِ وحينَ الكُهولةِ الَّذي هو وقتُ بلوغِ الأَشُدِّ، والحدُّ الَّذي يُسْتَنْبأُ فيه الأنبياءُ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: الكتابةَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الكلامَ المحكمَ، وقيل: المرادُ بهما جنسُ الكتابِ والحكمةِ ﴿وَ﴾ خَصَّ ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ممَّا تَناولاه [٧] ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ أي: تُصَوِّرُ وتُقَدِّرُ ﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: هَيئَةً مثلَ هَيئَةِ الطيرِ الَّذي تُريدُ ﴿بِإِذْنِى﴾ بأَمري وتَسهيلي ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضميرُ للكافِ؛ لأنَّها صفةُ الهَيئَةِ الَّتي كان يَخلُقُها عيسىٰ ويَنْفُخُ فيها، ولايَرْجِعُ إلى الهَيئَةِ المضافِ إليها لأنَّها ليست من خلقِه ونفخِه في شيءٍ، وكذلك الضميرُ في ﴿فَتَكُونُ﴾، ﴿وَ﴾ إذ ﴿تُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ نُسِبَ ذلك إليه لِما كان بدعائِه وسؤالِه ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من القبورِ حتَّى يُشاهِدَهم الناسُ أحياءً ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهودَ حينَ هَمُّوا بقتلِه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

---

(١) قاله ابن عبّاس. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٧٦، وتفسير الرازي: ج ١٢ ص ١٢٣.
(٢) قاله ابن جريج علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٨، والبغوي أيضاً في تفسيره: ج ٢ ص ٧٦.
(٣) في نسخة: توبيخ.
(٤) في بعض النسخ: و.
(٥) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩١.
(٦) في نسخة: حال.
(٧) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩١.

وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ (١١٣)

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أي: أَلْهَمْتُهم، وقيل: أَلْقَيْتُ إليهم بالآياتِ الَّتي أَرَيْتُهم إيَّاها[١]، وقيل: أمَرْتُهم على أَلْسِنَةِ الرسلِ[٢] ﴿مُسْلِمُونَ﴾ أي: مُخلِصون، من أَسْلَمَ وجهَه للهِ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ﴾ معناه: هل يَفعَلُ ذلك ربُّك بمسأَلتِك إيَّاه ليكونَ عَلَماً علىٰ صدقِك[٣]، وقيل: معناه: هل يَقْدِرُ ربُّك[٤]، وإنَّما قالوه قبلَ أَن تَسْتَحْكِمَ معرفتُهم باللهِ وصفاتِه، ولذلك قال عيسىٰ عليه السلام لهم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولاتَشُكُّوا في اقتدارِه واستطاعتِه، ولاتَقْتَرِحوا عليه ماتَشْتَهونَ[٥] من الآياتِ فتُهْلَكوا إذا عَصَيْتُمُوه بعدَها[٦]، وقَرَأَ الصادقُ عليه السلام: «هلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّك»[٧] أَي: هل تستَطيعُ سؤَالَ ربِّكَ، والمائِدةُ: الخِوانُ يكون عليه الطعامُ، وهي من مادَه أَي: أَعطاه ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ نَشْهَدُ عليها عندَ الَّذين لم يحضُروها من بني إسرائيلَ، أَو من الشاهدين للهِ بالوَحدانيَّةِ ولك بالنُّبوَّةِ عاكفين عليها، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا﴾ في موضِعِ الحالِ.

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.
(٢) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩٢.
(٣) اختار هذا القول الحسن علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٩، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.
(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.
(٥) في نسخة: تشبّهون.
(٦) راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٧٨، والكشّاف: ج ١ ص ٦٩٣.
(٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٥٠، وأوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٦٤.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١١٥)

ثمَّ سَأَلَ عيسىٰ عليه السلام وأُجيبَ إِلىٰ ذلك ليُلْزَمُوا الحُجَّةَ ويُرْسَلَ عليهم العذابُ إِذا خالَفوا ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ أَصلُه يااَللّٰهُ[1] ﴿رَبَّنَآ﴾ نداءٌ ثانٍ ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾ أَي: يكونُ يومُ نزولِها عيداً وهو يومُ الأَحدِ ومن ثَمَّ اتَّخَذَه النَّصارىٰ عيداً[2]، وقيل: العيدُ: السرورُ العائدُ ولذلك يُقالُ: يومُ عيدٍ، أَي: تكونُ لنا سُروراً وَفَرَحاً[3] ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدلٌ من ﴿لَنَا﴾ بتكريرِ العاملِ، أَي: لِمَن في زمانِنا من أَهلِ دينِنا ولمن يَأْتي بعدَنا، وقيل: معناه: يَأْكُلُ منها آخِرُ الناسِ كما يأْكُلُ أَوَّلُهم[4]، وقيل: للمتقدِّمين منّا والأَتباعِ[5] ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أَي: ودَلالةً منك عظيمةَ الشأْنِ تدلُّ علىٰ توحيدِك وصحَّةِ نبوَّةِ نبيِّك ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أَي: بعدَ إِنزالِها[6] عليكم ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً﴾ أَي: تعذيباً ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ الضميرُ للمصدرِ، ولو أُريدَ مايُعَذَّبُ به لم يكن[7] بدٌّ من الباءِ.

ورُوِيَ: أَنَّ عيسىٰ عليه السلام لَبِسَ صوفاً وقالَ: اللَّهمَّ أَنْزِلْ علينا مائِدةً، فنَزَلَت سُفرةٌ حمراءُ بينَ غَمامَتَيْنِ وهم يَنْظُرون إِليها، فبكىٰ عيسىٰ عليه السلام وقالَ: اللَّهمَّ اجْعَلْني مِنَ

---

(١) تقدّم تفصيله في آل عمران: ٢٦ في ص ٢٢٩ فراجع.

(٢) وهو قول السدي وقتادة وابن جريج والجبائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٦١.

(٣) قاله البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٨.

(٤) وهو قول ابن عبّاس. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٨٤، والبغوي: ج ٢ ص ٧٨.

(٥) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٩٣.

(٦) في نسخة: إنزال المائدة.

(٧) في نسخة زيادة: له.

الشاكِرِين، وكَشفَ المِنديلَ وقال: بِاسْمِ اللهِ خَيْرِ الرازِقِين، فإِذا سمكةٌ مشويَّةٌ بلا فلوسٍ ولاشَوكٍ وعندَ رأْسِها ملحٌ وعند ذَنَبِها خَلٌّ وحولَها من أَلوانِ[1] البُقولِ ماعدا الكُرَّاثَ[2]، وقيل: نَزَلَت الملائِكةُ بها، عليها سبعةُ أَرْغِفَةٍ وسبعةُ أَحواتٍ فأَكَلَ منها آخِرُ الناسِ كما أَكَلَ أَوَّلُهم[3]، وعن الحسن: أَنَّ المائِدةَ مانَزَلَتْ، ولو نَزَلَتْ لكان عيداً إِلىٰ يومِ القيامةِ لقولِه: ﴿وَءَاخِرِنَا﴾[4].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَايَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَافِى نَفْسِى وَلَآأَعْلَمُ مَافِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١١٦) مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآأَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (١١٨)

المعنىٰ: ﴿إِذْ﴾ يَقولُ ﴿ٱللَّهُ﴾ يومَ القيامةِ: ﴿يَـٰعِيسَىٰ﴾ وهو استفهامٌ يرادُ به التقريعُ لمن ادَّعىٰ ذلك عليه من النصارىٰ، واستعظامٌ لذلك القولِ ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ من أَن يكونَ لك شريكٌ ﴿مَايَكُونُ لِىٓ﴾ مايَنبغي لي ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ قولاً لايَحِقُّ لي أَن أَقولَه وأَنا عبدٌ مثلُهم، وإِنَّما تَحِقُّ العبادةُ لك وحدَك ﴿تَعْلَمُ مَافِى نَفْسِى﴾ أَي: في قلبي، والمعنىٰ: تَعْلَمُ معلومي ولاأَعْلَمُ معلومَك، وإِنَّما قالَ: ﴿فِى نَفْسِكَ﴾

---

(١) في نسخة: أنواع.

(٢) رواها البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٩ عن سلمان الفارسي.

(٣) وهو قول ابن عبّاس علىٰ ماحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٦٩.

(٤) راجع تفسيرالحسن البصري: ج ١ ص ٣٤٨، وحكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ١٣٥، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩٤.

سلوكاً بالكلامِ طريقَ المُشاكَلَةِ ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تقريرٌ للجملتَيْن معاً؛ لأَنَّ مَاانْطَوَتْ عليه النُفوسُ من جملةِ الغيوبِ ولايَنْتَهي علمُ أَحـدٍ إِلىٰ مـايَعْلَمُهُ سبحانه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ هي «أَن» المُفَسِّرَةُ، ومعناه: ماأَمَرْتُهم إِلَّا بِما أَمَرْتَني به ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ أَي: رقيباً كالشاهدِ علىٰ المشهودِ عليه أَمْـنَعُهم مـن أَن يَقولوا ذلك ويَعتقِدوه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تَمْنَعُهم من القولِ به بما نَصَبْتَ لهم من الأَدِلَّةِ، وأَرْسَلْتَ إِليهم من الرسلِ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الَّذين عَرَفْتَهم عاصين مكذِّبين لرسلِك منكِرين بيِّناتِك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادرُ على العقابِ والثوابِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الَّذي لايَفْعَلُهما إِلَّا عن حكمةٍ وصوابٍ، والمعنىٰ: إِن غَفَرْتَ لهم مع كفرِهم فالمغفرةُ حسنةٌ في العقلِ لكلِّ مُجرمٍ، وكلَّما كانَ الجرمُ أَعظمَ فالعفوُ عنه أَحسنُ.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِـن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَافِيهِنَّ وَهُـوَ عَـلَىٰ كُـلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠)

قُرِئَ: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ﴾ بالرفعِ والإِضافةِ، وبالنصبِ[١]: إِمَّـا عـلىٰ أَنَّـه ظـرفٌ لـ﴿قَالَ﴾ وإِمَّا علىٰ أَنَّ ﴿هَـٰذَا﴾ مبتدأٌ والظرفَ خبرٌ، والمعنىٰ: ﴿هَـٰذَا﴾ أَي: الَّذي ذَكَرْناه من كلامِ عيسىٰ واقعٌ يومَ ﴿يَنفَعُ﴾، ولايجوزُ أَن يكونَ فتحاً كقولِه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَاتَمْلِكُ﴾[٢] لأَنَّـه مضافٌ إِلىٰ متمكِّنٍ[٣]، والمعنىٰ: ﴿يَـنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾

---

(١) وهي قراءة نافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٧٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٨٢، والتذكرة لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٤.

(٢) الانفطار: ١٩.

(٣) راجع تفصيل ذلك في اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٥٣.

ماصَدَقوا فيه في دارِ التكليف، وقيل: تصديقُهم لأَنبياءِ اللهِ وَكُتُبِه[١]، وقيل: صدقُهم في الشهادةِ لأَنبيائِهم بالبلاغِ[٢].

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ نَزَّهَ سبحانه نفسَه عن قولِ النصارىٰ، وإِنَّما قالَ: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ ولم يَقُلْ: «وَمَنْ فِيهنَّ» تغليباً للعقلاءِ؛ لأَنَّ «ما» يَتَناوَلُ الأَجناسَ كلَّها تناولاً عامّاً، فلو أَبْصَرْتَ شخصاً من بعيدٍ قُلْتَ: «ماهو؟» قبلَ أَن تَعرِفَ أَمِنَ العقلاءِ هو أَو من غيرِهم، فكان لفظَةُ «ما» بإِرادةِ العمومِ أَولىٰ.

۞ ۞ ۞

(١) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٠.

(٢) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٠، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٦ ص ٣٧٩، وأبو حيان في بحره: ج ٤ ص ٦٤.

سورة الأَنعام

مَكِّيَّةٌ غير ستٍّ آياتٍ، وهي مائةٌ وخمسٌ وستُّون آيةً كوفيٌّ، ستٌّ بصريٌّ، ﴿لَسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[1] كوفيٌّ، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[2] و ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] غيرُهم.

وفي حديثِ أُبَيٍّ: «أُنْزِلَتْ عليَّ الأَنعامُ جملةً واحدةً يُشيِّعُها سبعون أَلفَ مَلَكٍ لهم زَجَلٌ[4] بالتسبيحِ والتحميدِ، فَمَن قَرأَها صلَّىٰ عليه أُولئِك السبعون أَلفَ مَلَكٍ بعددِ كلِّ آيةٍ من الأَنعامِ يوماً وليلةً»[5].

ورَوَى الحسينُ بنُ خالدٍ عن الرضاعليه‌السلام مثلَ ذلكَ إِلَّا أَنَّه قالَ: «سَبَّحوا له إِلىٰ يومِ القيامةِ»[6].

---

(١) الآية: ٦٦.

(٢) الآية: ٧٣.

(٣) الآية: ١٦١.

(٤) قال ابن الأثير: وفي حديث الملائكة: «لهم زجل بالتسبيح» أي: صوت رفيعٍ عالٍ. راجع النهاية: مادة (زجل).

(٥) المعجم الصغير للطبراني: ج ١ ص ٨١، الكشّاف: ج ٢ ص ٨٥، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٧١، وانظر نهاية ابن الأثير: مادة (زجل).

(٦) تفسير القمي: ج ١ ص ١٩٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (٢)

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي: أَنْشأَهما وأَحْدَثَهما، والفرقُ بينَ الخلقِ والجعلِ: أَنَّ الخلقَ فيه معنى التقديرِ، والجعلَ فيه معنى التصييرِ[١] كإِنشاءِ شيءٍ من شيءٍ أو تَصييرِ شيءٍ شيئاً أَو نقلِه من مكانٍ إِلىٰ مكانٍ، ومن ذلك: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٢] ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجاً﴾[٣]، والمعنىٰ: أنَّه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ومَاشْتَمَلا عليه من أَجناسِ المخلوقاتِ، وأَنْشأَ الليلَ والنهارَ ومالا يَقْدِرُ عليه سِواه ﴿ثُمَّ﴾ إِنَّهم ﴿يَعْدِلُونَ﴾ به مالا يَقْدِرُ علىٰ شيءٍ منه، وهذا استبعادٌ لفعلِهم، وكذلك ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعادٌ لأَن يَمْتَرُوا فيه بعدَ أَن ثَبَتَ أَنـَّه مُحْييهم ومُميتُهم وباعثُهم، وقولُه: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ معناه: كَتَبَ وقَدَّرَ أَجَلاً، يعني: أَجلَ الموتِ ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أَجلُ القيامةِ، وقيل: الأَجلُ الأَوَّلُ

---

(١) في نسخة: التضمين، وكذا في الكشّاف والبيضاوي.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) النبأ: ٨. وفي جميع النسخ «جعلناكم» بدل «خلقناكم» وهو من سهو النسّاخ.

مابينَ أَن يُخلَقَ إِلىٰ أَن يَموتَ، والثاني مابينَ الموتِ والبعثِ[١].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَاتَكْسِبُونَ (٣) وَمَاتَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَـٰٓؤُاْ مَاكَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٥)

﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ متعلِّقٌ بمعنىٰ اسمِ اللهِ، كأَنَّه قيل: وهو المعبودُ فيهما، ومثلُه قولُه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾[٢] أَو هو المعروفُ بالإِلٰهيَّةِ أَو المتوحِّدُ بالإِلٰهيَّةِ فيهما، وعلىٰ هذا فقولُه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ تقريرٌ له؛ لأَنَّ مَن استوى في علمِه السرُّ والعلانيةُ هو الله وحده[٣]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿هُوَ﴾ ضميرَ الشأنِ و ﴿ٱللَّهُ ... يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ مبتدأً وخبراً و ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ يَتَعَلَّقُ بـ ﴿يَعْلَمُ﴾[٤]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ خبراً بعدَ خبرٍ علىٰ معنىٰ أَنَّه اللهُ، وأَنَّه في السماواتِ والأَرضِ بمعنىٰ أَنَّه عالمٌ بما فيهما لايَخفىٰ عليه شيءٌ منه، فكأَنَّ ذاتَه فيهما، و ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، خبرٌ ثالثٌ أو كلامٌ مبتدأٌ بمعنىٰ: هو يعلمُ سِرّكم وجهركم ﴿وَيَعْلَمُ مَاتَكْسِبُونَ﴾ من الخيرِ والشرِّ ويُثيبُ عليه ويُعاقِبُ، و ﴿مِّنْ﴾ في قولِه: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ للاستغراقِ، و ﴿مِّنْ﴾ في ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ للتبعيضِ، أَي: ومايَظْهَرُ لهم دليلٌ من الدلائِلِ الَّتي يَجِبُ فيها

---

(١) قاله ابن عباس والضحّاك والحسن وقتادة علىٰ ماحكاهالماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٣، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٨٤. (٢) الزخرف: ٨٤.

(٣) وعليه المشهور من النحاة والمفسّرين. راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٢٨، واعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٥٦، وانظر التبيان: ج ٤ ص ٧٨.

(٤) ذهب إليه أبو علي علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٧٩.

النظرُ وبها يَحْصُلُ الاعتبارُ ﴿إِلَّا كَانُواْ﴾ عنه[١] ﴿مُعْرِضِينَ﴾ لايَلتفِتون إليه ولايَستدِلُّون به ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ﴾ الَّذي أَتاهم به محمَّدٌ ﷺ وهو القرآنُ الَّذي تُحُدُّوا به فَعَجَزُوا عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ أَخبارُ الشيءِ الَّذي اسْتَهْزَأوا به وهو القرآنُ، أَي: سَيَعْلَمُونَ بأَيِّ شيءٍ اسْتَهْزَأوا في الآخرةِ أَو في الدنيا.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ (٦)

مَكَّنَ له في الأَرضِ: جَعَلَ له مكاناً، ومَكَّنَه في الأَرضِ: أَثْبَتَه فيها، ومنه قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ﴾[٢]، ولتقاربِ المعنَيَيْن جَمَعَ بينَهما في قولِه: ﴿مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ والمعنىٰ: ﴿أَلَمْ﴾ يَرَ كفَّارُ قريشٍ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن﴾ أُمَّةٍ، وكلُّ أُمَّةٍ مقترنةٍ في وقتٍ قَرنٌ، أَعْطَيْناهم من البسطةِ في الأَجسامِ والسعةِ في الأَموالِ مالم نُعْطِكم، عَدَلَ عن الغيبةِ إلى الخطابِ علىٰ طريقةِ الالتفاتِ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ يعني: المطرَ هنا ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ مِغْزاراً، والمرادُ به: الغيثُ والبَرَكَةُ ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وخَلَقْنا من بعدِ هلاكِهم أُمَّةً أُخرىٰ، وفيه دَلالةٌ علىٰ أَنَّه سبحانه لايَتَعاظَمُه أَن يُفْنِيَ عالَماً ويُنْشِئَ عالَماً آخَرَ كقولِه: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾[٣].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا

(١) في نسخة: عنها. (٢) الأحقاف: ٢٦.
(٣) الشمس: ١٥.

مَلَكاً لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَايُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّايَلْبِسُونَ (٩) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّاكَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٠)

﴿كِتَٰباً﴾ أي: مكتوباً ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ في صحيفةٍ ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ولم يَقْتَصِرْ بهم على الرؤيةِ والمُعايَنَةِ لِئَلّا يقولوا: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾[١]، لَقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾ لِعِظَمِ عنادِهم وقَسْوَةِ قلوبِهم ﴿لَوْلَآأُنزِلَ﴾ أَي: هلّا أُنزِلَ على محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿مَلَكٌ﴾ نُشاهِدُه فنُصَدِّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً﴾ على مااقْتَرَحُوا ﴿لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: لَقُضِيَ أمرُ[٢] إهلاكِهم ﴿ثُمَّ لَايُنظَرُونَ﴾ بعدَ نزولِه طَرْفَةَ عينٍ؛ لأَنَّهم لايُؤْمِنون عندَ مشاهَدَةِ تلك الآيةِ الَّتي لاشيءَ أَبينُ منها فتَقْتَضِي الحكمةُ استئصالَهم ﴿وَلَوْجَعَلْنَٰهُ مَلَكاً﴾ أَي: ولو جَعلْنا الرسولَ مَلَكاً كما اقْتَرَحُوه ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ لأَرسلناه في صورةِ رجلٍ كما كان يُنْزَلُ جبرئيلُ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في أَعمِّ الأَحوالِ في صورةِ دِحْيَةَ الكلبيِّ[٣] ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ ولخلَطْنا ﴿عَلَيْهِم مَّا﴾ يَخْلِطُون على أَنفسِهم حينئذٍ، فإِنَّهم يقولون إِذا رَأَوُا المَلَكَ في صورةِ رجلٍ: هذا إنسانٌ وليس بمَلَكٍ، وكَذَّبُوه كما كَذَّبُوا محمَّداً صلى الله عليه وآله، فإذا فَعلُوا ذلك

(١) الحجر: ١٥.
(٢) في معنىٰ «قضي» وضروبها راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٣٠ تجد تفصيل ذلك.
(٣) وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، شهد أُحداً ومابعدها، كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وآله في صورته أحياناً، بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله الىٰ قيصر رسولاً سنة ستٍّ في الهدنة فآمن به قيصر وامتنع عليه بطارقته، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال: ثبت الله ملكه. سكن المزة وعاش الىٰ خلافة معاوية. توفّي سنة ٤٥ هـ. (أُسدالغابة: ج ٢ ص ١٣٠، طبقات ابن سعد: ج ٤ ص ١٨٤، الاعلام للزركلي: ج ٢ ص ٣٣٧).

خُذِلُوا كما أنَّهم مَخذولون اليومَ، فهذا لَبسُ اللهِ عليهم ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ تسليةً للنبيِّ ﷺ عمّا كان يَلْقاه من قومِه «فَحَاقَ بِهِم» فأَحاط بهم الشيءُ الَّذي ﴿كَانُواْ ... يَسْتَهْزِءُونَ﴾ بِهِ وهو الحقُّ حيث أُهْلِكوا من أَجلِ الاستهزاءِ به، وقيل: فأَحاطَ بهم العذابُ الَّذي يَسْخَرُون من وقوعِه[1].

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (١١) قُل لِّمَن مَّافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ (١٢) وَلَهُۥ مَاسَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١٣)

﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ سافِروا فيها ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾[2] بأَبصارِكم وتفكَّروا بقلوبِكم ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ المُستهزئين بالرُسلِ من الأُمَمِ السَالفةِ ﴿لِّمَن مَّافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سؤَالُ تبكيتٍ، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقريرٌ لهم، أَي: هو للهِ لاخلافَ بيني وبينَكم في ذلك، ولاتَقدِرون أَن تُضِيفوا شيئاً منه إِلىٰ غيرِه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أَي: أَوْجَبَها علىٰ ذاتِه في هدايتِكم إِلىٰ معرفتِه ونصبِ الأَدلَّةِ

---

(١) قاله السدي علىٰ ماحكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ١٥٤، ونسبه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٨٦ الى الضحّاك.

(٢) قال الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨ مالفظه: فإن قلتَ: أيّ فرق بين قوله: ﴿فَانظُرُواْ﴾ وبين قوله: ﴿ثُمَّ أنظُرُواْ﴾؟ قلتُ: جعل النظر مسبباً عن السير في قوله: ﴿فَانظُرُواْ﴾ فكأنّه قيل: سيروا لأجل النظر ولاتسيروا سير الغافلين، وأمّا قوله: ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبّه علىٰ ذلك بـ ﴿ثُمَّ﴾ لتباعد مابين الواجب والمباح، انتهىٰ. قال المحشّي: وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير في المكانين واحداً؛ ليكون ذلك سبباً في النظر، فحيث دخلت الفاء فلإظهار السببيّة، وحيث دخلت ﴿ثُمَّ﴾ فللتنبيه علىٰ أنّ النظر هو المقصود من السير، وأنّ السير وسيلة إليه لاغير، وشتّان بين المقصود والوسيلة.

لكم علىٰ توحيدِه بما أَنتم تَعْتَرِفون به من خلقِ السماوات وَالأَرضِ، وقيل: أَوْجَبَ الرحمةَ علىٰ نفسِه في إِمهالِ عبادِه ليَتَدارَكوا مافُرِّطَ منهم ويَتوبوا (١)، وقيل: كَتَبَ الرَحْمَةَ لأُمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله بأَن لايُعَذِّبَهم في الدُنيا بعذابِ الاستئصالِ بل يُؤَخِّرَهم إِلىٰ يومِ القيامةِ (٢)، ثمَّ فَسَّرَ الرَحمةَ بقولِه: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ علىٰ ماذكرنا أَنَّ المرادَ به إِمهالُ العاصي ليَتوبَ أَو تأْخيرُ عذابِهم، وقيل: إِنَّه وعيدٌ علىٰ كفرِهم وتركِهم النَظَرَ، ومعناه: لَيَجْمَعَنَّ آخِرَكم إِلىٰ أَوَّلِكُمْ قَرناً بعدَ قرنٍ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فيُجازيكم علىٰ شركِكم (٣) ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قيل: هو بدلٌ من الكافِ والميمِ في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ وعلىٰ هذا فلا يجوزُ الوقفُ علىٰ ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ (٤). والصَوابُ: الوقفُ والابتداءُ بـ ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ وخبرُه ﴿فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾ (٥) والمعنىٰ: الَّذين خَسِرُوا أَنفسَهم لاختيارِهم الكفرَ فهم لايُصَدِّقون بالحقِّ (٦). ﴿وَلَهُ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لِلَّهِ﴾، ﴿مَاسَكَنَ﴾ وتَمَكَّنَ ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذَكَرَ في الأَوَّلِ السَماوات والأَرْضَ وذَكَرَ هنا الليلَ والنهارَ، فالأَوَّلُ يَجْمَعُ المكانَ والثاني يَجْمَعُ الزَمانَ، وهما ظَرفان لجميعِ الموجوداتِ من الأَجسامِ والأَعراضِ.

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٢، وعنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٩٥.

(٢) وهو قول ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٠٦.

(٣) قاله الزجّاج في معانيه: ج ٢ ص ٢٣٢، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٧، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٩.

(٤) قاله الأخفش وفقاً لمذهبه الجواز في الابدال من ضمير الحاضر. راجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٨٢، وحكاه عنه الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٢، والنحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٥٨، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٨٦.

(٥) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٢.

(٦) قال الهَمداني: ويجوز عندي وجه آخر وهو أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين خسروا أنفسهم. وهو أحسن من الوجه الأول ـ وهو مختار الزجّاج ـ لأَنّ في الوجه الأول تأخير السبب وتقديم المسبب فاعرفه. راجع الفريد في اعراب القرآن: ج ٢ ص ١٢٦.

والمرادُ بالسُكونِ هنا الحلولُ والسُكنىٰ.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ (١٦)

الإنكارُ في اتِّخاذِ غيرِاللهِ وليّاً لا في اتِّخاذِ الوليِّ، فلذلك أولاه همزةَ الاستفهامِ دونَ الفعلِ الَّذي هو ﴿أَتَّخِذُ﴾ ونحوه: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ (١)، ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مُنشِئِهما وخالقِهما من غيرِ احتذاءٍ على مثال ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أَي: وهو يَرْزُقُ ولايُرْزَقُ، والمعنىٰ: أَنَّ المنافعَ كلَّها من عِندِه، ولايجوزُ عليه الانتفاعُ ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ﴾ أَي: أَمَرَني ربِّي ﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأَنَّ النبيَّ سابقُ أُمَّته في الإسلامِ، كقولِه: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢)، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ أَي: وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: أُمِرتُ بالإسلامِ ونُهِيتُ عن الشركِ ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ العذابُ ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ اللهُ الرحمةَ العُظمىٰ وهي النَجاةُ، كما تقول: مَن أَطْعَمْتَهُ مِن جوعٍ فقد أَحْسَنْتَ إِليه تُريدُ فقد أَتْمَمْتَ الإِحسانَ إِليه، أَو فقد أَثابَه وأَدْخَلَه الجنَّةَ؛ لأَنَّ من لم يُعَذَّبْ فلابدَّ أَن يُثابَ. وقُرِئَ: «مَن يَصْرِفْ عنه» على البناءِ للفاعلِ (٣)، والمعنىٰ: مَن يَصْرِفِ اللهُ عنهُ في ذلك اليومِ أَي: مَن يَدْفَعِ اللهُ عنه ويَحفَظْه، وتَركَ ذكرَ المصروفِ وهو العذابُ؛ لكونِه معلوماً أَو مذكوراً قبلَه.

---

(١) الزمر: ٦٤. (٢) الأنعام: ١٦٣.

(٣) قرأها حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٤، وحكاها الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٩٠ ونسبها إلى أهل الكوفة سوىٰ حفصٍ ويعقوب.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠)

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ من مرضٍ أو فقرٍ أو مكروهٍ ﴿فَلَا﴾ قادرَ علىٰ كشفهِ ﴿إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من صحّةٍ أو غِنىً ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يَقدِرُ علىٰ إدامتهِ وإزالتِه ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ هذا تصويرٌ للقهرِ والعلوِّ بالغلبةِ والقدرةِ، كقولِه: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾[1] يُريدُ أنّهم تحتَ تسخيرِه وتَذليلِه، و ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ العالمُ بكلِّ مايصحُّ أن يُخبَرَ به، والشَيءُ أعمُّ العامِّ لوقوعِه علىٰ كلِّ مايصحُّ أَن يُعْلَمَ ويُخبَرَ عنه ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ﴾ أعظم ﴿شَهَٰدَةً﴾ وأَصْدَقُ ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يَشهدُ لي بالنبوّةِ وتبليغِ الرسالةِ إليكم وتَكذيبِكم إيّاي ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ حجّةً ودَلالةً علىٰ صدقي ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ لأُخوِّفكم به من عذابِ اللهِ ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أَي: ولأُنْذِرَ به من بَلَغَه إلىٰ يومِ القيامةِ.

ورُوِيَ عنهم عليهم السلام أنَّ المعنىٰ: ومَن بَلَغَ أَن يكونَ إماماً من آلِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فهو يُنْذِرُ ـ أيضاً ـ بالقرآنِ[2].

---

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٥٦ ح ١٣ وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام، وعنه البرهان: ج ١ ص ٥٢٠ ح ٣.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ، أي: كيف تَشْهَدون ﴿أَنَّ مَعَ ٱللهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ بعدَ قيامِ الحجَّةِ بوحدانيَّةِ اللهِ تعالىٰ ﴿قُلْ لَّآأَشْهَدُ﴾ بـإثباتِ الشـريكِ له ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأَوثانِ وغيرِها، وهذه شهادةٌ بالوحدانيَّةِ وبراءَةٌ من كلِّ دينٍ يؤدِّي إلى الشركِ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِ إِنَّهُ لَايُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَـقُولُ لِـلَّذِينَ أَشْـرَكُـوٓاْ أَيْـنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللهِ رَبِّنَا مَاكُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤)

وقُرِئَ: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ثُمَّ يَقُولُ» بالياءِ[١] أَي: يَحشُرُهم اللهُ ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنَّها تنفعُكم، وأُضيفَ الشـركاءُ إليـهم لأَنَّـهم اتَّـخذُوها لأَنـفسِهم ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ أَي: كفرُهم، أَي: لم تكن عاقبةُ كفرِهم وشركِهم إلَّا جحودَه والتَبرُّؤَ منه والحلفَ على الانتفاءِ[٢] منه، وقيل: معناه: لم تكُنْ معذرتُهم حينَ وُبِّخُوا بشركِهم، أَو لم يكُنْ جوابُهم حينَ سُئِلُوا واختُبِرَ ماعندَهم بالسُؤَالِ إلَّا هذَا القولَ[٣]. وقُرِئَ: «لم تكُنْ» بالتَاءِ و«فِتْنَتَهم» بـالنَصبِ[٤]، وإِنَّـما أُنِّثَ ﴿أَن قَـالُواْ﴾ لوقوعِ الخبرِ مؤَنَّثاً كـقولِهم: «مَـنْ كـانَتْ أُمَّك»، وقُـرِئَ بـالياءِ ونـصبِ

---

(١) وهي قراءة يعقوب. راجع التبيان: ج ٤ ص ٩٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٥.

(٢) في نسخة: الانتقام.

(٣) قاله قتادة علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٢.

(٤) قرأه نافع وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٤.

«الفتنةِ»[١]؛ وقُرِئَ بالتّاءِ والياءِ ورفعِ «الفتنةِ»[٢]، وقُرِئَ: «رَبَّنا» بالنصبِ[٣] على الدُّعاءِ والنداءِ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يفترون إلـهيَّتَه وشفاعتَه، وإنَّما يصحُّ وقوعُ الكذبِ منهم مع اطِّلاعِهم علىٰ حقائِقِ الأُمورِ ومعارِفِهم الضروريَّةِ لِما يَلْحَقُهم من الدَهَشِ والحَيْرَةِ من أهوالِ ذلك اليومِ وشدائِدِه، والمبتلَىٰ قد يَنْطِقُ بما لايَنْفَعُه من غيرِ رويَّةٍ وفكرٍ في عاقبَتِه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّايُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَايَشْعُرُونَ﴾ (٢٦)

رُوِيَ أنَّه اجْتَمَعَ الوليدُ بنُ الْمُغَيْرَةِ[٤] وأبو جهلٍ وأَبو سُفْيانَ والنَضرُ[٥]

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي علىٰ ماحكاه ابن مجاهد في السبعة في القراءات: ص ٢٥٤، وابن غلبون في التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٣٩٥.

(٢) حكاها ابن غلبون في تذكرته: ج ٢ ص ٣٩٥ ونسبها الى المفضل عن عاصم وحمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٩٧، وابن مجاهد في السبعة في القراءات: ص ٢٥٥، وابن غلبون في التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٣٩٦، وفي لفظ الطبري: ج ٥ ص ١٦٦: «عامة أهل الكوفة».

(٤) هو الوليد بن المغيرة بن مخزوم، والد خالد بن الوليد، وكان أحد المستهزئين ومن أشدهم عداوة وأذىً على النبي صلى الله عليه وآله ودعوته المباركة، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بالحجون. (الاعلام للزركلي: ج ٨ ص ١٢٢).

(٥) هو النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبدالدار، صاحب لواء المشركين ببدر، وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وآله ومن أشدّ المشركين أذىً عليه، فكان اذا جلس النبي صلى الله عليه وآله مجلساً للتذكير بالله والتحذير مما أصاب الأمم الخالية، جلس النضر بعده يحدّثهم بأخبار الملوك ونعمهم وموائدهم ويقول: أنا أحسن حديثاً منه، أُسر يوم بدر وقُتل كافراً. (الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٣ ص ٥٥٥، الاعلام للزركلي: ج ٨ ص ٣٣).

وعُتْبَةُ[١] وشَيْبَةُ[٢] وأَضرابُهم[٣] يَسْتَمِعون تِلاوةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا للنضرِ: ياأَبا قتيلة مايقولُ محمّدٌ؟ فقال: والّذي جعلَها بيتَه - يعني الكعبةَ - ماأدري مايقولُ، إلّا أنّه يُحرِّكُ لسانَه ويقولُ أَساطيرَ الأوّلينَ مثلَ ماحَدَّثْتُكم، وقالَ أبو سفيان: إنّي لاأَراه حقّاً، فقالَ أبو جهلٍ: كلّا، فَنَزَلَتْ[٤].

والأَكِنَّةُ على القلوبِ والوَقْرُ في الآذانِ، مثلٌ في نُبُوِّ[٥] قلوبِهم وأَسماعِهم عن قبولِه، وأَسْنَدَ الفعلَ إلىٰ نفسِه في قولِه: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ليدلَّ علىٰ أنّه أمرٌ ثابتٌ مستقرٌ فيهم كأنّهم مجبولون عليه، أو هي حكايةٌ لما كانوا يَنطِقون به من قولِهم: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[٦]، و ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ في موضعِ الحالِ، و ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ تفسيرٌ لجدالِهم، والمعنىٰ: أنّه بَلَغَ تكذيبُهم بالآياتِ إلىٰ أنّهم يُجادِلونَك ويُناكِرونَك ويَجعلونَ كلامَ اللهِ الّذي هو أَصدقُ الحديثِ أَكاذيبَ وخرافاتٍ، وهي الغايةُ في التكذيبِ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ النّاسَ عن القرآنِ وعن الرسولِ واتّباعِه، ويُثَبِّطونَهم عن التصديقِ به ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بأَنفسِهم فيُضِلُّون

(١) هو عتبة بن أبي سفيان، ولد علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ولّاه عمر بن الخطاب الطائف، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد حرب الجمل مع عائشة وفُقِئت عينه بها، ولي إمارة مصر من قبل أخيه معاوية لمّا مات عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ، ثم خرج الى الاسكندرية مرابطاً، فابتنىٰ داراً في حصنها القديم، مات بمصر سنة ٤٤ هـ. (أُسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٠، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٣٨).

(٢) هو شيبة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، خال معاوية بن أبي سفيان، من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الاسلام وقُتل على الوثنية يوم بدر، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾. (أُسد الغابة: ج ٣ ص ٧، الاعلام للزركلي: ج ٣ ص ١٨١).

(٣) في نسخة: أحزابهم.

(٤) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ١٧٦، والكشّاف: ج ٢ ص ١٣.

(٥) النبوّ بتشديد الواو وتخفيفها: الكَلّ والإعياء. (القاموس المحيط: مادة نبو).

(٦) فصّلت: ٥.

ويَضِلُّون ﴿وَ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ولايَتَعَدَّىٰ ضررُهم إلىٰ غيرِهم وإن ظنُّوا أنَّهم يضرُّون رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله[١].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ (٢٨)

جوابُ ﴿لَوْ تَرَىٰٓ﴾ محذوفٌ، والتقديرُ: لَرأَيْتَ أمراً فظيعاً[٢]، والمعنىٰ: ولو تَرَىٰ إذْ أُطْلِعوا على النارِ حتَّىٰ يعايِنُوها، أَو أُدْخِلُوها فَعَرَفوا مقدارَ عذابِها، من قولِك: وَقفْتُهُ علىٰ كَذا: إذا عرَّفْتَه وفَهَّمْتَه[٣] ﴿فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمَّ هنا تمنِّيهم، ثمَّ ابْتَدأوا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ أَي: ونحن لانُكَذِّبُ ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾ ونُؤْمِنُ، ويجوز أن يكونَ معطوفاً علىٰ ﴿نُرَدُّ﴾ أَو حالاً علىٰ معنىٰ: ياليتَنا نُرَدُّ غيرَ مكذِّبين وكائِنين من المؤْمنين، فيدخلُ تحتَ حكمِ التمنِّي[٤]. وقُرِئَ: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ و ﴿نَكُونَ﴾ بالنصبِ بإِضمارِ «أَن» علىٰ جوابِ التَمنِّي، ومعناه: إِن رُدِدْنا لم نُكَذِّبْ ونَكُنْ من

(١) قال الشيخ رحمه الله: وفي الآية ـ الأخيرة ـ دلالة علىٰ بطلان قول من قال: معرفة الله ضرورة وأنّ من لايعرف الله ولايعرف نبيّه لاحجة عليه، لأنّ الله بيّن أنَّ هؤلاء الكفّار قد أهلكوا أنفسهم بنهيهم عن قبول القرآن وتباعدهم عنه وأنّهم لايشعرون ولايعلمون بإهلاكهم أنفسهم بذلك، فلو كان من لايعرف الله ولانبيّه ولادينه لاحجّة عليه لكانوا هؤلاء معذورين ولم يكونوا هالكين، وذلك خلاف مانطق به القرآن. (التبيان: ج ٤ ص ١٠٧).

(٢) راجع تفصيله في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٣٦.

(٣) قال الزجاج: ومعنىٰ «وقفوا» علىٰ النار يحتمل ثلاثة أوجه: جائز أن يكونوا عاينوها، وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم، والأجود أن يكون معناها: دخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام: قد وقفت علىٰ ماعند فلان، تريد قد فهمته وتبيّنته. (معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٩).

(٤) وهو اختيار البلخي والجبّائي والزجّاج علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٠٨، راجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٩.

المؤمنين ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّاكَانُواْ يُخْفُونَ﴾ من الناسِ من قبائِحِهم وفضائِحهم في صُحُفِهم وبشهادةِ جوارِحِهم عليهم، فلذلك تَمَنَّوا ماتَمَنَّوا ضجراً لا أَنَّهم عازمون علىٰ أَنَّهم لو رُدُّوا لآمَنوا ﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ من الكفرِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ فيما وَعَدُوا من أَنفسِهم لايفُون به.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَانَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّـنَا قَـالَ فَـذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠)

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ عطفٌ علىٰ قولِه: ﴿لَعَادُواْ﴾ أَي: ولو رُدُّوا لكَفَرُوا وَقالُوا: ما ﴿هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ كما كانوا يقولونه قبلَ مُعايَنَةِ القيامةِ، أَو عطفٌ علىٰ قولِهِ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أَي: وهم كاذبون في كلِّ شيءٍ، وهم الَّذين قالوا ذلك ﴿وَلَوْ تَـرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ للتوبيخِ والسُّؤالِ كما يوقَفُ العبدُ الجاني بينَ يَدَيْ مولاهُ[1]، وقيلَ: وُقِفُوا علىٰ جزاءِ ربِّهم[2]، وقيل: عُرِّفوه حقَّ التعريفِ[3] كما يُقالُ: وَقَفْتُه علىٰ كلامِ فلانٍ، أَي: عَرَّفْتُه إِيَّاه ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِالْحَقِّ﴾ هذا تعييرٌ من اللهِ لهم علىٰ تكذيبِهم بالبعثِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أَي: بكفرِكم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَافَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُـهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَايَزِرُونَ (٣١) وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٢)

---

(١) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٦.

(٢) قاله السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٨٠.

(٣) أجازه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٤ ص ١١٤.

﴿كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ ببلوغِ الآخرةِ وما يَتَّصِلُ بها من الجزاءِ، و ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةٌ لـ ﴿كَذَّبُواْ﴾ أي: دامَ تكذيبُهم إِلىٰ حسرتِهم وقتَ مجيءِ الساعةِ ﴿بَغْتَةً﴾ أي: فَجْأَةً، وانتصابُها على الحالِ[١] بمعنىٰ: باغِتةً، وعلى المصدرِ[٢] بمعنىٰ: بَغَتَتْهم بغتةً ﴿فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضميرُ للحياةِ الدنيا وإِن لم يَجْرِ لها ذكرٌ للعلمِ بها، أو للساعةِ على معنىٰ: قَصَّرْنا في شأنِها، نحوُ قولِه: ﴿فَرَّطتُ فِى جَنبِ ٱللَّهِ﴾[٣]، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ هو مثلُ قولِه: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٤] لأَنَّ الأثقالَ تُحْمَلُ على الظهورِ في العادةِ كما أَنَّ الكسبَ يكونُ بالأَيدي ﴿سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أَي: بِئْسَ شيئاً يَزِرون وِزْرُهم، حُذِفَ المخصوصُ بالذمِّ، وجَعَلَ سبحانه أَعمالَ الدُنيا لَعِباً ولهواً؛ لأَنَّها لاتُجْدي[٥] ولاتُعَقِّبُ نفعاً كما تُعَقِّبُ أَعمالُ الآخرة المنافعَ العظيمةَ، وقُرِئَ: «وَلَدارُ الأَخِرَةِ»[٦] وتقديرُه: ولدارُ الساعةِ الآخرةِ؛ لأَنَّ الشيءَ لايُضافُ إِلىٰ نفسِه، وقولُه: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ دليلٌ علىٰ أَنَّ ماسوىٰ أَعمالِ المتَّقين لعبٌ ولهوٌ.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَاكُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَامُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٤)

---

(١) واختاره النحّاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) وهو اختيار سيبويه علىٰ ماحكاه عنه النحّاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٣.
(٣) الزمر: ٥٦. (٤) الشورى: ٣٠.
(٥) في نسخة زيادة: شيئاً.
(٦) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ١١٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٧.

﴿قَدْ﴾ هاهنا بمنزلةِ «رُبَّما» الَّذي يجيُ لزيادةِ الفعلِ وكثرتِه، والهاءُ في ﴿إِنَّهُ﴾ ضميرُ الشأنِ[١]، و ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾ قُرِئَ بفتحِ الياءِ وضمِّ الزاي[٢]، وبضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي[٣]، و ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ هو قولُهم: ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[٤] و ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٥]، ﴿فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ﴾ قُرِئَ بالتشديدِ والتخفيفِ[٦]، من كَذَّبَه: إِذا جَعَلَه كاذباً، وأَكْذَبَه: إِذا وَجدَه كاذباً، والمعنىٰ: أَنَّهم لايُكَذِّبونك في الحقيقةِ وإِنَّما يُكَذِّبون اللهَ لأَنَّك رسولُه المصدَّقُ بالمُعجِزاتِ، فتكذيبُك راجعٌ إِليه وإِلىٰ جحودِ آياتِه، وهذا تسليةٌ لهعليه السلام، وقيلَ: معناه: فإِنَّهم لايُكَذِّبونك بقلوبِهم ولكنَّهم يَجْحَدون بأَلسنتِهم[٧] كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَقامَ الظاهرَ مقامَ الضميرِ[٩] ليَدُلَّ علىٰ أَنَّهم ظَلَموا في جحودِهم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وعن عليٍّعليه السلام أَنَّه قُرِئَ عندَه: ﴿لَايُكَذِّبُونَكَ﴾ فقالَ: «بَلىٰ وَاللهِ فَقَدْ كَذَّبُوه، ولكن لايُكَذِّبونك: لايأْتون بحقٍّ أَحَقَّ منْ حَقِّكَ»[١٠]، ﴿وَلَقَدْ

---

(١) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٧.

(٣) قرأه نافع وحده. راجع التبيان: ج ٤ ص ١١٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٧.

(٤) الصافات: ٣٦. (٥) صٓ: ٤.

(٦) وهي قراءة نافع والكسائي والأعشىٰ إلّا النفار، وهو المروي عن عليعليه السلام وعن أبي عبداللهعليه السلام. راجع التبيان: ج ٤ ص ١١٩، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٣١.

(٧) قاله الكلبي علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٧.

(٨) النمل: ١٤. (٩) في بعض النسخ: المضمر.

(١٠) رواها الكليني في الكافي: ج ٨ ص ٢٠٠ ح ٢٤١، والعياشي في تفسيره: ج ١ ص ٣٥٩ ح ٢٠، والبحراني في البرهان: ج ١ ص ٥٢٣ ح ٣، والفيض الكاشاني في الصافي: ج ١ ص ٥١٣ بلفظ: «لايأتونك بباطل يكذبون به حقّك»، وفي تفسير القمي: ج ١ ص ١٩٦ عن الصادقعليه السلام بلفظ: «لايأتون بحقّ يبطلون حقّك».

كُذِّبَتْ﴾ تسليةٌ أيضاً ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ أي: على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّىٰٓ﴾ جآءَهُمْ﴿نَصْرُنَا﴾ إياهم على المكذّبين ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لمواعيدِه من قولِه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ (١) ، ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: بعض أنبائِهم وقِصَصِهم وما كابَدوا(٢) من قومِهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧)

كان يَعْظُمُ على النبيِّ صلى الله عليه وآله إعراضُ قومِه عن الإيمانِ(٣) وقبولِ دينِه فنزَلَتْ(٤)، ونحوه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾(٥)، ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ أي: إن قدَرْتَ وتَهيَّأَ لك ﴿أَن﴾ تطلبَ ﴿نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سَرَباً ومَنْفَذاً تَنْفُذُ فيه إلىٰ ما تحتَها حتّىٰ تَطلعَ لهم آيةً يؤْمنون عندَها ﴿أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم﴾ منها ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ فافْعَلْ، أي: إنَّك لاتَستطيعُ ذلك، وحُذِفَ جوابُ «إن»(٦)، وقيلَ: فتَأْتِيَهم بآيةٍ أفضلَ ممّا آتَيْناهم به يُريدُ أنّه لا آيةَ أفضلُ منه(٧) ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

---

(١) الصافات: ١٧١ و ١٧٢.

(٢) كابَدَه: أي قاساه. (القاموس المحيط: مادة كبد).

(٣) في نسخة زيادة: به.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٩.

(٥) الكهف: ٦.

(٦) انظر الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٤٣.

(٧) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص١٠٨، وعنه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ١٨٣ ح ١٣٢٠٤.

﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ بأَن يأْتِيَهم بآيةٍ مُلجِئةٍ ولكنَّه لايَفعَلُ لخروجِه عن الحكمةِ ﴿فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ﴾ الَّذين يَجهَلون ذلك ويَرومون ماهو خلافُه ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، ﴿وَ﴾ الَّذين تَحرِصُ علىٰ إِيمانِهم بمنزلةِ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الَّذين لايَسمَعون، ثمَّ وَصَفَ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بأنَّه ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾ من القبور يوم القيامة ويَحكُمُ فيهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فحينئذٍ يَسْمَعُونَ، وأمَّا قبلَ ذلك فلاسبيلَ إلىٰ إسماعِهم ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ تَرَكُوا الاعتدادَ بما نُزِّلَ عليه من آياتِ اللهِ والمُعجزاتِ مع كَثرتها، كأنَّه لم يُنزَّلْ عليه شيءٌ من الآياتِ عناداً منهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ تَضْطَرُّهم إلى الإيمانِ كنتقِ الجبلِ علىٰ بني إسرائيل ونحوِه أَو آيةً إن جَحَدوها جاءَهم العذابُ ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ﴾ أنَّه سبحانه يَقْدِرُ عليه، وأنَّ صارفاً من الحكمةِ يَصْرِفُ[1] عنه.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّافَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣٩)

جمعَ بهذَيْن القولَيْن جميعَ الحيواناتِ؛ لأَنَّها لاتَخلو من[2] أَن تكونَ ممَّا يَدُبُّ على الأَرضِ أَو ممَّا يَطيرُ ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ مكتوبةٌ أَرزاقُها وآجالُها وأَعمالُها كما كُتِبَتْ أَرزاقُكم وآجالُكم وأَعمالُكم[3]، وقيلَ: أَشباهُكم في أَنَّ اللهَ أَبْدَعَها، وفي دَلالتِها علىٰ وحدانيَّتِه[4]، وفي أَنَّهم يَموتون ويُحشَرون[5]

(١) في نسخة: يصرفه.
(٢) في نسخة: «إمّا» بدل «من».
(٣) وهو اختيار النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٥، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٢١.
(٤) قاله ابن عبّاس في تفسيره: ص ١٠٩، وحكاه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٤٢٠ عن سفيان بن عيينة.
(٥) ←

﴿مَّافَرَّطْنَا﴾ ماتَرَكنا ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أَي: في اللوحِ المحفوظِ ﴿مِن شَىْءٍ﴾ من ذلك لم نَكتُبْه ولم نُثبِتْ ماوَجَبَ إِثباتُه ممَّا يختصُّ به، وقيل: المرادُ بالكتابِ القرآنُ لأَنـّه تعالىٰ ذَكَرَ فيه جميعَ مايُحتاجُ إِليه من أُمورِ الدينِ والدنيا إِمَّا مجملاً وإِمَّا مفصَّلاً[١] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٢] يعني الأُممَ كلَّها فيُعَوِّضُها ويَنْتَصِفُ لبعضِها من بعضٍ، وفيه دَلالةٌ علىٰ عِظَمِ قدرتِه ولطفِ تدبيرِه في الخلائِقِ المختلفةِ الأَجناس وحفظِه لما لَها وعليها، وأَنَّ المكلَّفين لم يَختصُّوا بذلك دونَ من سِواهم.

ولمَّا ذَكَرَ من خلائِقِه مايَشهَدُ لربوبيَّتِه قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ﴾ أَي: صُمٌّ لايَسمَعون كلامَ المنبِّهِ ﴿وَبُكْمٌ﴾ لايَنطِقون بالحقِّ، خابِطون في ظُلماتِ الكفرِ، فهُم غافلون عن تأَمُّلِ ذلك ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ أَي: يَخْذُلْه ولايَلْطُفْ به؛ لأَنـّه ليس من أَهله ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أَي: يَلْطُفْ به لأَنـّه من أَهلِه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ

---

(٥) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤٥، ونسبه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٢ إلىٰ قول الجمهور.

(١) وهو قول النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٦، واختاره الجبائي كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٢٩.

(٢) قال شيخ الطائفة ﴿ﷺ﴾: واستدل قوم من التناسخية بهذه الآية علىٰ أَنّ البهائم والطيور مكلّفة لأَنـّه قال: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾، وهذا باطل؛ لأنّا قد بيّنا من أيّ وجه قال: إنّها ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾، ولو وجب حملها على العموم لوجب أن تكون أمثالنا في كونها ناساً وفي مثل صورنا واخلاقنا. فمتىٰ قالوا: لم يقل أمثالنا في كل شيء، قلنا: وكذلك الامتحان والتكليف، على أنـّهم مقرّون بأن الأطفال غير مكلّفين ولاممتحنين فما يحملون به امتحان الصبيان بعينه نحمل بمثله امتحان البهائم، وكيف يصحّ تكليف البهائم والطيور وهي غير عاقلة؟ والتكليف لايصحّ إلّا لعاقل، على أنّ الصبيان أعقل من البهائم ومع هذا فليسوا مكلّفين فكيف يصحّ تكليف البهائم ؟!

إن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَاتُشْرِكُونَ﴾ (٤١)

﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ [1] معناه: أَخبِروني، و «كُمْ» لامحلَّ له من الإعراب؛ لأنَّك تقول: أَرأَيْتَكَ زَيْداً ماشأْنُه، فلو جعلتَ للكاف محلّاً لكنتَ كأنَّك تقولُ: أَرأيتَ نفسَك زيداً ماشأْنُه، وذلك فاسدٌ، والمعنىٰ: أَخبِروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ﴾ القيامةُ مَنْ تَدْعُونَ؟ ثمَّ بكَّتهم بقولِه: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أَي: أَتَخُصُّون آلهتَكم بالدعوةِ كما هي عادتُكم إذا أَصابكم ضُرٌّ أَم تَخُصُّونَ اللهَ دونَها؟ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل تَخُصُّون اللهَ بالدعاءِ دونَ الآلهة ﴿فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ﴾ إلىٰ كشفِه ﴿إِن شَآءَ﴾ أَن يَتَفَضَّلَ عليكم بكشفِه ﴿وَتَنسَوْنَ مَاتُشْرِكُونَ﴾ أَي: وتترُكون آلهتَكم ولاتذكُرونها في ذلك الوقتِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٤٥)

«ٱلْبَأْسَآءِ» من البأسِ أَو البُؤْسِ، و «الضرَّاء» من الضُرِّ، وقيل: البأساءُ: القحطُ والجوعُ، والضرَّاءُ: المرضُ ونقصانُ الأَنفسِ والأَموالِ [2]، والمعنىٰ: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) راجع تفصيلات إعرابها في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٤٦ تجد مايغنيك عن غيره.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤٨ وحكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٨٤.

أَرْسَلْنَآ﴾ إليهم الرُسُلَ فكَذَّبوهم ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم﴾ بالبليّاتِ في أَنفسِهم وأَموالِهم لكي يَتضَرَّعوا ويَخْضَعوا ويَتَذَلَّلوا ويَتوبوا عن ذنوبِهم ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ معناه: نفيُ التضرُّعِ، كأَنَّه قيل: فلم يَتَضرَّعوا إِذ جاءَهم بأْسُنا، ولكنَّه جاءَ بـ﴿لَوْلَآ﴾ ليدلَّ علىٰ أَنَّه لم يكن لهم عذرٌ في تركِ التضرُّعِ إلّا عنادُهم وقَسْوَةُ قلوبِهم ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من البأساءِ والضرَّاءِ، أَي: تَرَكوا الاتِّعاظَ به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الصحَّةِ والتَوسعةِ في الرزقِ وأَصنافِ النِعَمِ[١] كما يَفْعَلُ الوالدُ البارُّ بولدِه العاقِّ يُخاشِنُه تارةً ويُلاطِفُه أُخرىٰ طلباً لصلاحِه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ من الخيرِ والنِعَمِ ولم يزيدوا إلّا على البَطَرِ والأَشَرِ وماتَصدَّوْا لتوبةٍ ولااعتذارٍ ﴿أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾ أَي: مُفاجَأَةً من حيثُ لايَشعُرُون ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من النَجاةِ والرَحمةِ، وقيل: متحيِّرون منقطعو الحجَّةِ[٢] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ أَي: آخِرُهم لم يُتْرَكْ منهم أَحدٌ، واستُؤْصِلَتْ شأْفتُهم[٣] بالعذابِ فلم يبقَ لهم عَقِبٌ ولانسلٌ ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ علىٰ إِهلاكِ أَعدائِه وإِعلاءِ كلمتِه، وهذا إِيذانٌ بوجوبِ الحمدِ للهِ عندَ هلاكِ الظَلَمَةِ وأَنَّه من أَجَلِّ النِعَمِ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

---

(١) في نسخة زيادة: إليهم.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣٥، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٣٧.

(٣) أصل الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوىٰ فتذهب أو إذا قطعت مات صاحبها، واستأصل الله شأفته: أذهبه كما تذهب تلك القرحة، أو أزاله من أصله. (القاموس المحيط: مادة شأف).

ٱلظَّـٰلِمُونَ (٤٧) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (٤٩)

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ﴾ بأن يُصِمَّكم ويُعْمِيَكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بأن يُغَطِّيَ عليها مايُذْهِبُ عقلَكم ويَسْلُبُ تمييزَكم ﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم﴾ بما أَخَذَ منكم وخَتَمَ عليه، أَو أَراد يأتيكم بذاك، فوُضِعَ الهاءُ موضِعَ اسم الإشارةِ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ أَي: نُوَجِّهُها في الجهاتِ الَّتي نُظْهِرها أَتَمَّ الإظهارِ، مرَّةً في جهةِ النعمةِ ومرَّةً في جهةِ الشدَّةِ ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أَي: يُعْرِضون عنها بعدَ ظهورِها، وإنَّما قابَلَ البَغْتَةَ بالجهرةِ لِما في البَغْتَةِ من معنى الخُفْيَةِ وهو وقوعُ الأَمرِ من غيرِ أَن يُشْعَرَ به وتَظْهَرَ أَماراتُه[١]، وعن الحسنِ: ليلاً أَو نهاراً[٢] ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ أَي: مايُهْلَكُ هلاكَ تعذيبٍ وسَخَطٍ ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الَّذين ظَلَموا بكفرِهم وفسادِهم ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمَنَ بهم وبما جاءُوا به ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَن عصاهم وكَذَّبَهم ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ جَعَلَ العذابَ ماسّاً، كأَنَّه حيٌّ يَفْعَلُ بهم مايُريدُ من الآلامِ، ونحوهُ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[٣].

﴿قُل لَّآأَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآأَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآأَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّامَايُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَاتَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥٠)

---

(١) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤٩.
(٢) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٤٠.
(٣) الفرقان: ١٢.

أي: ﴿لَآ﴾ أدَّعي ملكَ ﴿خَزَآئِنُ﴾ رحمةِ ﴿ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الّذي يختصُّ اللهُ تعالىٰ بعلمِه، وإنّما أَعْلَمُ منه مايُعَلِّمُني اللهُ ويَخُصُّني به ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ لأنّي إنسانٌ تَعرِفون نَسَبي، لاأَقدِرُ علىٰ مايَقدِرُ عليه المَلَكُ ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: ماأُنَبِّئُكُمْ بما كان فيما مَضىٰ ومايكونُ فيما يَسْتَقْبِلُ إلّا بالوحي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: الضالُّ والمُهتدي ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فلاتكونوا ضالّين أشباهَ العُمْيانِ وتُنْصِفوا من أنفسِكم.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٥٢)

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ الضميرُ يَرجِعُ إلىٰ ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾، و ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الّذين يَعترِفون بالبعثِ والحشرِ[١].

الصادقُ عليه السلام: «أَنْذِرْ بالقرآنِ الّذين يَرجون الوصولَ إلىٰ ربِّهم، تُرَغِّبُهمْ فيما عندَه، فإنَّ القرآنَ شافعٌ مشفَّع»[٢].

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: من دونِ اللهِ ﴿وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ فإنَّ شفاعةَ الشافِعينَ من الأنبياءِ والمؤْمنين تكونُ بإِذنِ اللهِ تعالىٰ فهي راجعةٌ إليه سبحانه، علىٰ أنَّ هذه الجملةَ في مَوضعِ الحالِ من ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾ والمعنىٰ: يَخافون أن يُحْشَروا غيرَ منصورين ولامشفوعاً لهم، ولابدَّ من هذهِ الحالِ؛ لأنَّ كلَّ الناسِ مَحشورٌ، فالمَخوفُ إنّما هو الحشرُ علىٰ هذه الحالِ.

---

(١) في نسخة: النشر.

(٢) أوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٠٤.

ثمَّ ذكَرَ سبحانه المتَّقين وأَمَرَ بتقديمِهم وتقريبِهم، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ يعبُدونه ﴿بِالْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يطلُبون ثوابَه ويَبتغون مَرضاتَه، والوجهُ يُعَبَّرُ به عن ذاتِ الشيءِ وحَقيقَتِه.

رُوِيَ: أَنَّ رُؤَساءَ قريشٍ قالوا لرسولِ اللهِ ﷺ: لو طَرَدْتَ هٰؤُلاءِ الأَعْبُدَ ـ يَعْنون فقراءَ المؤمنين ـ جلَسْنا إليك، فقال ﷺ: ما أَنَا بِطارِدِ المؤمِنِينَ، قالوا: فَأَقِمْهُم عنَّا إذا جئْنا، قال: نَعَمْ، طمعاً في إيمانِهم فأنزلَ اللهُ عليه هذه الآية[1].

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾[2]، وذلك أنَّهم طَعَنوا في دينِهم وإخلاصِهم، والمعنىٰ: ولو كانَ الأَمرُ كما يَقولون عندَاللهِ فما عليك إلَّا اعتبارُ الظاهرِ، وإن كان باطنُهم غيرَ مَرْضيٍّ فحسابُهم عليهم لايَتَعَدَّاهم إليك كما أَنَّ حسابَك عليك لايَتَعَدَّاك إليهم، كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3]، وقيل: إنَّ الضميرَ للمشركين[4] والمعنىٰ: لايُؤاخذون بحسابِك ولا أنت تُؤاخَذُ بحسابِهم حتَّىٰ يَهُمَّك إيمانُهم ويَجُرَّك الحرصُ عليه إلىٰ أن تَطْرُدَ المؤْمنين، وقوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جوابُ النفي و ﴿فَتَكُونَ﴾ جوابُ النهي، ويجوزُ أن يكونَ عطفاً علىٰ ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ علىٰ وجهِ التسبيبِ؛ لأَنَّ كونَه ظالماً مسبَّبٌ عن طردِهم[5]، وقُرِئَ: «بِالْغُدْوَةِ وَالْعَشِيِّ»[6] [7].

---

(١) رواها السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٨٧ عن سعد بن أبي وقّاص، والرازي في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٣٤ عن ابن مسعود، وراجع أسباب النزول للواحدي: ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) الشعراء: ١١٣.

(٣) الأنعام: ١٦٤، الاسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

(٤) قاله الرازي في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٣٦.

(٥) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٢٨.

(٦) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٤٤، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٨٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٨.

(٧) ←

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ (٥٣) وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٥٥)

أي: ومثلُ ذلك الفَتنِ العظيمِ ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتَلَيْناهم بهم، وذلك أنَّ المشركين قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون المُسلمين ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أي: أَنْعَمَ الله عليهم بالتَوفيقِ لإصابةِ الحقِّ من دونِنا ونحن الرُؤَساءُ والأَشرافُ وهم العبيدُ والأَنذالُ[١] إنكاراً لأَن يكونَ أَمثالُهم على الحقِّ، ونحوهُ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[٢]، ومعنىٰ «فَتَنَّاهُمْ»: خَذَلْناهم فَافْتَتَنوا حتَّىٰ كان افتتانُهم سبباً لهذا القولِ؛ لأَنَّه لايقولُ مثلَ هذا القولِ إلَّا مفتونٌ مخذولٌ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: اللهُ أَعلمُ بمن يَقَعُ منه الإيمانُ والشُكرُ فيُوفِّقُهُ للإيمانِ، ومن صَمَّمَ علىٰ كفرِه يَخذُلُه ويَمنَعُهُ التَوفيقَ ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هو أَمرٌ بتبليغِ سلامِ اللهِ تعالىٰ إليهم، أَو أَمرٌ بأَن يَبْدَأَهم بالسلامِ تَبجيلاً لهم، وكذلك قولُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ من جملةِ مايَقولُ لهم ليُسَرُّوا، وقُرِئَ: «إِنَّه»[٣] فإِنَّه بالكسرِ على

→ (٧) قال البلخي: قراءة ابن عامر غلط؛ لأَنَّ العرب إذا أدخلت الألف واللام قالوا: الغداة، يقولون: رأيتك بالغداة، ولايقولون: بالغدوة، فإذا نزعوا الألف واللام قالوا: رأيتك غدوة، وإنّما كتبت الواو في المصحف كما كتبوا «الصلاة» و «الزكاة» و «الحياة» كذلك. وقال أبو علي الفارسي: الوجه «الغداة»؛ لأنّها تستعمل نكرة وتتعرف باللام، فأمّا «غدوة» فمعرفة أبداً، وهو علم صيغ له. وقال سيبويه: غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسماً للجنس كما جعلوا «أم حنين» اسماً لدابة معروفة كذلك هذا. انظر التبيان: ج ٤ ص ١٤٥.

(١) النذل والنذيل: الخسيس من الناس والمحتقر في جميع أحواله. (القاموس المحيط: مادة نذل).

(٢) الأحقاف: ١١.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي. انظر كتاب السبعة في القراءات ←

الاستئنافِ كأنَّه تفسيرٌ للرَحمةِ، وبالفتح على الإبدالِ من الرَحمةِ ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ في موضِعِ الحالِ، أي: عَمِلَه وهو جاهلٌ، بمعنىٰ: أَنَّه عَمِلَ عملَ الجاهلين؛ لأَنَّ مَـن عَمِلَ مايَسْتَوْبِلُ عاقبتَه عالماً بذلك فهو من أَهل الجهلِ، ويـجوزُ أَن يُـرادَ عَـمِلَه جاهلاً بما يَتْبَعُه من الضَررِ والمكروهِ[1]، ومَن كانَ حكيماً لم يُقْدِمْ علىٰ فعلِ شيءٍ حتَّىٰ يَعْلَمَ حالَه، وقُرِئَ: ﴿لِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاءِ والياءِ[2] مع رفعِ ﴿سَبِيلُ﴾ لأَنَّها تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ، وبالتاءِ علىٰ خطابِ النَبيِّ صلى الله عليه وآله ونصبِ الـ«سبيل»، يقال: «استبان الأَمرُ» و «تَبَيَّنَ» و «اسْتَبَنْتُه» و «تَبَيَّنْتُه»، والمعنىٰ: ومثلُ ذٰلِكَ التفصيلِ البيِّنِ ﴿نُـفَصِّلُ﴾ آياتِ القرآنِ في صفةِ أَحوالِ مَن لايُرجىٰ إِسلامُه، ومَن يُرىٰ فيه أَماراتُ القبولِ وتباشيرُ الإِيمانِ، وَلِتَسْتَوضِحَ سَبِيلَهم فتُعامِلَ كلّاً منهم بما يجبُ أَن يُعامَلَ به فَصَّلْنا ذلك التفصيلَ.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَـدْعُونَ مِـن دُونِ ٱللهِ قُـلْ لَّآ أَتَّـبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِ مَاعِندِى مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ (٥٧) قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾ (٥٨)

﴿نُهِيتُ﴾ عن عبادةِ ماتَعْبُدون ﴿مِن دُونِ ٱللهِ﴾، ﴿قُلْ لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ أَي: لاأَجري علىٰ طريقتِكم الَّتي سَلَكْتُمُوها من اتِّباعِ الهوىٰ دونَ اتِّباعِ الدليلِ ﴿قَـدْ ضَلَلْتُ إِذاً﴾ أَي: إِن اتَّبَعْتُ أَهواءَكم فَأَنَا ضالٌّ ﴿وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ السَالكينَ

(١) انظر التبيان: ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) قرأه عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٨، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٨٨.

← لابن مجاهد: ص ٢٥٨.

طريقَ الهُدىٰ، يعني: أَنـَّكم كذلك ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أَي: إِنِّي من معرفة من ربِّي، وأَنـَّه لامعبودَ سواه علىٰ حجةٍ واضحةٍ ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أَنتم حيثُ أَشْرَكْتُمْ به غيرَه، وإِذا كان الشيءُ ثابتاً عندَك ببرهانٍ قاطعٍ قلتَ: أَنَا علىٰ يقينٍ منه وعلىٰ بيِّنةٍ منه، وقيل: معناه: علىٰ حجَّةٍ من جهةِ ربِّي وهو القرآنُ[١] ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أَي: بالبيِّنةِ، وذُكِّرَ الضميرُ علىٰ تأويلِ القرآنِ، ﴿مَاعِندِى مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ يعني: العذابَ الَّذي استعْجَلوه في قولِهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٢]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في تأخيرِ عذابِكم، يَقْضِي ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أَي: القضاءَ الحقَّ في كلِّ مايَقضي من التأْخيرِ والتعجيلِ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أَي: القاضين، وقُرِئَ: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ أَي: يَتبَعُ الحقَّ والحكمةَ فيما يَحكُمُ به ويُقَدِّرُه، من قولِهم: قَصَّ أَثَرَه ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾ أَي: في قدرتي ﴿مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذابِ ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأَهْلَكتُكم عاجلاً غضباً لربِّي.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَافِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَاحَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَارَطْبٍ وَلَايَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٠)

الـ﴿مَفَاتِحُ﴾ جمعُ مِفْتَحٍ وهو المِفتاحُ، وجعل سبحانه للغيب مَفاتِح علىٰ طريقِ الاستعارةِ؛ لأَنَّ بالمفاتِحِ[٣] يُتوَصَّلُ إِلىٰ مافي المَخازِنِ المُغْلَقَةِ، أَراد أَنـَّه هو المُتوصِّلُ إِلىٰ جميعِ المغيباتِ بذاتِه وحدَه، لايَتَوَصَّلُ إِليها سواه كما يَتَوَصَّلُ إِلىٰ

---

(١) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٣٠.
(٢) الأنفال: ٣٢.
(٣) في نسخة: بالمفتاح.

مافي المخازنِ مَن عندَه مَفاتحُ أَقفالِه، ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿وَرَقَةٍ﴾ وداخلٌ في حكمِها، أَي: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ ولاشيءٍ من هذه الأَشياءِ إلَّا يَعْلَمُهُ، وقولُه: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ كالتكريرِ لقولِه: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ لأَنَّ معنىٰ ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ و ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ واحدٌ، والكتابُ المُبينُ: علمُ اللهِ، أَو اللوحِ المحفوظُ، أَو القرآنُ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّـٰكُم بِالَّيْلِ﴾ أَي: يَقْبِضُ أَرواحَكم عن التَصرُّفِ بالنَومِ كما يَقْبِضُها بالموتِ[1] ﴿وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم﴾ أَي: كَسَبْتُمْ من الأَعمالِ ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ من القبورِ ﴿فِيهِ﴾ أَي: في شأنِ ذلك الَّذي قَطَعْتُمْ به أَعمارَكم من النَومِ بالليلِ وكسبِ الأَعمالِ بالنهارِ[2] ومن أَجله ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو الأَجلُ الَّذي سمَّاه وضَرَبَه لبعثِ الموتىٰ وجزائِهم علىٰ أَعمالِهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وهو المرجعُ إلىٰ موقفِ الحسابِ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في ليلِكم ونهارِكم، وقيل: ثُمَّ يَبْعَثُكم من نومِكم أَي: يُنَبِّهُكم في النهارِ لتَسْتَوفوا آجالَكم[3]، جَعَلَ سبحانه انتباهَهم من النَومِ بَعْثاً.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٦١)

أَي: ﴿وَهُوَ﴾ المُقتدرُ المُستَعْلي علىٰ عبادِه ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾ ملائكةً ﴿حَفَظَةً﴾ يَحْفَظون أَعمالَكم وهم الكِرامُ الكاتبون، والفائِدةُ في ذلك أَنَّ العبادَ إذا عَلِمُوا أَنَّ الملائِكَةَ يَحْفَظُون أَعمالَهم في صحائِفَ تُعْرَضُ علىٰ رُؤوسِ الأَشهادِ يومَ

---

(١) وهو اختيار الجبائي والزجّاج علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٥٦، وراجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٥٧.

(٢) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٣٢.

(٣) قاله ابن جريج علىٰ ماحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٦، وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٥٨.

القيامةِ كان ذلك أَزْجَرَ لهم عن القبيحِ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ اسْتَوْفَتْ روحَه، وهم[١] مَلَكُ الموتِ وأَعوانُه[٢]، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي الَّتي للاستئنافِ ومابعدَها جملةٌ، وقُرِئَ: «تَوَفَّاه» بالإمالةِ[٣]، ويجوزُ أَن يكونَ ماضياً وأَن يكونَ مضارعاً بمعنىٰ «تَتَوَفَّاهُ»[٤] ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أَي: لايَتوانَوْن ولايَنْقُصون ممَّا أُمِرُوا به ولايَزيدون فيه، والتفريطُ: التقصيرُ والتأْخيرُ عن الحدِّ، والإِفراطُ: مُجاوَزَةُ الحدِّ.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ (٦٢) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٣) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٦٤)

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَي: إِلىٰ حكمِه وجزائِه ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ أَي: مالكهم الَّذي يَلي عليهم أُمورَهم ﴿ٱلْحَقِّ﴾ العدلِ الَّذي لايَحْكُمُ إِلَّا بالحقِّ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومئذٍ لاحكمَ فيه لغيرِه ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ لايَشْغَلُه حسابٌ عن حسابٍ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ مجازٌ عن مَخاوِفِهما وأَهوالِهما، يقالُ لليومِ الشديدِ: يومٌ مُظْلِمٌ ذو كواكبَ، أَي اشتدَّت ظلمتُه حتَّى صارَ كالليلِ ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ متضرِّعين بأَلسنتِكم ومُسِرِّين في أَنفسِكم «لَّئِنْ أَنجَيتَنا» علىٰ إِرادةِ القولِ، أَي قائِلين: إِنْ أَنْجَيْتَنا من هذهِ الظُّلمةِ والشدَّةِ، وقُرِئَ: ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ بالتشديدِ

(١) في نسخة: هو.

(٢) وهو قول الحسن علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ١٥٨.

(٣) قرأه حمزة. راجع التبيان: ج ٢ ص ١٥٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٠٢، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٩٠، وحجة القراءات لابن زنجلة: ص ٢٥٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٠.

(٤) وهي قراءة الأعمش. انظر إعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٧١، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٧.

والتخفيفِ[١]، و ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾، و ﴿خُفْيَةً﴾ بالضمِّ والكسرِ[٢] ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ يُخَلِّصُكم مِن هذه الشدَّةِ ﴿وَمِن كُلِّ﴾ غَمٍّ ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ باللهِ بعدَ قيامِ الحجَّةِ عليكم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥)

أَي: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن﴾ يُرْسِلَ ﴿عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما أَمْطَرَ علىٰ قومِ لوطٍ، وعلىٰ أَصحابِ الفيلِ الحجارةَ، وعلىٰ قومِ نوحٍ الطُّوفانَ ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وخَسَفَ بقارونَ[٣]، وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من قِبَلِ أَكابِركم وسلاطينِكم الظَلَمَةِ وَ ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ من قِبَلِ سِفْلَتِكم وعبيدِكم[٤]، وقيل: هو حبسُ المَطَرِ والنباتِ[٥] ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ أَي: يَخْلِطَكم فِرَقاً مُختلِفِي الأَهواءِ، كلُّ فرقةٍ منكم مشايعةٌ لإِمامٍ، ومعنىٰ خلطِهم: أَن يَختلِطوا ويَشْتَبِكُوا في ملاحِمِ القتالِ ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أَي: يقتلَ بعضُكم

(١) قرأه يعقوب وعلي بن نصر. انظر التبيان: ج ٤ ص ١٦٠، وتفسيرالبغوي: ج ٢ ص ١٠٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٦٠، واعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٧٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٠٣، والتيسير في القراءات للداني: ص ١٠٣، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٩.

(٣) وهو قول مجاهد وابن جبير. راجع تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩، وهو اختيار الزجّاج: ج ٢ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٤) قاله ابن عبّاس ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهما البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٤، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٧ ص ٩، وحكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٦٣ روايةً عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٥) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٣٣.

بعضاً، ونحوه قولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضاً﴾[١] قال الصادقُ عليه السلام: «هو سوءُ الجِوارِ»[٢]، والمعنىٰ في الآيةِ: الوعيدُ بأحدِ أصنافِ العذابِ المعدودةِ.

وفي الحديثِ: «إذا وُضِعَ السيفُ في أُمَّتي لم يُرْفَعْ عنها إلىٰ يومِ القيامةِ»[٣].

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَاتَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٦٨) وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٩)

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضميرُ للعذابِ[٤] ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: لابدَّ أن ينزِلَ بهم ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظٍ، أي: وُكِلَ إليَّ أمرُكم أمنعُكم من التكذيبِ إجباراً، إنّما أنا منذِرٌ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكلِّ شيءٍ يُنَبَّأُ به ويُخْبَرُ وقتُ استقرارٍ وحصولٍ لابدَّ منه، وقيل: الضميرُ في ﴿بِهِ﴾ للقرآنِ[٥] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ﴾ الاستهزاءِ بآياتِنا والطعنِ فيها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلاتُجالِسْهم[٦] وقُمْ عنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ فلابأسَ أن تُجالِسَهم حينئذٍ ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ النهيَ عن مُجالَسَتِهم ﴿فَلَاتَقْعُدْ﴾ معهم ﴿بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾،

---

(١) الأنعام: ١٢٩. (٢) التبيان: ج ٤ ص ١٦٣.

(٣) تفسير الطبري: ج ٥ ص ٢٢١ قطعة ح ١٣٣٧١، سنن البيهقي: ج ٩ ص ١٨١، تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ١٣٥، الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٢٦.

(٥) قاله الحسن والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٢٨، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٦٦، وحكى الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٦٣ هذا القول ونسبه الى الأزهري.

(٦) في بعض النسخ: فلا تجادلهم.

ويَجوزُ أَن يُرادَ: وإِن أَنساك الشيطانُ قبلَ النهي قبحَ مُجالَسَتِهِم فلاتَقْعُدْ معهم بعدَ أَن ذكَّرْناك قبحَها ونَبَّهْناك عليه[1] [2] ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أَي: وما يَلْزَمُ المتَّقين الَّذين يُجالِسونهم شيءٌ ممَّا يُحاسَبون عليه من ذنوبِهم ﴿وَلَـٰكِن﴾ عليهم أَن يُذكِّروهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ إِذا سَمِعوهم يَخوضون فيها بأَن يَقوموا عنهم ويُظْهِروا الكَراهيةَ لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يَجتنِبون الخوضَ كراهيةً لمساءَتِهم أَو حياءً، ويَجوزُ أَن يكونَ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ رفعاً[3] علىٰ: ولكن عليهم ذِكْرىٰ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَـوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللهِ وَلِـيٌّ وَلَاشَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّايُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠)

﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الَّذي كُلِّفُوه ودُعوا إِليه وهو دينُ الإِسلامِ ﴿لَعِباً وَلَهْواً﴾ حيثُ سَخِروُا به واسْتَهْزَأوا منه، ومعنىٰ «ذَرْهم»: أَعْرِضْ عنهم ولاتُبالِ بتكذيبِهم واستهزائِهم ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أَي: بالقرآنِ ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أَي: مخافةَ أَن تُسْلَمَ نفسٌ إِلى الهلاكِ والعذابِ، وتُرْتَهَنَ بسوءِ كسبِها ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أَي:

---

(١) وهو قول القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ١٤، والهمداني في الفريد: ج ٢ ص ١٦٧.

(٢) قال الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ١٦٥: واستدلّ الجبائي بالآية علىٰ أنّ الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان قال بخلاف مايقوله الرافضة بزعمهم أنّه لايجوز عليهم شيء من ذلك. وهذا ليس بصحيح؛ لأنّا نقول: إنّما لايجوز عليهم السهو والنسيان فيما يؤدّونه عن الله، فأمّا غير ذلك فانّه يجوز أن ينسوه أو يسهو عنه ممّا لم يؤد ذلك الى الاخلال بكمال العقل، وكيف لايجوز عليهم ذلك وهم ينامون ويمرضون ويُغشىٰ عليهم، والنوم سهو، وينسون كثيراً من متصرفاتهم أيضاً وماجرىٰ لهم فيما مضىٰ من الزمان، والذي ظنّه فاسد.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ٣٥، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

وَإن تَفْدِ كلَّ فداءٍ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً﴾، ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾ أي: أُسْلِمُوا إلى الهلاكِ ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ بكسبِهم وعملِهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٢)

أَي: ﴿أَ﴾ نَعْبُدُ ﴿مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ إن عَبَدْناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تَرَكْنا عبادتَه ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ راجعين عن دينِنا الَّذي هو خيرُ الأَديانِ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللهُ﴾ له ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالَّذي ذَهَبَتْ به مَرَدَةُ الجنِّ والغيلانُ في المَهامِهِ[١]، والاستهواءُ استفعالٌ من هَوَىٰ في الأَرْضِ: إذا ذَهَبَ، كأَنَّ المعنىٰ: طَلَبَتْ هُوِيَّه[٢]، ومَوضِعُ الكافِ نصبٌ على الحالِ من الضميرِ في ﴿نُرَدُّ﴾، أَي: أَنَنْكُصُ مُشْبِهين مَن ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾، ﴿حَيْرَانَ﴾ لا يَهتدِي إلىٰ طريقٍ، تائِهاً ضالّاً ﴿لَهُۥٓ﴾ أَي: لهذا المستهوي ﴿أَصْحَـٰبٌ﴾ رِفْقَةٌ ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أَي: إلى الطريقِ المُسْتَوِي، أَو إلىٰ أَن يَهْدوه الطريقَ[٣] المستقيمَ، يَقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ وقد اعْتَسَفَ التيهَ تابعاً للجنِّ لا يُجيبُهم ولا يأْتيهم، وهذا مبنيٌّ علىٰ ما تَزْعُمُه العربُ أَنَّ الجنَّ تَسْتَهْوِي الإِنسانَ والغيلانَ كذلك، فشُبِّهَ به الضالُّ عن

---

(١) المهامه جمع المهمه والمهمهة: أي المفازة البعيدة والبلد المقفر. (القاموس المحيط: مادة مَهَّ).

(٢) الهوى مصدر هوى هوياً ـ لاهوي هوىً ـ ومعناه: ذهب في الأرض هوياً. (راجع القاموس المحيط: مادة هوى).

(٣) في بعض النسخ: الصراط.

الإسلامِ الَّذي لايَلْتَفِتُ إلىٰ دعاءِ المسلمين إيَّاه ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلامُ ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحدَه وماسواه ضلالٌ ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَي: أُمِرْنا لأَن نُسْلِمَ ولأَن أَقيموا الصلاةَ، بمعنىٰ للإسلامِ ولإقامةِ الصلاةِ، ومعنى اللامِ التعليلُ للأَمرِ، وتقديرُه: أُمِرْنا، وقيلَ لنا: «أَسْلِموا» لأَجلِ أَن نُسْلِمَ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيُجازي كلَّ عاملٍ منكم بعملِه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (٧٣)

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأٌ و ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ خبرُه مقدَّماً عليه كما تقول: يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْقتالُ، واليومُ بمعنَى الحينِ، أَو يكونُ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأً وخبراً و﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ ظرفاً، والمعنىٰ: وهو الَّذي خَلَقَ السماواتِ وَالأَرْضَ قائِماً بالحقِّ والحكمةِ، وحينَ يقولُ لشيءٍ من الأَشياءِ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ذلك الشيءُ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ والحكمةُ، أَي: لايُكوِّنُ شيئاً من السماواتِ والأَرضِ وسائِرِ المُكَوَّناتِ إلَّا عن حكمةٍ وصوابٍ، و ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ ظرفٌ لقولِه: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ كقولِه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[1]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ فاعلَ «يَكُونُ» علىٰ معنىٰ: وحينَ يَقولُ لقولِه الحقِّ أَي: لقضائِه الحقِّ: ﴿كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾، ويَنْتَصِبُ[2] ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بمحذوفٍ دلَّ عليه قولُه: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ كأَنَّه قيل: ويومَ يُكَوِّنُ ويُجَدِّدُ الخلقَ يقومُ بالحقِّ، ﴿وَ﴾ وَجَبَ ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ في اليومِ الَّذي فيه ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ولايَبْقىٰ

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) في انتصاب «يوم» خمسة أوجه مذكورة بالتفصيل في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٧٢ فراجع.

لأحدٍ فيه ملكٌ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدلاً من ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ والصُورُ: قَرنٌ يَنْفُخُ فيه إسرافيلُ نَفْخَتَيْن فيَفْنَى الخلقُ بالنفخةِ الأُولىٰ ويَحْيَوْنَ بالثانيةِ[١]، وعن الحسنِ أنَّه جمعُ صورةٍ[٢] ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ رفع على المدحِ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥)

وَقُرِئَ: «آزَرُ» بالضمِّ[٣] على النداءِ، ولاخلافَ بينَ النَّسَّابينَ أنَّ اسمَ أبي إبراهيمَ تارَحُ[٤]، قال أصحابُنا: إنّ آزرَ كان اسمَ جدِّ إبراهيمَ لأُمِّه[٥]؛ ورُوِيَ أيضاً أنَّه كان عمَّه[٦]؛ وقالوا: إنَّ آباءَ نبيِّناﷺ إلىٰ آدمَ كانوا موحِّدين[٧]، ورَوَوْا

---

(١) وعليه أكثر المفسّرين، وهو الذي اختاره البلخي والجبائي والزجّاج والطبري علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٧٤.

(٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٧، والقرطبي أيضاً: ج ٧ ص ٢٠ ـ ٢١، واختاره أبوعبيدة علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٧٤، وانظر مجاز القرآن: ج ١ ص ١٩٦.

(٣) وهي قراءة ابن عبّاس والحسن ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهم أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ١٦٤، وفي التبيان: ج ٤ ص ١٧٥: هي قراءة أبي بريد المدني والحسن البصري ويعقوب. وانظر التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠١.

(٤) قال النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٧٦ مالفظه: تكلّم العلماء في هذا فقال الحسن: كان اسم أبيه آزر، وقيل: كان له اسمان آزر وتارح، وروى المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: بلغني أنّها أعوج قال: وهي أشدّ كلمة قالها إبراهيم لأبيه، وقال الضحّاك: معنى آزر: شيخ. انتهىٰ. وقال الزجّاج: وليس بين النسّابين خلاف أنّ اسم أبي إبراهيم «تارح» والذي في القرآن يدلّ علىٰ أنّ اسمه آذر، وقيل: آذر عندهم ذمّ في لغتهم. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٦٥.

(٥) التبيان: ج ٤ ص ١٧٥.

(٦) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٠٣، وعنه البحار: ج ١٢ ص ٤٢ ح ٣١.

(٧) التبيان: ج ٤ ص ١٧٥.

عنه عليه السلام أنّه قالَ: «لم يَزَلْ يَنقُلُني اللهُ تعالىٰ من صُلبِ[1] الطاهرين إلىٰ أرحامِ المطهَّراتِ، لم يُدنِّسْني بدَنَسِ الجاهليَّةِ»[2]، وقد قيل: إنَّ آزرَ اسمُ صنمٍ[3] فيجوزُ أن يُنبَزَ[4] به للزومِه عبادتَه، والهمزةُ في ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ للإنكارِ، وقولُه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ من بعدُ عطفٌ علىٰ ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ وقولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جملةٌ اعتراضيَّةٌ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه، والمعنىٰ: ومثلُ ذلك التعريفِ نُعَرِّفُ به إبراهيمَ ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الربوبيَّةَ والإلٰهيَّةَ ونُوَفِّقُه لمعرفتِها ونَهْديه لطريقِ النظرِ والاستدلالِ ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فَعَلْنا ذلكَ، و ﴿نُرِىٓ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩)

كانَ القومُ يَعبُدونَ الأَصنامَ والشمسَ والقمرَ والكواكبَ، فأرادَ أن يُنبِّهَهم علىٰ خطائِهم ويُرْشِدَهم ويُبَصِّرَهم طريقَ النظرِ والاستدلالِ لِيَعْرِفوا أنَّ شيئاً منها لايصحُّ أن يكونَ إلهاً؛ لوضوحِ دَلالةِ الحدوثِ فيها[5] ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ قولُ من

(١) في نسخة: أصلاب.
(٢) الحاوي للفتاوى للسيوطي: ج ٢ ص ٣٦٨.
(٣) وهو قول مجاهد علىٰ ماحكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣٤.
(٤) النبز ـ بالفتح ـ: اللمز. (القاموس المحيط: مادة نبز).
(٥) انظر تنزيه الأنبياء للشريف المرتضىٰ: ص ٢٠ ـ ٢٢.

يُنْصِفُ خصمَه مع علمِه أَنّه مبطِلٌ فَيحْكي قولَه ـ كما هو ـ غيرَ مُتَعَصِّبٍ لمذهبِه ليكونَ ذلك أَدعى إِلى الحقِّ وأَرفع للشغبِ، ثمَّ يُبْطِلُه بعدُ بالحجَّةِ في قولِه: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ أَي: لا أُحِبُّ عبادةَ الأَربابِ المُحتَجِبين بحجابٍ، المتغيِّرين من حالٍ إِلىٰ حالٍ، المنتقلين[١] من مكانٍ إِلىٰ مكانٍ، فإِنَّ ذلك من صفاتِ الأَجسامِ ودلائِلِ الحدوثِ، وقولُه: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ تنبيهٌ لقومِه علىٰ أَنَّ من اتَّخَذَ القمرَ إِلـٰهاً وهو آفلٌ مثلُ الكواكبِ يكونُ ضالاًّ، وأَنَّ الهدايةَ إِلى الحقِّ تكونُ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ ولطفِه، وقولُه: ﴿هَـٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أَيضاً من بابِ استعمالِ الإِنصافِ مع الخصومِ، ثمَّ قال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأَجرامِ الَّتي تَجْعَلونها شركاءَ لخالِقِها، وأَمَّا وجهُ التذكيرِ في قولِه: ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾ مع أَنَّ الإِشارةَ للشمسِ فهو أَنَّه جُعِلَ المبتدأُ مثلَ الخبرِ لكونِهما عبارةً عن شيءٍ واحدٍ، كقولِهم: مَنْ كانَتْ أُمَّكَ، وليصونَ الربَّ عن شُبهةِالتأنيثِ، أَلا تَراهُم لم يقولوا: اللهُ ـ سبحانه ـ علَّامَةٌ وإِن كان «العلَّامةُ» أَبلغَ من «علَّام» لهذا المعنىٰ ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أَي: للَّذي دلَّت هذه المُحْدَثاتُ علىٰ أَنَّه صانعُها ومُبْدِعُها الَّذي دبَّرَ أَحوالَها: مسيرَها وانتقالَها وطلوعَها وأُفولَها[٢]، وقيل: إِنَّ هذا كان استدلالَه في نفسِه في زمانِ مهلةِ النظرِ وخطورِ الخاطرِ الموجِبِ عليه الفكرَ فحكاه اللهُ سبحانه[٣]، والأَوَّلُ أَظهرُ؛ لقولِه: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ وقولِه: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) في نسخة: المنقلبين.

(٢) وهو اختيار الجبّائي، لكنّه قال: انّما كان قبل بلوغه ـ إبراهيم عليه السلام ـ وقبل كمال عقله ولزوم التكليف له، غير أنّه لمقاربته كمال العقل خطرت له الخواطر وحرّكته الشبهات والدواعي على الفكر فيما يشاهده من هذه الحوادث. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٨٢.

(٣) وهو قول البلخي علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢)

كان القومُ حاجُّوه وخاصَموه في الدينِ وفي التوحيدِ وتركِ عبادةِ آلِهَتِهِم مُنكِرين لذلك، فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ـي إلى التوحيدِ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ لأنَّهم قد خوَّفوه أنَّ آلِهَتَهُم تُصيبُه بمكروهٍ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ إلَّا وقتَ مشيئةِ ربِّي شيئاً يُخافُ فُحذِفَ الوقتُ، أَي: لاأخافُ معبوداتِكم في وقتٍ قطُّ[1] لأنَّها لاتَقْدِرُ على نفعٍ وضرٍّ إلَّا إذا شاءَ ربِّي أَن يُصيبَنِي بمخوفٍ من جهتِها، مثلُ أَن يَرْجُمَني بكوكبٍ أَو يشاءُ الإضرارَ بي ابتداءً ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ فلايُسْتَبْعَدُ أَن يكونَ في علمِه إنزالُ مَخوفٍ بي ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتُمَيِّزُوا بينَ القادرِ والعاجزِ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ لتخويفِكم شيئاً لايَتعلَّقُ به ضررٌ ﴿وَ﴾ أنتم ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ مايَتعلَّقُ به كلُّ خوفٍ وهو إشراكُكم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أَي: حجَّةً، إذ لايصحُّ أَن يكونَ عليه حجَّةٌ، فكأنَّه قالَ: ومالكم تُنْكِرون عليَّ الأَمنَ في موضِعِ الأَمنِ ولاتُنكِرون على أَنفسِكم الأَمنَ في موضِعِ الخوفِ ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني: فريقَ المشركين وفريقَ المُوحِّدين ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ ثمَّ استأنَفَ الجوابَ عن السُّؤالِ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟

(١) انظر تفصيل أوجه «قط» وحالات إعرابها في مغني اللبيب: ص ٢٣٣.

إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بمعصيةٍ، وعن ابنِ عبّاسٍ هو الشركُ[١] لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ من اللهِ ﴿وَهُمْ﴾ محكومٌ لهم بالاهتداءِ.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ (٨٦) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧)

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ جميعِ مااحْتَجَّ به إبراهيمُ عليه السلام علىٰ قومِه، من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣]، ﴿ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: أَرْشَدْناه إليها وأَخْطَرْناها ببالِه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في العلمِ والحكمةِ، وقُرِئَ بالتنوينِ[٤] أي: نَرْفَعُ مَن نشاءُ درجاتٍ، كقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾[٥]، ﴿وَوَهَبْنَا﴾ لإبراهيمَ ﴿إِسْحَـٰقَ﴾ ابنَه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابنَ إسحاقَ ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ إلى النبوّةِ ونيلِ الكَراماتِ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضميرُ لنوحٍ[٦] أو لإبراهيمَ[٧]

---

(١) تفسير ابن عبّاس: ص ١١٤. (٢) لقمان: ١٣.

(٣) الآية: ٧٦ ـ ٨٢.

(٤) وهي قراءة أهل الكوفة ويعقوب. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٩١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٢، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٩٨.

(٥) البقرة: ٢٥٣.

(٦) وهو قول الفراء واختاره الطبري وغير واحد من المفسّرين كالقشيري وابن عطية وغيرهم علىٰ ماحكاه عنهم القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٣١.

(٧) وهو قول الضّحاك علىٰ ماحكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٩٩، واختاره ←

﴿دَاوُودَ﴾ أي: وهدَيْنا داوُدَ ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضِعِ النصبِ عطفاً علىٰ ﴿كُلًّا﴾ بمعنىٰ: وفضَّلْنا بعضَ آبائِهم ﴿وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾، ﴿وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ﴾ اصْطَفَيْناهم[1].

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّاكَانُواْ يَعْمَلُونَ (٨٨) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ (٨٩) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٩٠)

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ ماتَقَدَّمَ من التفضيلِ والاجتباءِ ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ﴾ ممَّن لم يُسَمِّهِم في هذِهِ الآياتِ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ مع فَضلِهم وتَقَدُّمِهم ومارُفِعَ لَهُم من الدرَجاتِ لَحَبِطَتْ أعمالُهم وكانُوا كغيرِهم في ذلك، ونحوُه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2]. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ﴾ أَعْطَيْناهم ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يُريدُ به الجنسَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ بينَ الناسِ، وقيل: الحكمةَ[3] ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ بالكتابِ والحكمِ وَالنُبوَّةِ أو بالنبوَّةِ ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أَهلَ مكَّةَ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً﴾ وهم الأَنبياءُ الَّذين جرَىٰ ذكرُهم ومَن تابَعَهم آمَنوا بما أَتَىٰ به نبيُّناعليه السلام قبلَ

← الزجّاج علىٰ ماحكاه الشيخ في التبيان وقال: قال أبو علي الجبّائي: الهاء لايجوز أن تكون كناية عن إبراهيم؛ لأنّ في من عدّد من الأنبياء لوطاً وهو كان ابن اخته، وقيل: ابن أخيه، ولم يكن من ذرّيته. وهذا الذي قاله ليس بشيء؛ لأنّه لايمنع أن يكون غلب الأكثر، وجميع من ذكر من نسل إبراهيم، علىٰ أنّه قال فيما روىٰ عنه ابن مسعود: إنّ الياس: إدريس، وهو جدّ نوح، ولم يكن من ذرّيته، ومع هذا لم يطعن علىٰ قول من قال: إنّها كناية عن نوح. انظر التبيان: ج ٤ ص ١٩٤.

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله: وفي الآية دلالة علىٰ أنّ الحسن والحسين من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ عيسىٰ جعله الله من ذرّية إبراهيم أو نوح، وإنّما كانت أُمّه من ذرّيتهما. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٩٥.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٤٣.

وقتِ مبعثِه(١)، وقيل: هم كلُّ مَن آمَنَ بالنبيِّ عليه السلام(٢)، وقيل: هم الأنصارُ(٣). ومعنىٰ تَوكيلِهم بها: أنّهم وُفِّقُوا للإيمانِ بها كما يُوَكَّلُ الرجلُ بالشَيءِ ليقومَ به ويَتعَهَّدَهُ، والباءُ في ﴿بِهَا﴾ صلةُ ﴿يَكْفُرْ﴾ وفي ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ لتأكيدِ النفي ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أي: فاختصّ هُداهم بالاقتداءِ ولاتَقْتَدِ إلّا بهم، ففي تقديمِ المفعولِ هذا المعنىٰ، ويُريدُ بهداهم طريقَتَهم في الإيمانِ باللهِ وتوحيدِه وعدلِه، وفي أُصولِ الدينِ دونَ الشرائعِ فإنّها يَتطَرَّقُ إليها النَسخُ فهي هدىً مالم تُنْسَخْ، والهاءُ في ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ للوقفِ(٤) ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لاأَطْلُبُ منكم علىٰ تبليغِ الرسالةِ جُعْلاً كما لم تَسْأَلْه الأَنبياءُ قبلي فإِنّه يُنَفِّرُ عن القبولِ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه دليلٌ علىٰ أنَّ نبيناعليه السلام مبعوثٌ إلىٰ كافّةِ العالَمين، وأنَّ النبوّةَ مختومةٌ به.

﴿وَمَاقَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ

---

(١) وهو قول الحسن وقتادة، واختاره الزجّاج والطبري والشوكاني والبيضاوي والزمخشري. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٥٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٠، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٧٠، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ٨١، وتفسير البيضاوي: ج ٢ ص ١٨٣، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٣.

(٢) قاله ابن زيد علىٰ ماحكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ٦٨.

(٣) قاله سعيد بن جبير علىٰ ماحكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٩٩، وحكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٤ ونسبه الى ابن عبّاس ومجاهد، واختاره القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٣٥.

(٤) وعليه الجمهور إلّا ابن عامر وابن ذكوان بكسر الهاء وصلتها. قال النحّاس: وهذا لحن؛ لأنّ الهاء لبيان الحركة في الوقف وليست بهاء اضمار ولابعدها واو ولاياء أيضاً. انظر إعراب القرآن: ج ٢ ص ٨١ ـ ٨٢، و التيسير في القراءات للداني: ص ١٠٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ١٧٦.

﴿قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّالَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٩١)

أي: ماعَرَفُوه حقَّ معرفتِه، وماعَظَّمُوه حقَّ عَظَمَتِه، وماوَصَفُوه بما يجبُ أن يوصَفَ به من الرحمةِ علىٰ عبادِه واللطفِ بهم حينَ ﴿قَالُواْ مَآأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فأنكروا بعثةَ الرسلِ والوحي إليهم، وذلك من أعظمِ رحمتِه وأجلِّ ألطافِه، وإنَّما قالَه اليهودُ مبالغةً في إنكارِ نزولِ القرآنِ علىٰ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فأُلزِمُوا مالابدَّ لهم من الإقرارِ به من إنزالِ التوراةِ علىٰ موسىٰ، وأُدْرِجَ تحتَ الإلزامِ توبيخُهم وذمُّهم بتحريفِهم للتوراةِ وإبداءِ بعضِها وإخفاءِ بعضٍ فقيل: ﴿جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً﴾ يُسْتَضاءُ به في الدينِ ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ يهتَدون به ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ وَرَقاتٍ مُتفرِّقةً لِيَتَمكَّنوا ممَّا حاوَلوه من الإبداءِ والإخفاءِ، وقُرِئَ: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ بالتاءِ والياءِ، وكذلك ﴿تُبْدُونَهَا﴾ و ﴿تُخْفُونَ﴾[1]، و ﴿عُلِّمْتُم﴾ خطابٌ لليهودِ[2]، أي: عُلِّمْتُمْ علىٰ لسانِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ممَّا أُوحِيَ إليه ﴿مَّالَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ﴾ مع أنَّكم حَمَلَةُ التوراةِ ﴿وَلَآءَابَآؤُكُمْ﴾ أي: ولم يَعْلَمْه آباؤُكم الَّذين كانوا قبلكم وهم أعلمُ منكم، ونحوُه: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3]. ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزَلَه ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ أي: في باطِلهم الَّذي يَخوضون فيه، و ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حالٌ من ﴿ذَرْهُمْ﴾ أو من ﴿خَوْضِهِمْ﴾، ويجوزُ أن يكونَ ﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾ حالاً من ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: خائِضين في الباطلِ،

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر التبيان: ج ٤ ص١٩٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٤، وتفسير السمرقندي: ج١ ص ٥٠٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٤.

(٢) وهو اختيار الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ١٩٩ وقال: وهذا الذي اخترناه قول مجاهد والطبري والجبّائي.

(٣) النمل: ٧٦.

ويجوزُ أَن يكونَ صلةً لـ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أَو لـ ﴿ذَرْهُمْ﴾[١].

﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢)

يعني: القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾ كثيرُ المنافعِ والفوائدِ، قِراءَتُه خيرٌ، والعملُ به خيرٌ، وفيه علمُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ، وفيه الحلالُ والحرامُ، وهو باقٍ إِلىٰ آخِرِ التكليفِ لايَرِدُ عليه نسخٌ ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من التوراةِ والإِنجيل وغيرِهما ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ معطوفٌ علىٰ مادلَّ عليه صفةُ ﴿كِتَـٰبٌ﴾ كأَنّه قيل: للبَرَكاتِ ولتصديقِ ماتَقَدَّمَه من الكتبِ وللإِنذارِ[٢]، وقُرِئَ: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بالتاءِ والياءِ[٣]، وسُمِّيَت مكّةُ أُمَّ القرىٰ لأَنَّها مكانُ ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[٤] ولأَنّها قبلةٌ لأَهلِ القرىٰ ومَحَجُّهم، ولأَنّها أَعْظَمُ القرىٰ شأناً، ولأَنَّ الأَرضَ بأسرِها[٥] دُحِيتْ من تَحتِها فكأَنَّها تَوَلَّدَتْ منها[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ يُصدِّقونَ ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾ ويخافونها ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أَي: بالقرآنِ[٧]، وذلك أَنَّ أَصلَ الدينِ خوفُ العاقبةِ فمَن خافَها يَحْمِلُهُ الخوفُ علىٰ أَن يُؤمِنَ. وخَصَّ الصلاةَ بالذكرِ من بينِ سائرِ الفرائِضِ لأَنّها

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧١.

(٣) قرأه أبو بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٠١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٥، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٣.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) في بعض النسخ: كلّها.

(٦) راجع وجوه تسميتها بذلك في تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٢ تجد تفصيله.

(٧) قال الشيخ الطوسي ﷺ: ويحتمل أن يكون كناية عن محمّد ﷺ ـ كما عليه الفراء والقرطبي ـ لدلالة الكلام عليه، وهذا يقوي مذهبنا في أنّه لايجوز أن يكون مؤمناً ببعض ماأوجب الله عليه دون بعض. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٠١.

عمادُ الدينِ، ومَن حافَظَ عليها كانَتْ له لطفاً في المُحافَظَةِ علىٰ أَخواتِها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣)

﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ فَزَعَمَ أَنَّ اللهَ بَعَثَه نبيّاً وهو مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ (١).

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «رَأَيْتُ فيما يَرَى النائِمُ كأَنَّ في يَدَيَّ سِوارَيْنِ من ذَهَبٍ فكَبُرا عَلَيَّ وَأَهمَّاني، فأَوحَى اللهُ إِلَيَّ أَن أَنفُخَهما، فنَفَخْتُهما، فطارا عنّي، فأَوَّلْتُهما الكذّابَيْن اللَّذَيْن أَنَا بينَهما: كذّابَ اليَمامةِ: مُسَيْلِمَةَ، وكذّابَ صنعاءَ: الأَسودَ العَنْسيَّ» (٢) (٣).

(١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد، قدم على النبيّ ﷺ مع وفد بني حنيفة، إلّا أنّه تخلّف مع الرحال خارج مكة، فأسلم الوفد وأسلم معهم، ولمّا عاد الى دياره ارتدّ، وأكثر من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن، قتله خالد في عهد أبي‌بكر حينما هاجم ديار بني حنيفة سنة ١٢ هـ، وكان من المعمّرين. (شذرات الذهب ج ١: ص ٢٣، الأعلام للزركلي: ج ٧ ص ٢٢٦.

(٢) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، قيل: إنّه كان أسود الوجه فسمّي الأسود للونه، متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن، أسلم لمّا أسلمت اليمن، وارتدّ في أيام النبيّ ﷺ فكان أول مرتدٍّ في الاسلام، وادّعى النبوة، وأرىٰ قومه أعاجيب استهواهم بها، فأتبعته مذحج، وتغلّب علىٰ نجران وصنعاء، واتّسع سلطانه حتىٰ غلب علىٰ مابين مفازة حضرموت الى الطائف الى البحرين والاحساء الىٰ عدن، قتل قبل وفاة النبي ﷺ بخمسة أيام، وكان ظهوره في سنة ١٠ هـ، فكانت مدّة أمره من أوله الىٰ مقتله سنة ١١ هـ ثلاثة أشهر فقط. (الأعلام للزركلي: ج ٥ ص ١١١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٣٦).

(٣) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٥٤٢ ح ٢٢٩٢، مستدرك الحاكم: ج ٤ ص ٣٩٨، تفسير البغوي: ←

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو عبدُ اللهِ بنُ سعدِ ابنِ أَبي سَرْحٍ، وقيل: هو النضْرُ بنُ الحارثِ(١)، والمستهزئون قالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾(٢)، ﴿غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ شدائِدِه وسَكَراتِه، وأَصلُ الغَمْرَةِ مايَغْمِرُ من الماءِ فاستُعيرت للشدَّةِ الغالبةِ ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَبْسُطُون إِليهم أَيديَهم يقولون: هاتوا أَرواحَكم أَخرِجوها إِلينا من أَجسادِكم، وهذه عبارةٌ عن العُنفِ في السياقِ(٣) والتغليظِ والإِرهاقِ(٤) في الإِزهاقِ(٥) فعلَ الغريمِ المُلحِّ يَبْسُطُ يدَه إِلىٰ من عليه الحقُّ ويقولُ له: أَخْرِجْ إِليَّ مالي عليك، وقيل: معناه: باسِطُوا أَيديهم عليهم بالعذابِ(٦) ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ خلِّصوها من أَيدينا، أَي: لاتَقْدِرُون علىٰ الخلاصِ ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يعني: وقتَ الإِماتةِ، أَو الوقتَ الَّذي يَلْحَقُهم فيه العذابُ في البَرْزَخِ والقيامةِ، و﴿ٱلْهُونِ﴾ الهَوانُ الشديدُ، وإِضافةُ العذابِ إِليه كقولِك: رجلُ سُوءٍ، تُريدُ التمَكُّنَ في الهَوانِ وأَنَّه عريقٌ فيه ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تُؤْمِنون بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَانَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ

← ج ٢ ص ١١٥.

(١) وهو قول الحكم عن عكرمة. انظر تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) السياق: نزع الروح، يقال: رأيت فلاناً يَسُوقُ، أي يَنزِعُ عند الموت. (الصحاح: مادة سوق).

(٤) الارهاق: أن تَحمل الإنسانَ علىٰ مالايطيقه. (القاموس المحيط: مادة رهق).

(٥) زهقت نفسه زُهُوقاً: أي خرجت. (القاموس المحيط والصحاح: مادة زهق).

(٦) قاله الحسن والضحاك. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٥٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٤، والتبيان: ج ٤ ص ٢٠٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ٨٧، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحّاك كما في الدر المنثور: ج ٣ ص ٣٢٢.

لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤)

﴿فُرَادَىٰ﴾ مُنفرِدِين عن أَموالِكم وأَولادِكم وعن أَوثانِكم الَّتي زَعَمْتُم أَنَّها شُفعاؤُكم وشُرَكاءُ لله ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئَةِ الَّتي وُلِدْتم عليها في الانفرادِ، وفي الحديثِ: «تُحشَرون حُفاةً عُراةً غرْلاً»[1] أي: قُلفاً[2] ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾ أَي: ماملَّكْناكم في الدنيا فشُغِلْتُم به عن الآخرةِ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ لم تَحمِلوا منه شيئاً واستَمْتَعَ به غيرُكم ﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أَي: في استعبادِكم ﴿شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ لأَنَّهم حينَ دَعَوْهم آلِهةً وعَبَدُوها فقد جَعَلوها لله شُرَكاءَ فيهم وفي استعبادِهم ﴿لَقَدْ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أَي: وَقَعَ التقطُّعُ بينَكم، كما تقولُ: جَمَعَ بينَ الشَيئَيْن تُريدُ أَوْقَعَ الجمعَ بينَهما علىٰ إسنادِ الفعلِ إلى مصدرِه بهذا التأْويلِ، وقُرِئَ: «بَيْنُكُمْ»[3] علىٰ إِسنادِ الفعلِ إلى الظرفِ كما تقولُ: قُوتِلَ خَلْفُكُم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (٩٦)

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ بالنباتِ ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالشجرِ[4]، وقيل: أَرادَ الشقَّيْن اللذَيْن

---

(١) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٠٤ و ج ٨ ص ١٣٦، مستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٢٥١، زاد المسير لابن الجوزي: ج ٩ ص ٣٦، الدرالمنثور: ج ٣ ص ٣٢٣.

(٢) في نسخة: غلفاً. والقُلف ـ بضم القاف وسكون اللام ـ جمع أقلف كـالغُلف جـمع أغـلف، وكلاهما بمعنىٰ مَن لم يُختَن. (انظر القاموس المحيط والصحاح: مادة قلف).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم برواية أبي بكر وابن عامر وحمزة. راجع كـتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٣.

(٤) وهو قول الحسن وقتادة والسدي وابن زيد، واختاره الزجّاج والقرطبي والزمخشري. انظر تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٥٩، ومعاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧٣، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٤، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٧، وزاد المسير للجوزي: ج ٣ ص ٩٠.

في النواةِ والحِنطةِ[١] ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أَي: الحيوانَ والنامي من النُّطَفِ والبيضِ والْحَبِّ والنَوىٰ ﴿وَمُخْرِجُ﴾ هذه الأشياءِ الميِّتَةِ مـن الحـيوانِ والنـامي ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ لاعلى الفعلِ، وموقِعُه موقِعُ الجملةِ المُبَيِّنَةِ[٢]؛ لأَنَّ فلقَ الحبِّ والنَوىٰ بالنباتِ والشجرِ الناميَيْنِ من جنسِ إِخراجِ الحيِّ من الميِّتِ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَي: ذلك المُحيي والمُميتُ هو اللهُ الَّذي تَحِقُّ له الربوبيَّةُ ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تُصْرَفون عنه وعن قـولِه[٣] إِلىٰ غيرِه، و ﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ سُمِّيَ به الصُبحُ، والمعنىٰ: فالقُ ظلمةِ الإِصباحِ وهي الغَبَشُ[٤] في آخِرِ الليلِ، أَو فالقُ الإِصباحِ الَّذي هو عـمودُ الفـجرِ عـن بـياضِ النهارِ[٥]، لأَنَّ الظُلمةَ هي الَّتي تَنفَلِقُ عن الصُبحِ كما قال:

تَفَرِّيَ لَيْلٍ عَنْ بَياضِ نهارِ[٦]

وقُرِئَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ لأَنَّ اسمَ الفاعلِ الَّذي قـبلَه بـمعنى المـضيِّ، ولذلك عُطِفَ عليه ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أَي: وجَعَلَ الشمسَ والقمرَ ﴿حُسْبَاناً﴾، والسكَنُ مايَسْكُنُ إِليه الرجلُ ويَطْمَئِنُّ استرواحاً إِليه من زوجٍ أَو حبيبٍ، ومنه قيل للمرأَةِ: سَكَنٌ؛ لأَنَّه يَسْتَأْنِسُ بها، والليلُ يَطْمَئِنُّ إِليه التعَبُ بالنهارِ لاستراحتِه فيه، ويُمْكِنُ

(١) قاله مجاهد وأبو مالك. راجع تفسير مجاهد بن جبر: ص ٣٢٦، والتبيان: ج ٤ ص ٢٠٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٧، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٤، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٧.

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٤٧.

(٣) في بعض النسخ: تولّيه.

(٤) الغَبَش ـ محرّكة ـ: بقية الليل أو ظُلمة آخره. (القاموس المحيط: مادة غبش).

(٥) في نسخة زيادة: وأسفاره.

(٦) قائله أبو نؤاس، وصدره: تَردَّتْ به ثُمّ ٱنفرىٰ عَن أديمها. يصف فيه شراباً. راجع ديـوانـه: ص ٤٣٥، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٩.

أن يُرادَ: وَجَعَلَ الليلَ مسكوناً فيه(١) من قولِه: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾(٢) والحُسبانُ - بالضمِّ - مصدرُ «حَسَبَ»، والمعنىٰ: وَجَعَلَ الشمسَ والقمرَ عَلَمَيْ حُسبانٍ؛ لأَنَّ حسابَ الأَوقاتِ يُعْلَمُ بدورِهما ومسيرِهما، أَو محسوبَيْن حُسباناً(٣). ﴿ذَٰلِكَ﴾ التسييرُ بالحسابِ المعلومِ ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الّذي قَهَرَهما بتسخيرِهما ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بتدبيرِهما وتدويرِهما ومسيرِهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (٩٨)

يعني: ﴿فِى ظُلُمَـٰتِ﴾ الليلِ بـ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وأَضاف الظُلماتِ إِلى البرِّ والبحرِ لمُلابسَتِها إِيَّاهما، أَو لتشبيهِ الطُرقِ المشتبهةِ بالظُلماتِ، وقُرِئَ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتحِ القافِ وكسرِها(٤): فمَن فَتَحَ كان الـ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ اسمَ مكانٍ مثلَه أَو مصدراً، ومَن كَسَرَ كان اسمَ فاعلٍ والـ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ اسمَ مفعولٍ(٥). والمعنىٰ: فَلَكُمْ مُسْتَقَرٌّ فِي الرَحِمِ ومُسْتَوْدَعٌ في الصُلبِ(٦)، أَو مُسْتَقَرٌّ فوقَ الأَرْضِ ومُسْتَوْدَعٌ

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٤٩، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٩٧.

(٢) يونس: ٦٧، القصص: ٧٣، غافر: ٦١.

(٣) وهو اختيار الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٩٨، وعنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٨٤.

(٤) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وروح. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٣، والتبيان: ج ٤ ص ٢١٣، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٣.

(٥) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٩٩.

(٦) وهو قول ابن عبّاس برواية عكرمة عنه وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة والنخعي، واختاره الفراء والزجاج والزمخشري والقرطبي وأكثر المفسّرين. انظر معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٤٧، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٧٤، والكشّاف: ج ٢ ص ٥٠، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٧، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٨.

تحتها[١]، أو فمِنكم مُستَقِرٌّ في القبرِ ومِنكم مُستَوْدَعٌ في الدُنيا[٢]، وعن الحسنِ: يابنَ آدمَ أَنتَ وديعةٌ في أَهلِك ويوشِكُ أَن تَلْحَقَ بصاحبِك[٣]، وأَنْشَدَ قولَ لَبيدٍ:

وَمَا المالُ وَالأَهلونَ إِلَّا وَدِيعةٌ   وَلابُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الْوَدائِـعُ[٤]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٩)

كلُّ ماعلاك فأَظَلَّكَ فهو سماءٌ، وهو هنا السحابُ ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ نبتَ كلِّ صنفٍ من أَصنافِ الحبوبِ[٥] يعني: أَنَّ السببَ واحدٌ وهو الماءُ والمسبَّباتِ صنوفٌ، وهو كقولِه: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[٦]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أَي: من النباتِ ﴿خَضِراً﴾ أي: شيئاً[٧] غضّاً[٨] أَخْضَرَ، وهو ماتَشعَّبَ من أَصلِ النباتِ الخارجِ من الحبّةِ ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخَضِرِ ﴿حَبّاً مُّتَرَاكِباً﴾ قد تَرَكَّبَ بعضُه علىٰ بعضٍ مثلُ سنبلةِ الحنطةِ والشعيرِ وغيرِهما، و ﴿قِنْوَانٌ﴾ رفع بالابتداءِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبرُه و ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدلٌ

---

(١) وهو قول الحسن علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٩.

(٢) قاله الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٦١، والتبيان: ج ٤ ص ٢١٤، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٨٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٨.

(٣) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٨.

(٤) البيت من الطويل، قاله وهو يرثي أخاه أربد. ويروىٰ: «وما الناس والأموال»، ويروىٰ: «الّا ودائع». انظر ديوان لبيد: ص ٨٩، وخزانة الأدب: ج ٥ ص ١١٧.

(٥) في بعض النسخ: الحيوان، وفي الكشّاف: النامي.

(٦) الرعد: ٤.

(٧) في بعض النسخ: نبتاً.

(٨) الغضّ: الطري. (القاموس المحيط والصحاح: مادة غضض).

منه، كأنَّه قيل: وكائِنةٌ من طَلْعِ النخلِ قِنْوانٌ، ويجوزُ أَن يكـون الخـبرُ مـحذوفاً لدَلالةِ «أَخْرَجْنا» عليه، تقديرُه: ومُخْرَجَةٌ من طلعِ النخلِ قِنْوانٌ، والقِنوانُ: جـمعُ قنوٍ كصِنْوانٍ وصِنْوٍ ﴿دَانِيَةٌ﴾ سَهْلَةُ المُجتنىٰ قريبةُ التناولِ، وعن الحسـنِ: قـريبٌ بعضُها من بعضٍ[١] ﴿وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصبِ عطفٌ[٢] علىٰ ﴿نَـبَاتَ كُـلِّ شَىْءٍ﴾ أَي: وأَخْرَجنا به جنَّاتٍ من أَعنابٍ، وقُرِئَ: «وَجَنَّاتٌ» بـالرفعِ[٣] عـلىٰ معنىٰ: وحاصلةٌ أَو مُخْرَجَةٌ من النخلِ قِنْوانٌ وَجَنَّاتٌ من أَعنابٍ أَي: مـن نـباتِ أعنابٍ، أَو يرادَ: وثَمَّ جنَّاتٌ من أَعنابٍ أي: مع النخلِ ﴿وَٱلزَّيْتُونَ﴾ أَي: وأخْرَجْنا به الزيتونَ ﴿وَٱلرُّمَّانَ﴾، والأَحسنُ أَن يكونَ نصبُهما على الاختصاصِ[٤]، كقولِه: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَـوٰةَ﴾[٥] لفضلِ هـٰذَيْن الصنفَيْن ﴿مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ﴾ يقالُ: اشْتَبَهَ الشيئَان وتَشابَها، والافتعالُ والتفاعلُ يَشْتَرِكان كثيراً، وتقديرُه: والزيـتونَ مُتَشابِهاً وغيرَ مُتَشابِهٍ والرُّمَّانَ كذلك، والمعنىٰ: مُتشابِهاً بعضُه وغيرَ مُتشابِهٍ بعضُه في القَدرِ واللونِ والطعمِ ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أَي: أَخْـرَجَ ثـمرَه كـيف

---

(١) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٩، والزمخشري في كشّـافه: ج ٢ ص ٥٢، والهمداني في فريده: ج ٢ ص ٢٠١. (٢) في نسخة: عطفاً.

(٣) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم والأعشىٰ والبرجمي ومحمّد بن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢١٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٨، وتـفسير السـمرقندي: ج ١ ص ٥٠٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٥، والحجة في القراءات لابـن زنجلة: ص ٢٦٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٩ وقال: وأنكر هذه القراءة أبو عـبيد وأبـو حاتم، حتىٰ قال أبو حاتم: هي محال؛ لأنّ الجنات لاتكون مـن النـخل، وقـال النـحّاس: والقراءة جائزة وليس التأويل علىٰ هذا ولكنّه رفع بالابتداء والخـبر مـحذوف، أي ولهـم جنات كما قرأ جماعة من القرّاء: «وحورٌ عينٌ»، واجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفراء، ومثله كثير.

(٤) وهو اختيارالنحّاس فياعراب‌القرآن: ج ٢ ص٨٦، والزمخشري فيالكشّاف: ج ٢ ص ٥٢.

(٥) النساء: ١٦٢.

يُخرِجُه ضَئِيلاً صغيراً ﴿وَ﴾ أنظُروا إلىٰ حالِ ﴿يَنْعِهِ﴾ أي: نُضجِه كيف يكونُ جامعاً لمنافعَ وملاذٍّ نظرَ اعتبارٍ واستبصارٍ واستدلالٍ علىٰ اقتدارِ مُقدِّرِهِ وتدبيرِ مُدبِّرِهِ ينقُلُه من حالٍ إلىٰ حال، يُقالُ: يَنَعَتِ الثمرةُ يَنْعاً ويُنعاً.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (١٠٣)

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ فهما مفعولا «جَعَلَ»، و ﴿ٱلْجِنَّ﴾ بدلٌ من ﴿شُرَكَآءَ﴾[(١)]، ويجوزُ أن يكونَ ﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ مفعولَيْن قُدِّمَ ثانيهما على الأوَّلِ، أي: جعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ[(٢)]، وفائدةُ تقديمِ ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ استعظامُ أن يُتَّخَذَ للهِ شريكاً[(٣)] من كانَ ملَكاً أو جِنِّيّاً أو إنسِيّاً، والمرادُ بالجنِّ: الملائكةُ جَعَلوهم للهِ أنداداً[(٤)]، ونحوُه: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباً﴾[(٥)]، وقيل: هم الَّذين قالوا: إنَّ اللهَ خالِقُ الْخَيْرِ وَإبْلِيسَ خالِقُ الشرِّ[(٦)]، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أي: وخلَقَ

---

(١) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧٧، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٣.

(٢) واختاره النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٨٧، وحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٥٢.

(٣) في نسخة: شريك.

(٤) وهو قول قتادة والسدي وابن زيد على ما حكاه عنهم الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٠، واختاره الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢١٩.

(٥) الصافات: ١٥٨.

(٦) قاله ابن عبّاس. انظر تفسيره: ص ١١٦، ونسبه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٩، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٧ ص ٥٣ الى الكلبي.

الجاعلين للهِ شركاءَ، معناه: وعَلِموا أنَّ اللهَ خالقُهم دونَ الجنِّ ولم يَمْنَعْهم علمُهم أن يَتَّخِذُوا مَن لايَخلُقُ شريكاً للخالقِ، وقيل: الضميرُ لـ ﴿ٱلْجِنَّ﴾ [١] ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾ أي: واخْتَلقُوا للهِ ﴿بَنِينَ وَبَنَـٰتٍ﴾، فإنَّ المشركين قالوا: الْمَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ، وقال أَهلُ الكتابَيْن: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [٢] و﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [٣]، يقال: خَلَقَ الإفكَ واخْتَلَقَه وخَرَقَهُ واخْتَرَقَه بمعنىً واحد [٤]، وقُرِئَ: «وَخَرَّقُوا» بالتشديدِ [٥] للتكثيرِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غيرِ أَن يَعْلَموا حقيقةَ ماقالوه ولـٰكن جهلاً منهم بعَظَمَةِ اللهِ تعالىٰ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أَي: هو مُبْدِعُهما ومُـنْشِئُهما ابتداءً لامن شيءٍ ولاعلىٰ مثالٍ سَبَق، ويجوزُ أَن يكون مبتدأً وخبرهُ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [٦]، وقيلَ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ من إِضافةِ الصـفةِ المُشْـبِهةِ إِلىٰ فـاعلِها كقولك: فلانٌ بديعُ الشعرِ، أَي: بَديعٌ شعرهُ، أَو هو بَديعٌ في السـماواتِ والأَرضِ كقولك: فلانٌ ثَبتُ الغَدْرِ، أَي: ثابتٌ فيه، والمعنىٰ: هو عديمُ النظيرِ والمثلِ فيهما [٧] ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أَي: من أَينَ يكونُ له ولدٌ ولايَستقيمُ أَن يُوصَفَ بالوِلادةِ؛

---

(١) حكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٩، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٥٣، والرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١١٦.
(٢ و٣) التوبة: ٣٠.
(٤) حكى الزمخشري أنّه سئل الحسن عنه فقال: كلمة عربية كانت العرب تقولها: كان الرجل إذا كذب كذبةً في نادي القوم يقول له بعضهم: قد خرقها والله. الكشّاف: ج ٢ ص ٥٣، وانظر تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦٠.
(٥) وهي قراءة نافع. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٩، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٦، والحجة في القـراءات لابـن زنـجلة: ص ٢٦٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٣.
(٦) الجمهور علىٰ رفعه، إلّا الكسائي فقد أجاز خفضه على النعت لله عزّوجلّ ونصبه بـمعنىٰ بديعاً السماوات والأرض، وهذا خطأ عند البصريين لأنّه لما مضىٰ. انظر اعراب القـرآن للنحاس: ج ٢ ص ٨٧، و تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٣.
(٧) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٣.

لأنَّ الوِلادةَ من صفاتِ الأَجسامِ وصانعُ الأجسامِ ليس بجسمٍ حتَّىٰ يكونَ والداً، ولأنَّ الوِلادةَ لاتكونُ إلّا بينَ زَوْجَيْنِ ولايصحُّ أَن يكونَ له صاحبةٌ تُزاوِجُه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومَن كان بهذه الصفةِ فهو غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفِ بالصفاتِ المتقدِّمةِ، وهو مبتدأٌ ومابعدَه أخبارٌ مترادفةٌ له، وهي: ﴿ٱللَّهُ﴾، ﴿رَبُّكُمْ﴾، ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أَي: ذلكم الجامعُ لهذِهِ الصفاتِ ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ لأَنَّ مَن استجْمَعَتْ له هذه الصفاتُ حقَّتْ له العبادةُ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أَي: حفيظٌ مدبِّرٌ، ولكلِّ شيءٍ من الأَرزاقِ والآجالِ مالكٌ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ البصرُ: الجوهرُ اللطيفُ الَّذي به تُدرَكُ المُبصراتُ، والمعنىٰ: أَنَّه مُتَعالٍ أَن يكونَ مُبْصَراً في ذاتِه، فالأَبصارُ لاتُدْرِكُهُ؛ لأَنَّها إِنَّما تُدرِكُ ماكان في جهةٍ أَصلاً أَو تابعاً كالأجسامِ والأَلوانِ ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ وهو للطفِ إِدراكِه للمُدرَكاتِ يُدرِكُ تلك الجواهرَ اللطيفةَ الَّتي رَكَّبَها اللهُ في حاسَّةِ النظرِ وهي الأَبصارُ ولايُدرِكُها مُدرِكٌ سواه ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ يَلْطُفُ عن أَن تُدرِكَه الأَبصارُ ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بكلِّ لطيفٍ، فهو يُدرِكُ الأَبصارَ ولاتَلْطُفُ عن إِدراكِه، وهذا من بابِ اللفِّ والنشرِ، ورُوِيَ عن الرضا عليه السلام: أَنَّها الأَبصارُ الَّتي في القلوبِ[١]، أَي: لايَقعُ عليه الأَوهامُ ولايُدرَكُ كيف هو[٢].

---

(١) المنسوب الى الامام الرضا عليه السلام: ص ٣٨٤ تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٧٣ ح ٧٩.

(٢) قال الزجّاج: أَعلم عزّوجلّ أَنّه يُدرك الأبصار، وفي هذا الإعلام دليلٌ أَن خَلْقَه لايُدركون الأبصار، أي لايعرفون كيف حقيقةُ البَصَر، وماالشيء الّذي صار به الانسان يُبصر بعينيه دون أن يُبصر من غيرهما من سائر أعضائه ... الى أن قال: فأمّا ماجاء من الأخبار في الرؤية وصحّ عن رسول‌الله فغير مدفوع. وليس في هذه الآية دليل علىٰ دفعه؛ لأَنّ معنىٰ هذه الآية معنىٰ إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته، وهذا مذهب أهل السنّة والعلم والحديث.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: في هذه الآية دلالة واضحة علىٰ أنّه تعالىٰ لايُرىٰ بالأبصار؛ لأنّه تمدح بنفي الإدراك عن نفسه، وكلّما كان نفيه مدحاً غيرمتفضل به فاثباته لايكون ←

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَـٰتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٥)

البصيرةُ: البيّنةُ والدلالةُ التي يَستَبصِرُ بها الشيءُ علىٰ ماهو به، وهي نورُ القلبِ كما أنّ البصرَ نورُ العينِ، أي: ﴿جَآءَكُمْ﴾ من الوحي والتنبيهِ علىٰ مايَجوزُ على اللهِ ومالايَجوزُ ماهو للقلوبِ كالبصائرِ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحقَّ وآمَنَ ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أَبْصَرَ ولها نَظَرَ ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنه فعلىٰ نفسِه عَمِيَ وإيّاها ضَرَّ ﴿وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أَحْفَظُ أَعمالَكم وأُجازيكم عليها، إنّما أَنا مُنذِرٌ واللهُ هو الحفيظُ عليكم ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ جوابُه محذوفٌ تقديرُه: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ نُصَرِّفُها، ومعنىٰ ﴿دَرَسْتَ﴾: قَرَأْتَ وتَعَلَّمْتَ ذلك من اليهودِ، وقُرِئَ: «دارَسْتَ»[1] أي: دارَسْتَ أَهلَ الكتابِ وذاكَرْتَهم، و«دَرَسَتْ»[2] أي: عَفَتْ هذه الآياتُ، وفي قراءةِ عبدِاللهِ: «دَرَسَ»[3] أي: دَرَسَ محمّدٌ صلى الله عليه وآله ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ الفرقُ بينَ هذا اللّامِ واللّامِ في

← إلّا نقصاً، والنقص لايليق به تعالىٰ ...الى آخر قوله الشريف وبحثه الغنيّ اللطيف. راجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩، والتبيان: ج ٤ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٢٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٢٠، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٦، وفي تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٨: وهي قراءة علي وابن عبّاس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وأهل مكة.

(٢) وهي قراءة الحسن وابن عامر. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦١، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٥، والتبيان: ج ٤ ص ٢٢٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٥٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٤.

(٣) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٢٨، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٤، والسمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٠٥، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٦٠ وزاد: أُبيّ وطلحة والأعمش.

﴿لِيَقُولُواْ﴾ أَنَّ هذا حقيقةٌ وذاك مجازٌ، وذلك لأَنَّ الآياتِ صُرِّفَت للتبيينِ ولم تُصَرَّفْ لِيَقولوا دارَسْتَ، ولكن لمَّا حَصَلَ هذا القولُ بتصريفِ الآياتِ كما حَصَلَ التبيينُ شُبِّهَ به، والضميرُ في ﴿لِنُبَيِّنَهُ﴾ للآياتِ لأَنَّها في معنى القرآنِ، أَو يعودُ إلى القرآنِ وإن لم يَجْرِ له ذكرٌ لكونِه معلوماً، أَو إلى الكتابِ المقدَّرِ في قولِه: «دَرَسْتَ» و «دارَسْتَ».

﴿ٱتَّبِعْ مَآأُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآإِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ(١٠٦) وَلَوْ شَآءَٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَآأَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَاتَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٠٨)

﴿لَآإِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراضٌ أُكِّدَ به إيجابُ اتِّباعِ الوحي ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: لاتُخالِطْهم ولاتُلاطِفْهم ﴿وَلَوْ شَآءَٱللَّهُ﴾ لاضطرَّهم إلى الإيمانِ قَسْراً وإجباراً ﴿وَلَاتَسُبُّواْ﴾ آلهةَ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْواً﴾ أَي: ظلماً وعدواناً، كان المسلمون يسبُّون آلهتَهم فنُهوا لِئَلَّا يكونَ سبُّهم سبباً لسبِّ الله. وفيه دَلالةٌ علىٰ أَنَّ النهيَ عن المُنكَرِ الَّذي هو من أَجلِّ الطاعاتِ إذا عُلِمَ أَنَّه يُؤَدِّي إلىٰ زيادةِ الشرِّ ينقلبُ معصيةً فصارَ النهيُ عن ذلك النهي[1] من جملةِ الواجباتِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أَي: علىٰ جهالةٍ باللهِ ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا﴾ أَي: مثلُ ذلك التزيينِ زَيَّنَّا ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من أُمَمِ الكفَّارِ ﴿عَمَلَهُمْ﴾ أَي: خلَّيْناهم وماعَمِلُوا ولم نَمْنَعْهم حتَّى حَسُنَ عندَهم عَمَلُهم السيِّءُ ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيُوَبِّخُهم عليه ويُعاتِبُهم ويُعاقِبُهم.

---

(١) في نسخة: المنهيّ.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١٠)

أَي: حَلَفوا ﴿بِاللهِ﴾ مُجِدِّين مُجتهِدين ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ من الآياتِ الَّتي اقتَرَحوها ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللهِ﴾ وهو قـادرٌ عـليها ولكـنَّه لايُنَزِّلُها إِلَّا علىٰ مقتضَى الحكمةِ، أَو إِنَّمَا الأَيَاتُ عِنْدَاللهِ لاعندي فكيفَ آتـيكم بها[1] ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أَي: ومايُدريكم أَنَّ الآيـةَ الَّـتي يَـقْتَرِحونَها ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها، يعني: أَنَا أَعْلَمُ أَنـَّها إِذا جاءَت لايُؤْمنون بها وأَنتم لاتَدرون بذلك، وذلك أَنَّ المؤمنين كانوا يَطْمَعُون في إِيمانِهم عندَ مـجيءِ تـلك الآيـةِ ويَـتَمَنَّوْن مجيئَها، فأَخْبَرَهم سبحانه أَنـَّهم لايَدرون ماسَبَقَ علمُه به من أَنـَّهم لايؤمنون بها أَلا تَرَىٰ إِلىٰ قولِه: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقيل: إِنَّ ﴿أَنَّهَآ﴾ بمعنىٰ «لَعَلَّها» من قولِ العربِ: إِئْتِ السُوقَ أَنـَّكَ تَشْتَرِي لَحْماً، أَي: لَعَلَّك[2]، ويُقَوِّيها قِراءَةُ أُبَيٍّ: «لَعَلَّها إِذا جاءَتْهُم لايُؤْمِنُون»[3]، وقُرِئَ: «إِنَّها» بالكسرِ[4] علىٰ أَنَّ الكلامَ قد تَمَّ

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٧.

(٢) وهو قول الخليل علىٰ ماحكاه عنه سيبويه. راجع كتاب سيبويه: ج ٣ ص ١٢٣، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٨٢، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٩٠، وتفسير الرازي: ج ١٣ ص ١٤٤.

(٣) حكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٠، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٧، والرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١٤٥، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢١١، وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: ج ٤ ص ٢٠٢.

(٤) قرأه ابن كثير والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) والمفضّل والأعشىٰ ونصير وخلف وأبوبكر إلّا يحيىٰ. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٣٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٥.

قبلَه، والمعنىٰ: ومايُشعِرُكم مايكونُ منهم، ثمَّ أَخبَرَهم بعلمِه فيهم فقال: إنّها إذا جاءَت لايؤمنون بها البتّةَ، ومنهم مَن جَعَلَ «لا» مزيدةً في قِراءَةِ الفتحِ[1] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ ... وَنَذَرُهُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لَايُؤْمِنُونَ﴾ داخلٌ في حكمِ ﴿وَمَايُشْعِرُكُمْ﴾ بمعنىٰ: ومايُشعِرُكُمْ أنّهم لايؤمنون ﴿وَ﴾ مايُشعِرُكُمْ أنّا ﴿نُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ أي: نَطْبَعُ علىٰ قلوبِهم وأبصارِهم فلايَفقَهون ولايُبْصِرون الحقَّ كما كانوا عندَ نزولِ آياتِنا أوّلاً لايؤمنون بها لكونِهم مطبوعاً علىٰ قلوبِهم ﴿وَ﴾ مايُشعِرُكم أنّا ﴿نَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ أي: نُخلّيهم وشأنَهم لانكُفُّهم عَن الطُغيانِ حتّىٰ يعمَهوا فيه.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ (١١٣)

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ يَشهَدون لنبيِّنا بالرسالةِ، وأَحيَينا ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ حتّىٰ شَهِدوا له، وهذا كقولِهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾[2] ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾[3] ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ كقولِهم: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ

(١) وهو منسوب للكسائي، نسبها إليه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٠. قال الزجّاج: والذي ذكر أنّ «لا» لغو غالطٌ؛ لأنّ ماكان لغواً لايكون غير لغو. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٨٣.

(٢) الفرقان: ٢١.

(٣) الدخان: ٣٦.

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾[(١)]، ومعنىٰ قولِه: ﴿قُبُلًا﴾ كُفَلاءَ[(٢)] بصحَّةِ مابَشَّرْنا به وأَنْذَرْنا، أَو جماعاتٍ[(٣)]، أَو مُقابَلَةً[(٤)]، وقُرِئَ: «قِبَلاً»[(٥)] أَي: عياناً[(٦)] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيَّةَ إِكراهٍ وقَسْرٍ ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيُقْسِمون باللهِ جَهْدَ أَيمانِهم علىٰ مالايَشْعُرون من حالِ قلوبِهم عندَ نزولِ الآياتِ، أَو ولكنَّ أَكثرَ المسلمين يَجْهَلُونَ أَنَّ هؤُلاءِ لايؤمنون طوعاً ولو أُتوا بكلِّ آيةٍ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ وكما خَلَّيْنا بينَك وبينَ أَعدائِك كذلك فَعَلْنا بمن قبلَك من الأَنبياءِ وأَعدائِهم لم نَمْنَعْهم عن العَداوةِ لما فيه من الامتحانِ الَّذي هو سببُ ظهورِ الثباتِ والصبرِ وكثرةِ الثوابِ والأَجرِ، و ﴿شَيَـٰطِينَ﴾ بدلٌ من ﴿عَدُوًّا﴾، أَو هما مفعولا ﴿جَعَلْنَا﴾[(٧)]، و ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يُوَسْوِسُ شياطينُ الجنِّ إِلىٰ شياطينِ الإِنس، وبعضُ الجنِّ إِلىٰ بعضٍ، وبعضُ الإِنسِ إِلىٰ بعضٍ ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ مايُزَيِّنُه من القولِ والإِغراءِ على المعاصي ويُمَوِّهُه ﴿غُرُورًا﴾ أَخذاً علىٰ غِرَّةٍ وخَدعاً ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَافَعَلُوهُ﴾ أَي: ماعادُوكَ أَو ماأَوْحىٰ بعضُهم إِلىٰ بعضٍ زُخْرُفَ القولِ بأَن

---

(١) الاسراء: ٩٢.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٠، والزجّاج أيضاً في معاني القرآن: ج٢ ص ٢٨٣، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٨.

(٣) وهو قول مجاهد وابن زيد. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٣٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٥٧، واختاره الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٠١.

(٤) وهو قول ابن عبّاس وقتادة وابن زيد وابن إسحاق ومحمّد بن يزيد. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٣٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٥٧، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٦٦.

(٥) قرأه ابن عامر ونافع وأبو جعفر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٣٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٢٠٥. وانظر وجوه قراءتها في القرطبي: ج ٧ ص ٦٦.

(٦) وهو قول هارون القارئ علىٰ ماحكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩١.

(٧) انظر تفصيل ذلك في إعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٩١، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢١٥.

يَكُفَّهم عنه اضطراراً ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ جوابُه محذوفٌ تقديرهُ: وليكونَ ذلك الإصغاءُ ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ علىٰ أَنَّ اللامَ لامُ الصيرورةِ، والضميرُ في ﴿إِلَيْهِ﴾ وفي ﴿فَعَلُوهُ﴾ واحدٌ، أَي: وليَميلَ إِلىٰ ماذُكِرَ من عَداوةِ الأَنبياءِ ووَسْوَسَةِ الشياطينِ ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ الكفَّارِ ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأَنفسِهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَاهُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثامِ.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا لَّامُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١١٥)

أَي: أَأَطْلُبُ غيرَاللهِ حاكماً يَحْكُمُ بيني وبينَكم، وَيُمَيِّزُ المُحِقَّ منَّا من المُبْطِلِ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ المُعْجِزَ ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيَّناً فيه الحلالُ والحرامُ والكفرُ والإِيمانُ، والشهادةُ لي بالصدقِ وعليكم بالافتراءِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: التوراةَ والإِنجيلَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ القرآنَ ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ هو من بابِ التهييجِ والإلهابِ كقولِه: ﴿وَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١]، أَو فلاتَشُكَّنَّ في أَنَّ أَهلَ الكتابِ يَعْلَمون أَنَّه منزَّلٌ بالحقِّ وإِن جَحَدَه أَكثرُهُم، ويجوز أَن يكونَ ﴿فَلَاتَكُونَنَّ﴾ خطاباً لكلِّ أَحدٍ[٢]، علىٰ معنىٰ أَنَّه إِذا تظاهرت الحُجَجُ على صحَّتِه فلايَنبغي أَن يَمْتَرِيَ فيه أَحدٌ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أَي: حجَّةُ ربِّك وأَمرُه ونهيُه ووعدُه ووعيدُه ﴿صِدْقاً وَعَدْلًا﴾، وقيل: هي القرآن[٣] ﴿لَّامُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ﴾ أَي: لاأَحدَ يُبَدِّلُ شيئاً من ذلك بما هو أَصْدَقُ

---

(١) الأنعام: ١٤، يونس: ١٠٥، القصص: ٨٧.

(٢) وهو قول الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٤٦ قال: الخطاب للنبيِّ ﷺ والمراد به الأمة.

(٣) قاله الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٣١٨، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٦٠، واختاره الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢١٩.

وأَعْدَلُ ﴿صِدْقاً وَعَدْلًا﴾ نصب على الحالِ، وقُرِئَ: «كلماتُ ربِّكَ»[١].

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧)

أَي: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ﴾ الناسِ أَضَلُّوك؛ لأَنَّ الأَكثرَ في الغالبِ يَتَّبِعُون الأَهواءَ، ثمَّ قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو ظنُّهم أَنَّ آباءَهم كانوا مُحِقِّين فهم يُقَلِّدونهم، وفيه: أَنَّه لاعبرةَ في معرفةِ الحقِّ بالكثرةِ وإِنَّما الاعتبارُ بالحجّةِ[٢]، و ﴿يَخْرُصُونَ﴾ يُقَدِّرون أَنَّهم علىٰ شيءٍ أَو يَكذِبونَ ﴿مَن يَضِلُّ﴾ يجوزُ أَن يكونَ استفهاماً فيكونَ تعليقاً[٣]، ويجوزُ أَن يكونَ منصوباً بفعلٍ مضمرٍ يدلُّ عليه قولُه: ﴿أَعْلَمُ﴾ لأَنَّ «أَفْعَل من كذا» لايَتَعَدّىٰ إِلى المفعولِ به[٤]، ويجوزُ أَن يكونَ علىٰ حذفِ الباءِ ليُقابِلَ قولَه: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٥].

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١١٨)

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٦.

(٢) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٤٩: وفي الآية دلالة علىٰ بطلان قول أصحاب المعارف، وبطلان قولهم: إنّ الله تعالىٰ لايتوعد من لايعلم الحقّ؛ لأنّ الله بيّن في هذه الآية أنّهم يتبعون الظنّ ولايعرفونه، وتوعدهم علىٰ ذلك، وذلك بخلاف مذهبهم.

(٣) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٢، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٨٦. قال الرماني: هذا لايجوز؛ لأنّه لايطابق قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فمعنى الآية: أنّ الله تعالىٰ أعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدّي إلىٰ الهلاك بالعقاب، ومن سلك سبيل الهدى المفضي به إلىٰ النجاة والثواب. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٥١.

(٤) احتمله الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٥) حكاه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٧٢ ونسبه إلىٰ بعض البصريّين.

وَمَالَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ آسْمُ آللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا آضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ آلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ آلَّذِينَ يَكْسِبُونَ آلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ (١٢٠)

﴿فَكُلُواْ﴾ مسبَّبٌ عن إنكارِ اتِّباعِ المُضِلِّين الَّذين يُحِلُّونَ الحرامَ ويُحَرِّمون الحلالَ، وذلك أنَّهم قالوا للمسلمين: أَتَأْكُلُون ماقَتَلْتُمْ أَنتم ولاتَأْكُلُون ماقَتَلَ ربُّكم؟! فقيل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ آسْمُ آللهِ عَلَيْهِ﴾ خاصَّةً دونَ ماذُكِرَ عليه اسمُ غيرِه أو ماتَ حَتْفَ أنفِه، وماذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه هو المُذَكّىٰ ببسمِ اللهِ ﴿وَمَالَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ﴾ وأَيُّ شيءٍ عَرَض لكم في أَن لاتَأْكُلوا وَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ مَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ممَّا لم يُحَرَّمْ علىٰ لسانِ الرسولِ، وقُرِئَ: ﴿فَصَّلَ لَكُمْ مَّاحَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ على البناءِ للفاعلِ وهو اللهُ عَزَّوجلَّ ﴿إِلَّا مَا آضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ ممَّا حُرِّمَ عليكم فإنَّه يَحِلُّ لكم في حالِ الضرورةِ ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ﴾ فيُحَرِّمون ويُحَلِّلون ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ وشَهَواتِهم، ومن قَرأَ بالضمِّ أَراد يُضِلُّون أَشياعَهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغيرِ تَعَلُّقٍ بشرعٍ ﴿وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ آلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أَي: ماأَعْلَنْتُمْ منه وماأَسْرَرْتُمْ[1]، وقيل: ماعَمِلْتُمْ بجوارحِكم ومانَوَيْتُمْ بقلوبِكم[2]، وقيل: الظاهرُ الزنا والباطنُ اتِّخاذُ الأَخدانِ[3]، و

---

(١) وهو قول قتادة والربيع بن أنس ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٥٥، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٦١، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٨٧، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦١.

(٢) قاله الجبّائي على ماحكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٥٥، واختاره القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٧٤.

(٣) قاله السدي والضحّاك. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٦١، والتبيان: ج ٤ ص ٢٥٥، واختاره الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٢ وفيه: «المخالّة» بدل «الأخدان» قال: المخالّة: أن تتّخذ المرأة الخليل وأن يتّخذها.

﴿يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ يَرْتَكِبون القبيحَ، والاقترافُ: الاكتسابُ.

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّـلُمَـٰتِ لَـيْسَ بِـخَارِجٍ مِّـنْهَا كَـذَٰلِكَ زُيِّـنَ لِـلْكَـٰفِرِينَ مَـا كَـانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢)

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضميرُ يَرْجِعُ إِلىٰ مصدرِ الفعلِ، أَي: وإِنَّ الأَكلَ منه لَفسقٌ[1]، أَو إِلىٰ ﴿مالَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَـلَيْهِ﴾ علىٰ: وإِنَّ أَكلَه لفسقٌ[2] وفـيه دَلالةٌ عـلىٰ تحريمِ ذبائحِ أَهل الكتابِ أيضاً؛ لأَنَّه لايَصِحُّ مـنهم القـصدُ إِلىٰ ذكـرِ اسـمِ اللهِ تعالىٰ[3]، وأَمَّا المسلمُ فإِذا لم يُسَمِّ اللهَ تعالىٰ متعمِّداً لم تَحِلَّ ذبيحتُه، وإذا كـان ناسياً حلَّ أَكلُها[4] ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ أَي: يُوَسْوِسُونَ ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾

---

(١) وهو اختيارالنحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٤، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦١.

(٢) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٢، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٥٧.

(٣) قال الشيخ في الخلاف: ج ٦ كتاب الصـيد والذبـائح مسألة (٢٣): لاتـجوز ذبـائح أهـل الكتاب اليهود والنصارىٰ عند المحصّلين من أصحابنا، وقال شذاذ منهم: إنّه يجوز أكـله، انتهى. وأراد بالشذاذ ابن أبي عقيل وابن الجنيد علىٰ ماحكاه عنهما العلّامة في المختلف: ج ٢ ص ٦٧٩ ط قديم، وقال: المشهور عند علمائنا تحريم ذبائح الكفّار مطلقاً سواء كانوا أهل ملّة كاليهود والنصارىٰ والمجوس أو لا كعبّاد الأوثان والنيران وغـيرهما، ذهب إليـه الشيخان والسيد المرتضىٰ وسلّار وابن البرّاج وأبو الصلاح وابن حمزة وابن إدريس.

(٤) قال الشيخ في الخلاف: ج ٦ كتاب الصيد والذبائح مسألة (٦): التسمية واجبة عند إرسال السهم وإرسال الكلب وعند الذبيحة، فمتىٰ لم يسمِّ مع الذكر لم يحلّ أكله، وإنْ نسيه لم يكن به بأس، وبه قال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه. انظر احكام القرآن للجصّاص: ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١٨، والمبسوط للسرخسي: ج ١١ ص ٢٣٦، واللباب: ج ٣ ص ١١٦، وعمدة القارئ: ج ٢١ ص ٩٣، وفتح الباري: ج ٩ ص ٦٠١، وبدائع الصنائع: ج ٥ ص ٤٦، والحاوي الكبير: ج ١٥ ص ١١، والبحر الزخّار: ج ٥ ص ٢٩٦.

من المشركين ﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ بقولهم: ولاتأكلون ممّا قتلهُ اللهُ ﴿وَإِنْ أَطَـٰعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ لأنَّ من اتّبَعَ غيرَ اللهِ في دينِه فقد أَشْرَكَ به، ثمَّ مَثَّلَ سبحانه مَن هَداه بعدَ الضلالةِ بـ﴿مَن كَانَ مَيْتاً﴾ فأَحياه وَجَعَلَ ﴿ لَهُ نُوراً﴾ يستضيءُ به بينَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾، ومَن بَقِيَ على الضلالةِ بالخابطِ في الظُلماتِ لايَخرُجُ منها، وقولُه: ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ معناه: كمن صفتُه هذِهِ وهي قولُه: ﴿فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ بمعنىٰ: هو في الظُلماتِ ليسَ بخارجٍ، كقولِه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ﴾ (١) أَي: صفتُها هذِهِ وهي قولُه: ﴿فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ عن الحسن: زَيَّنَه ـ وَاللهِ ـ لهم الشيطانُ وأَنْفُسُهم (٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَايَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَايَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآأُوتِىَ رُسُلُ ٱللهِ ٱللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٤)

المعنىٰ: خَلَّيْناهم وشأنَهم ﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ ولم نَكُفَّهم عن المَكْرِ، وخَصَّ الأَكابرَ لأَنّهم الحاملون على الضلالِ والماكِرون بالناسِ، وهو كقولِه: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ (٣) تقول: هو أَكْبَرُ قومِه، وهم أَكابِرُ قومِهم ﴿وَمَايَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأَنَّ مكرَهم يَحيقُ بهم (٤)، رُوِيَ: أَنَّ أباجَهلٍ قال: زاحَمْنا بَني عبدِ منافٍ في

---

(١) محمد: ١٥.

(٢) حكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١٧١.

(٣) الاسراء: ١٦.

(٤) حاق بهم الأمر: لزمهم ووجب عليهم ونزل. (القاموس المحيط: مادة حاق).

الشرَفِ، حتَّىٰ إذا صِرْنا كَفَرَسَيْ رهانٍ قالوا: مِنَّا نبيٌّ يوحىٰ إليه، وَاللهِ لانَرْضىٰ به ولانَتَّبِعُه أبداً إلَّا أن يَأْتِيَنا وحيٌ كما يأتيه فَنَزَلَتْ[١]. ونحوُها قولُه: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً﴾[٢]. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ للإنكارِ عليهم، أي: إنَّ اللهَ لايَصْطَفي لِلرسالةِ إلَّا مَن عَلِمَ أنَّه يَصْلُحُ لها وهو أَعْلَمُ بموضِعِها ﴿سَيُصِيبُ﴾ أكابرَ الَّذين أجْرَموا ﴿صَغَارٌ﴾ وقَمْأَةٌ[٣] بعدَ كِبَرِهم وعِظَمِهم ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدارَيْن.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥)

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ﴾ أي: يَلْطُفَ به ويُوَفِّقَه، ولايَفْعَلُ ذلك إلَّا بمن يَعْلَمُ أنَّ له لطفاً ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ بأن يُثَبِّتَ عزمَه عليه ويُقَوِّيَ دواعيَه على التمسُّكِ به؛ لطفاً له بذلك ومَنّاً عليه حتَّىٰ يُحِبَّ الدُخولَ فيه وتَسْكُنَ نفسُه إليه ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ﴾ أي: يَخْذُلَه ويُخَلِّيَه وشأنَه وهو الَّذي لالطفَ له ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ بأن يمنعَه أَلطافَه حتَّىٰ يَقْسُوَ قلبُه ويَنْبُوَ من قبولِ الحقِّ، ويَنْسَدَّ فلا يَدْخُلَه الإيمانُ، وقُرِئَ: ﴿حَرِجاً﴾ بفتحِ الراءِ وكسرِها[٤]. فالفتحُ على

(١) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦٣، والرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١٧٣ عن مقاتل، وأشار إليها الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٨٨.

(٢) المدّثّر: ٥٢.

(٣) قَمَأَ قَمْأَةً وقَماءَةً وقُمْأَةً: ذلَّ وصَغُر. (القاموس المحيط: مادة قمأ).

(٤) وهي قراءة نافع وعاصم برواية أبي بكر. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٦٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٠. وحكاها الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٣ ونسبها إلىٰ ابن عبّاس وعمر.

الوصفِ بالمصدرِ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يَتَصَعَّدُ في السماءِ، أي: كأنّما يُزاوِلُ أمراً غيرَ ممكنٍ؛ لأنَّ صعودَ السماءِ مَثَلٌ فيما يَبْعُدُ من الاستطاعةِ وتَضيقُ عنه المَقْدُرَةُ، وقُرِئَ: «يَصّاعَدُ»[١] أي: يَتَصاعَدُ ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي:الخِذلانَ ومنعَ التوفيقِ[٢]، وَصَفَه بنقيضِ مايوصَفُ به التوفيقُ من الطيبِ، أو أرادَ الفعلَ الَّذي يُؤَدِّي إلى الرجسِ وهو العذابُ[٣].

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَاشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٨)

﴿وَهَٰذَا﴾ طريقُ ﴿رَبِّكَ﴾ وعادتُه في التوفيقِ والخِذلانِ ﴿مُسْتَقِيماً﴾ عادلاً مُطَّرِداً لااعوجاجَ فيه، وانتَصَبَ علىٰ أنّه حالٌ مُؤَكِّدَةٌ نحوُ قولِه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾[٤]. ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: للّذين تَذكَّروا وعَرَفُوا الحقَّ دارُ اللهِ يعني الجنّةَ[٥]، أضافَها إلىٰ نفسِه تعظيماً لها، أو دارُ السلامةِ من كلِّ آفةٍ وبليّةٍ[٦] ﴿عِندَ

---

(١) قرأه أبو بكر عن عاصم والنخعي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٦٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٨٣.

(٢) وهواختيار أبي‌عبيدة في مجازالقرآن:ج١ ص٢٠٦،والزمخشري في‌الكشّاف:ج٢ص ٦٤.

(٣) وهو قول ابن زيد علىٰ ماحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٣.

(٤) البقرة: ٩١.

(٥) وهو قول الحسن والسدي. انظر تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦٤، و التبيان: ج ٤ ص ٢٧١، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٦٧، واختاره البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٣.

(٦) وهو قول الزجّاج والجبائي علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧١، ←

رَبِّهِمْ﴾ أَي: هي مضمونةٌ لهم عند ربِّهم يوصِلُهم إليها لامَحالةَ، كما تقول: لفلانٍ عندي حقٌّ لايُنسىٰ ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ مُواليهم ومُحِبُّهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أَي: بسببِ أعمالِهم، أَو متولِّيهم بجزاءِ ماكانوا يَعْمَلُون، «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ»(١) منصوبٌ بمحذوفٍ، أَي: واذكُرْ يومَ نَحْشُرُهم، أَو يومَ نَحْشُرُهم ﴿جَمِيعاً﴾ قُلنا: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾، أَو يومَ نَحْشُرُهم وقُلنا: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ كانَ مالايوصَفُ لفَظاعتِه، والجِنُّ هم الشياطينُ ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أَضْلَلْتُمْ منهم كثيراً كما يُقال: ٱسْتَكْثَرَ فلانٌ من الأَشياع ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الَّذين اتَّبعُوهم وأَطاعوهم: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أَي: انْتَفَعَ الإِنسُ بالشياطينِ حيثُ دَلُّوهم على الشهَواتِ ومايوصِلُ إليها، وانْتَفَعَ الجنُّ بالإِنسِ حيثُ أَطاعوهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يَعْنُونَ يومَ البعثِ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالىٰ لهم: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ أَي: مُقامُكم ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ مُؤَبَّدين ﴿إِلَّا مَاشَآءَ ٱللَّهُ﴾ من أَوقاتِ حشرِهم من قبورِهم ومقدارِ مدَّتِهم في مُحاسَبَتِهم(٢)، وقيل: إِنَّ الاستثناءَ لغيرِ الكفَّارِ من عُصاةِ المسلمين فإِنَّهم في مشيَّةِ اللهِ إِن شاءَ سبحانه عَذَّبَهم وإِن شاءَ عفا عنهم، أَو لمن آمَنَ من الكفَّارِ(٣).

← والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٦٧ عن الزجّاج، وانظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(١) وهي قراءة الجمهور غير عاصم برواية حفص ويعقوب برواية روح. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٧٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٠، والتيسير للداني: ص ١٠٧، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٢) وهو اختيار الرماني والبلخي والطبري والزجّاج والجبّائي علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٤.

(٣) قاله ابن عباس على ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣١، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٤.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ (١٣٠)

أَي: ﴿وَ﴾ مثلُ ذلكَ ﴿نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ نُخلِّيهم حتَّىٰ يَتولَّىٰ بعضُهم بعضاً كما فَعلَ الشياطينُ وغُواةُ الإنسِ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أَي: بسببِ ماكَسَبُوا من الكفرِ والمعاصي ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ آختُلِفَ في أَنَّ الجنَّ هل بُعِثَ إليهم رُسُلٌ منهم؟ فقالَ بعضُهم: بُعِثَ إليهم رسولٌ من جنسِهم[١]، وتَعلَّقَ بظاهرِ هذه الآيةِ، وقال الآخرون: الرُسلُ من الإنسِ خاصَّةً[٢]، وإنَّما قيلَ: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ لأَنَّه لمَّا جُمِعَ الثَقلانِ في الخطابِ صَحَّ ذلك وإن كانَ من أحدِهما، كقولِه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٣] وإن كانَ اللُؤلُؤُ يَخرُجُ من المِلحِ دونَ العَذبِ، وعن ابنِ عبَّاس: إنَّما بُعِثَ الرسولُ من الإنسِ، ثمَّ كان هو يُرْسِلُ إلى الجنِّ رسولاً منهم[٤] ﴿يَقُصُّونَ﴾ أَي: يَتْلُونَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ حُجَجي ودلائِلي ويُخَوِّفونكم ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ هذا حكايةٌ لتصديقِهم وإيجابِهم

(١) وهو قول الضحّاك علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣١، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٧ وقال: وبه قال الطبري واختاره البلخي أيضاً وهو الأقوىٰ. وفي تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٨٦: قاله الضحّاك ومقاتل.

(٢) وهو قول ابن جريج والفراء والزجّاج والرماني والبلخي والطبري علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٠. وحكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣١، والقرطبي أيضاً: ج ٧ ص ٨٦ ونسباه إلىٰ مجاهد والكلبي وابن عبّاس علىٰ رواية.

(٣) الرحمن: ٢٢.

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٦، وانظر تفسير الطبري: ج ٥ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

قولَه، وإقرارِهم بأنَّ حجَّةَ اللهِ لازمةٌ لهم.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (١٣٥)

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ ماتقدَّمَ من بعثِهِ الرُسلَ إليهم، وتقديرُه: الأمرُ ذلك ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ تعليلٌ، أي: الأمرُ ماقصَصْنا عليك لانتفاءِ كونِ ربِّك ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أي: بسببِ ظلمٍ أقْدَموا عليه[1]، أو ظالماً علىٰ معنىٰ: أنَّه لو أهْلَكهم من غيرِ تنبيهٍ برسولٍ وكتابٍ لكان ظالماً وهو مُتَعالٍ عن الظُلمِ[2] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلَّفين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي: مراتبُ من أعمالِهم علىٰ حسبِ مايَسْتحِقُّونه، وقيل: أرادَ دَرَجاتٌ وَدَرَكاتٌ مِنْ جَزاءِ أعْمالِهم فَغَلَّبَ منازلَ أهلِ الجنَّةِ[3] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ أي: بساهٍ ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يخفىٰ عليه مقاديرُه ومايُسْتَحَقُّ عليه ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عبادِه وعن عبادتِهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ يَترَحَّمُ عليهم بالتكليفِ ليُعَرِّضَهم للمنافعِ العظيمةِ الَّتي لايَحْسُنُ إيصالُهم إليها إلَّا بالاستحقاقِ لاقترانِها بالتعظيمِ والإجلالِ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيُّها العُصاةُ

(١) وهو قول مقاتل علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) وهو قول مجاهد والفراء والجبائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٧٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٧٢، ومعاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٥.

(٣) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦٧، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٣٠.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ أي: ويُنْشِئْ من بعدِ إهلاكِكم وإذهابِكم خلقاً غيرَكم يُطيعونه يَكونون خلَفاً لكم ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ تَقَدَّموكم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الحشرِ والثوابِ والعقابِ وتفاوتِ أَهلِ الجنَّةِ والنارِ في الدرَجاتِ والدرَكاتِ ﴿لَآتٍ﴾ لامَحالةَ ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ بخارجين من ملكِه ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ المَكانَةُ تَكونُ مصدراً لـ«مَكُنَ»: إذا تَمَكَّنَ أَبْلَغَ التَمَكُّنِ، ويكونُ بمعنى المكانِ يقال: مكانٌ ومكانةٌ ومقامٌ ومقامةٌ، أَي: اعمَلوا علىٰ تمكُّنِكم من أَمرِكم وأَقصىٰ استطاعتِكم وإمكانِكم[1]، أَو اعمَلوا علىٰ حالِكم التي أَنتم عليها[2] ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ علىٰ مكانَتِي الَّتي أَنا عليها، والمعنىٰ: اثبُتُوا علىٰ كفرِكم وعَداوتِكم فإِنِّي ثابتٌ على الإِسلامِ وعلىٰ مُصابَرَتِكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّنا تكونُ له العاقبةُ المحمودةُ، وهذا نحوُ قولِه: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[3] في أَنَّه علىٰ طريقِ التهديدِ والتسجيلِ على المأمورِ بأَنَّه لايَأْتي منه إِلَّا الشرُّ، فكأَنَّه واجبٌ عليه وهو مأمورٌ به ليس له أَن يَعْمَلَ بخلافِه ﴿مَن تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ إن كان بمعنىٰ «أَيٍّ» فمحلُّه الرفعُ ويكونُ تعليقاً، وإِن كانَ بمعنىٰ «الَّذي» فمحلُّه النصبُ[4]، و ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ العاقبةُ: الحُسنَى الَّتي خَلَقَ اللهُ هذِهِ الدارَ لها، وهو وَعيدٌ.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ

---

(١) وهو قول أبو زيد علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٨٣، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٣، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٣١.

(٢) وهو اختيار النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٧.

(٣) فصّلت: ٤٠.

(٤) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٥٥، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٣١.

فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَايَحْكُمُونَ﴾ (١٣٦)

يعني: كفَّارَ مكَّةَ وأَسلافَهم، كانوا يُعَيِّنون أَشياءَ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ للهِ وأَشياءَ منهما لآلهتِهم، فإِذا رَأَوْا ماجَعَلوه للهِ نامياً زاكياً رَجَعُوا فجَعَلُوه للآلهةِ، وإِذا زَكا ماجَعَلُوه للآلهةِ تَرَكوه لها، واعتلُّوا لذلك بأَنَّ الله غنيٌّ (١)، وقولُه: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه أَنَّ اللهَ هو الَّذي ذَرَأَه وزَكَّاه، فكان أَولىٰ بأَن يُجْعَلَ له الزاكي، وقُرِئَ: «بِزُعْمِهم» بضمِّ الزاي (٢) وفتحِها، أَي: زَعَمُوا أَنَّه للهِ واللهُ لم يَأْمُرْهم بذلك، وسُمِّيَ الأَوثانُ شركاءَهم لأَنَّهم أَشْرَكوهم في أَموالِهم وفي أَنعامِهم ﴿سَآءَ مَايَحْكُمُونَ﴾ في إِيثارِ آلهتِهم على اللهِ سبحانه، وعملِهم علىٰ مالم يُشَرَّعْ لهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَافَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَـا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَقَالُواْ هَـٰذِهِ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّايَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْـعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّايَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٨)

أَي: ومثلُ ذلك التزيينِ الَّذي هو تزيينُ الشركِ في قسمةِ القُربـاتِ بـينَ اللهِ وآلهتِهم ﴿زَيَّنَ﴾ لهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الشياطينِ (٣)، أَو من سَدَنَةِ الأَصنامِ (٤)

---

(١) انظر تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) وهي قراءة يحيىٰ بن وثاب والسُلَمي والأعمش والكسائي. راجع تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩٠، والتبيان: ج ٤ ص ٢٨٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٠.

(٣) وهو قول الحسن ومجاهد والسدي. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦٥، والتبيان: ج ٤ ص ٢٨٧.

(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٧، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٤، وحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٨٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٤.

﴿قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ﴾ بالوَأْدِ خيفةَ العَيْلةِ أَو العارِ، وقُرِئَ: «زُيِّنَ» على البناءِ للمفعولِ الَّذي هو قتلُ «أَوْلادَهُمْ» بالنصبِ «شُرَكَآئِهِمْ» بـالجر عـلىٰ إِضـافةِ «قَـتْلُ» إِلىٰ «شُرَكائِهِمْ»[١] والفصلِ بينَهما بغيرِ الظرفِ كما جاءَ في الشعرِ:

فَـــزَجَجْتُها بِـــمِزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبي مَـزادَهْ[٢]

والتقديرُ: زُيِّنَ لهم أَن قَتَلَ شُرَكاؤُهم أَولادَهم ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أَي: ليُـهلِكوهم بالإِغواءِ ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليَخْلِطوه عليهم ويُشَبِّهوه، ودِينُهم هو ماكانوا عليه من دين إِسماعيل، وقيل: دينُهم الَّذي كان يَجِبُ أَن يَكونوا عليه[٣] ﴿وَلَـوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيَّةَ قسر ﴿مَافَعَلُوهُ﴾ أَي: مافَعَلَ المشركون مازُيِّنَ لهـم مـن القـتلِ ﴿فَذَرْهُمْ وَمَايَفْتَرُونَ﴾ أَي: وافتراءَهم أَو مايَفْتَرونَه من الإِفكِ ﴿حِجْرٌ﴾ فِعْلٌ بمعنىٰ مفعولٍ كالذبحِ والطحنِ بمعنى المذبوحِ والمطحونِ، ويستوي فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّرُ والمؤَنَّثُ لأَنَّ حكمَه حكمُ الأَسماءِ غيرِ الصفاتِ[٤]، وعن ابـنِ مسـعودٍ وأُبَيٍّ: «حِرْجٌ»[٥] وهو من التضييقِ، وكانوا إِذا عَيَّنُوا شيئاً من حَرثِهم وأَنـعامِهم

---

(١) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٨٦، وكتاب السبعة في القراءات لابـن مـجاهد: ص ٢٧٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١١.

(٢) البيت من الكامل، ولم نقف علىٰ قائله فيما توفّرت لدينا من مـصادر، قـال الشـيخ فـي التبيان: أنشده بعض الحجازيّين ذكره أبو الحسن. وفي خزانة الأدب: قال ابن خلف: هذا البيت يروىٰ لبعض المدنيّين المولّدين. والمزجّة: الرمح القصير، وأبو مزادة: كنية رجل، أراد أنّه طعن الناقة أو الجماعة، وقيل: امرأته كطعن أبي مزادة القلوص في السير. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٨٦، وخزانة الأدب: ج ٤ ص ٤١٥، وكتاب سيبويه: ج ١ ص ٨٨، والخصائص: ج ٢ ص ٤٠٦، والقاموس المحيط: مادة (زج).

(٣) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٧٠.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ٧١.

(٥) حكاه عنهما ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٤٦، والقرطبي في تـفسيره: ج ٧ ص ٩٤، وأبو حيان الأندلسي في بحره: ج ٤ ص ٢٣١. وانظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٩٩.

لآلهتِهم قالوا: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يعنون خَدَمَ الأَصنامِ والرجالَ دونَ النساءِ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ من غيرِ حجَّةٍ لهم فيه ﴿وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها﴾ هي البحائرُ والسوائِبُ والحَوامي ﴿وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذبحِ والنحرِ وإِنَّما يَذْكُرُون عليها أَسماءَ الأَصنامِ، وقيل: لا يَحِجُّون عليها ولا يُلَبُّونَ علىٰ ظهورِها[1]، والمعنىٰ: أنَّهم قَسَّموا أنعامَهم فقالوا: هذِه أنعامٌ حِجْرٌ وهذِهِ أَنعامٌ محرَّمةُ الظُهورِ وهذِهِ أَنعامٌ لا يُذْكَرُ عليها اسْمُ اللهِ، فجَعَلوها أجناساً بِدَعواهم الباطلةِ، ونَسَبوا ذلك التَقسيمَ إِلى اللهِ ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أَي: فَعَلُوا ذلك كلَّه علىٰ جهةِ الافتراءِ، فهو مفعولٌ له أَو حالٌ[2].

﴿وَقَالُواْ مَافِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَارَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَاكَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠)

كانوا يقولون في أَجِنَّةِ البَحائِرِ والسوائِبِ: إِنَّ ماوُلِدَ منها حيّاً فهو خالصٌ للذُكورِ وماوُلِدَ منها ميتاً اشْتَرَكَ فيه الذُكورُ والإِناثُ، وأُنِّثَ ﴿خَالِصَةٌ﴾ للحملِ على المعنىٰ؛ لأَنَّ ﴿مَا﴾ في معنى الأَجِنَّةِ، وذُكِّرَ ﴿مُحَرَّمٌ﴾ للحملِ على اللفظِ[3]، ويجوزُ أَن يكونَ التاءُ للمُبالَغَةِ كالتاءِ في «راويةِ الشِعرِ»[4]، وأَن يكونَ مصدراً

(١) قاله أبو وائل علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٨٩، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٦، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٩٥.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٣) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٨، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٥، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٣٧.

(٤) وهو اختيار الكسائي والأخفش علىٰ ماحكاه عنهما القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٩٥، ←

وَقَعَ موقعَ الخالصِ كالعافيةِ أي: ذو خالصةٍ، ويَدُلُّ عليه قِراءَةُ من قَرَأَ: «خالِصَةً» بالنَصبِ[١] علىٰ أَنَّ قولَه: ﴿لِّذُكُورِنَا﴾ هو الخبرُ و«خالصةً» مصدر مؤكِّدٌ ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ وإن يَكُنْ مافي بطونِها ميتةً، وقُرِئَ: «وَإِنْ تكُن»[٢] علىٰ: وإن تكن الأَجِنَّةُ ميتةً، وقُرِئَ: «وَإِنْ تَكُنْ» بالتأنيثِ «مَيْتَةٌ» بالرفعِ[٣] علىٰ «كان» التامَّةِ، وذُكِّرَ الضميرُ في قولِه: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ لأَنَّ المَيْتَةَ لكلِّ ميِّتٍ ذكراً أَو أُنثىٰ، فكأَنَّه قيل: وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أَي: جزاءَ وصفِهم الكَذِبَ على اللهِ في التحليلِ والتحريمِ من قولِه: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾[٤] ﴿هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ﴾[٥]، ﴿سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً وخفَّةَ حلمٍ وذهاباً عن الصوابِ، جَهِلُوا أَنَّ اللهَ هو رازقُ أولادِهم لاهم، وقُرِئَ: «قَتَّلُوا» بالتَشديدِ[٦] ﴿وَحَرَّمُواْ مَارَزَقَهُمُ﴾ من البحائرِ والسوائبِ وغيرِهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَاتُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَايُحِبُّ

← وراجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٠٦.

(١) وهي قراءة ابن عبّاس وقتادة وابن جبير والأعرج. راجع البحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٢٣١، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٩٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩٦.

(٢) قرأه ابن عامر إلّا الداحوني عن هشام وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٩٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٢.

(٣) وهي قراءة ابن عامر. انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٠، والتبيان: ج ٤ ص ٣٠٣.

(٤) النحل: ٦٢.

(٥) النحل: ١١٦.

(٦) قرأه ابن كثير وابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٩٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧١.

ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١)

ثمَّ ذكَرَ سبحانه إنشاءَه الأشياءَ فقالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ من الكرومِ ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مَسموكاتٍ مَرفوعاتٍ بالدعائِمِ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ متروكاتٍ علىٰ وجهِ الأرضِ لم تُعرَشْ ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ أَي: وأَنشأَ النخلَ والزرعَ ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ في اللونِ والطعمِ والحجمِ والرائِحةِ وهو ثمرُهُ الَّذي يُؤكَلُ، والضميرُ للنخلِ، والزرعُ داخلٌ في حكمِه لكونِه معطوفاً عليه ،و ﴿مُخْتَلِفًا﴾ حالٌ مقدَّرةٌ؛ لأَنَّه لم يكن وقتَ الإنشاءِ كذلك ﴿وَ﴾ أَنشأَ ﴿ٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ في الطعمِ واللونِ والحجمِ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ فيها، وإِنَّما قال: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ ليُعلَمَ أَنَّ وقتَ إباحةِ الأَكلِ ﴿مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ وقتُ الإِطْلاعِ[1]، ولايُتَوهَّمَ أَنَّه غيرُ مباحٍ أَكلُه قبلَ وقتِ الإِيناعِ ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وهو ماتَيَسَّرَ إعطاؤه المساكينَ من الضغثِ[2] بعدَ الضغثِ والحُفْنَةِ[3] بعدَ الحُفْنَةِ وهو المرويُّ عنهم عليهم السلام[4]، وقيل: إنَّه الزكاةُ: العُشرُ أَو نصفُ العُشرِ[5]، أَي: لاتُؤَخِّروه عن أَوَّلِ وقتٍ يُمْكِنُ فيه الإِيتاءُ ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ بأَن تَتَصَدَّقُوا بالجميعِ ولاتُبقُوا للعيالِ شيئاً.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ

(١) طلع النخل: خرج طلعه، والطلعُ مايبدو من الثمرة في أول ظهورها. (القاموس المحيط: مادة طلع).

(٢) الضغث: قبضة حشيش. (القاموس المحيط: مادة ضغث).

(٣) الحُفنة: ملء الكفّ. (القاموس المحيط: مادة حفن).

(٤) انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٩٥.

(٥) وهو قول ابن عبّاس ومحمّد بن الحنفية وزيد بن أسلم والحسن وسعيد بن المسيّب وطاووس وجابر بن عبدالله وبريد وقتادة والضحّاك. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٩٥، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩٩.

ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١٤٤)

عَطَفَ ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ علىٰ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي: ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ماتُحْمَلُ عليه الأَثقالُ ومايُفْرَشُ للذبحِ، أو يُنْسَجُ من وَبَرِه وصوفِه وشَعرِه الفَرْشُ [١]، وقيل: الحمولةُ: الكبارُ الَّتي تَصْلُحُ للحملِ، والفرشُ: الصغارُ لدنوِّها من الأَرضِ فهي كالفرش المفروش عليها [٢] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بدلٌ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾، ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ أَي: زوجَيْن اثنَيْن، يُريدُ الذكرَ والأُنثىٰ كالكَبْشِ والنَعْجَةِ [٣] والتَيسِ [٤] والعَنْزِ [٥] والجَمَلِ والناقةِ والثورِ والبقرةِ، فإِنَّ الواحدَ يُسَمَّىٰ فرداً إِذا كانَ وحدَه وإِذا كان معه غيرُه من جنسِه فهما زوجان، يدلُّ عليه قولُه: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [٦] وقولُه: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ثمَّ فَسَّرَها بقوله: ﴿مِّنَ

---

(١) وهو اختيار النحّاس في إعراب القرآن: ج ص ١٠١، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٧٣.

(٢) قاله ابن مسعود وابن عبّاس علىٰ روايةٍ والحسن ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٩٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٩. وهو اختيار أبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٠٧، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٨.

(٣) النعجة: الأنثىٰ من الضأن. (القاموس المحيط: مادة نعج).

(٤) التيس: الذكر من الظباء والمعز والوعول، أو إذا أتىٰ عليه سنة. (القاموس المحيط: مادة تيس).

(٥) العنز: الأنثىٰ من المعز. (القاموس المحيط: مادة عنز).

(٦) النجم: ٤٥.

﴿ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ و ﴿مِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾، والضأْنُ والمَعْزُ جمع ضائِنٍ وماعزٍ، والهمزةُ في ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ للإنكارِ، والمرادُ بـ «الذكَرَيْن» الذكرُ من الضَّأْنِ ومن المعزِ و بـ ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الأنثىٰ من الضأْنِ ومن المعزِ، والمعنىٰ: إنكارُ أن يُحَرِّمَ اللهُ من جنسَي الغنمِ: ضأْنِها ومعزِها شيئاً من نوعَيْ ذكورِها وإناثِها، ولاممَّا تَحْمِلُ إناثُ الجنسَيْن، وكذلك القولُ في ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من جنسَي الإبلِ والبقرِ و ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما وماتَحْمِلُ إناثُهما، وذلك أَنَّهم كانوا يُحَرِّمون ذكورَ الأَنعامِ تارةً، وإناثَها تارةً، وأَولادَها كيفَما كانت ذكراً[1] أَو إناثاً أَو مختلطةً تارةً، وكانوا يقولون: قد حَرَّمَها اللهُ، فأَنْكَرَ ذلك عليهم ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ أَخبِروني بأَمرٍ معلوم من جهةِ اللهِ يدلُّ علىٰ تحريمِ ماحَرَّمْتُمْ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في أَنَّ اللهَ حرَّمه ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ بل أَكنتم شهداءَ حين أَمركم ربُّكم بهذا التحريم؟! ومعناه: أَعَرَفْتُمْ توصيةَ اللهِ به مُشاهِدِين، لأَنَّكم لاتؤْمنون بالرُّسُلِ وتقولون: إنَّ اللهَ حَرَّمَ هذا الَّذي تُحَرِّمونه ؟! ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ فَنسبَ إليه تحريمَ مالم يُحَرِّمْ ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾ وهو عمرُو بنُ لُحَيٍّ بنِ قَمَعَةَ الَّذي بَحَرَ البحائِرَ وسَيَّبَ السوائِبَ. فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ﴾ تمامُه عندَ قولِه: ﴿وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا﴾، وقولُه: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ إلىٰ قولِه: ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ اعتراضٌ، وكذلك قولُه: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ و﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ إلىٰ تمامِ الآيَتَيْن، والاعتراضاتُ لتأْكيدِ التحليلِ والاحتجاجِ علىٰ مَن ذَهَبَ إلى التحريمِ.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ

(١) كذا في جميع النسخ، والأصحّ والأنسب «ذكوراً».

فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤٥)

ثمَّ أَخَذَ في بيانِ المُحَرَّماتِ، وقولُه: ﴿فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ إيذانٌ بأَنَّ التحريمَ إِنَّما يَثْبُتُ بوحيٍ من اللهِ لابما تَهْواه النُفوسُ ﴿مُحَرَّماً﴾ أَي: طعاماً مُحَرَّماً من المطاعمِ الَّتي حَرَّمْتُمُوها ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أَي: إلّا أَن يكون الشيءُ المُحَرَّمُ ميتةً ﴿أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً﴾ مصبوباً سائِلاً كالدمِ في العُروقِ لاكالكَبِدِ أَو المختلطِ باللحمِ لايُمكنُ تخليصُه منه ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أَي: نجسٌ ﴿أَوْ فِسْقاً﴾ عطفٌ على المنصوبِ قبلَه و ﴿أُهِلَّ﴾ صفةٌ له ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ فمن دَعَتْه الضرورةُ إِلىٰ أَكلِ شيءٍ من هذه المحرَّماتِ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ علىٰ مضطرٍّ مثلِه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أَي: متجاوزٍ قدرَ حاجتِه من تَناوُلِه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ (١٤٦) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧)

ذو الظُفُرِ: كلُّ ماله إِصبعٌ من دابّةٍ أَو طائرٍ ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ هو كقولِك: مِنْ زَيْدٍ أَخَذْتُ مالَه، تريدُ بالإِضافةِ زيادةَ الرَبطِ، والمعنىٰ: أَنّه حُرِّمَ عليهم لحمُ كلِّ ذي ظُفُرٍ وشحمُه وكلُّ شيءٍ منه، ولم يُحَرَّمْ عليهم من البقرِ والغنمِ إِلَّا الشُحومُ الخاصَّةُ وهي التُروبُ[1] وشُحُومُ الكُلىٰ، وقولُه: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ معناه: إِلَّا ما اشْتَمَلَ على الظُهورِ والجُنوبِ ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أَو ما اشْتَمَلَ على الأَمعاءِ ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحمُ الأَليةِ

(١) التَربُ: شحم رقيق يُغَشّي الكَرِشَ والأمعاء. (القاموس المحيط: مادة ثرب).

﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاءَ ﴿جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ بسببِ ظلمِهم ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ فيما أوعدنا به العُصاةَ، وفي الإخبارِ عن بغيِهم ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقولُ ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ لايُعَجِّلُ بالعقوبةِ، ولايُدْفَعُ عذابُه إذا جاءَ وقتُه.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠)

هذا إخبارٌ بماسوف يقولونه، ثمَّ لمَّا قالوه قالَ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾[1] زَعَمُوا أَنَّ شركَهم وشركَ آبائِهم وتحريمَهم ماحَرَّمُوه بمشيئَةِ اللهِ تعالىٰ وإرادتِه، ولولا أنَّه شاءَ ذلك لم يكن شيءٌ منه، وهذا مذهبُ المُجبِّرَةِ بعينِه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ جاءَ[2] ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بالتكذيبِ المطلقِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه رَكَّبَ في العقولِ مادلَّ علىٰ علمِه بالقبائحِ، وبِغناه عنها وبراءَتِه عن مشيئَةِ القبائحِ وإرادتِها، وأَخبَرَ أنبياءَه بذلك، فمن عَلَّقَ وجودَ الكفرِ بمشيئَتِه فقد كَذَّبَ التكذيبَ كلَّه وهو تكذيبُ اللهِ وكتبِه ورسلِه، ونَبَذَ أدلَّةَ العقلِ والسَمعِ وراءَ ظهرِه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلُ ذلك التكذيبِ الَّذي صَدَرَ من هـٰؤلاءِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟

(١) الزخرف: ٢٠. (٢) في بعض النسخ: حال.

بَأْسَنَا﴾ حتّىٰ أَنْزَلْنا عليهم العذابَ بتكذيبِهم ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ من أَمرٍ معلومٍ يصحُّ الاحتجاجُ به فيما قُلتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ وهذا من التهكُّمِ والشهادةِ بأَنَّ مثلَ قولِهم محالٌ أَن يكونَ له حجّةٌ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أَي: ماتتَّبعون في قولِكم هذا ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تُقَدِّرونَ أَنَّ الأَمر كما تَزعُمون، أَو تكذِبون ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾ أَي: فإِن كان الأَمرُ كما زَعَمْتُم أَنَّ ماأَنتم عليه بمشيئَةِ اللهِ فَلِلّهِ الحجَّةُ الْبالِغَةُ عليكم علىٰ قودِ مذهبِكم، فإِنَّه يقتضي أَن تُعلِّقوا دينَ من يُخالِفُكم أَيضاً بمشيئَةِ اللهِ ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ منكم ومن مُخالِفيكم[1] في الدينِ، فينبغي أَن تُوالوهم ولاتُعادوهم لأَنَّ المشيئَةَ تَجْمَعُ بينَ ماأَنتم عليه وماهم عليه ﴿هَلُمَّ﴾ يستوي فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّرُ والمؤنَّثُ، وبنو تميمٍ تُؤَنِّثُ وتَجْمَعُ[2]. والمعنىٰ: هاتوا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ بصحَّةِ ماتدَّعونه من ﴿أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أَي: لاتُسَلِّمْ لهم ماشَهِدُوا به ولاتُصدِّقْهم؛ لأَنَّه إِذا سَلَّمَ لهم فكأَنَّه شَهِدَ مثلَ شهادتِهم وكان واحداً منهم.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّاتُشْرِكُواْ بِهِ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَاتَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَاتَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ وَلَاتَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّابِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١)

﴿مَاحَرَّمَ﴾ منصوبٌ بـ ﴿أَتْلُ﴾ بمعنىٰ: أَتْلُ الَّذي حرَّمه ربُّكم، أَو بـ ﴿حَرَّمَ﴾ بمعنىٰ: أَتْلُ أَيَّ شيءٍ حَرَّمَ ربُّكم لأَنَّ التلاوةَ من القولِ[3]، و «أَنْ» في «أَنْ

---

(١) في نسخة: مخالفتكم.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) قال الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٤٨: و «ما» علىٰ هذا تكون ←

لَّاتُشْرِكُوا» مفسِّرةٌ و «لا» للنهي[1]، وإن جُعِلَتْ «أن» الناصبة للفعلِ كانَ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ بدلاً من ﴿مَاحَرَّمَ﴾، إلَّا أنَّ القولَ الأوّلَ أوجَهُ ليكونَ «لاتُشركوا»، ﴿وَلَاتَقْرَبُوا﴾، ﴿وَلَاتَقْتُلُوا﴾، ﴿وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ نواهيَ وتَنعطِفَ الأوامرُ عليها وهي قولُه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فإنَّ التقديرَ: وأَحْسِنُوا بالوالدَيْنِ إحساناً ﴿وَأَوْفُوا﴾، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾، ويجوزُ أن تقفَ على قولِه: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ثمَّ تبتدئَ فتقولَ: ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّاتُشْرِكُوا﴾ أي: عليكم تركُ الإشراكِ، على أن يكونَ «أن» الناصبةَ للفعلِ ﴿وَلَاتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: من أجلِ إملاقٍ وخَشيتِه، وهو الفقرُ[2] ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ المعاصيَ والقبائحَ ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ﴾ مثلُ قولِه: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[3]، وعن الباقر عليه السلام: «ماظَهَرَ هو الزنا، ومَابَطَنَ هو المُخالَّةُ»[4]، وأعادَ ذكرَ النهي عن القتلِ وإن كانَ داخلاً في الفواحشِ تعظيماً لأمرِه ﴿إِلَّابِالْحَقِّ﴾ كالقصاصِ والقتلِ على الردَّةِ والرجمِ، و﴿النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ هي نفسُ المسلمِ والمُعاهِدِ.

﴿وَلَاتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَانُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

← استفهامية، و «عليكم» يحتمل أن يكون من صلة التلاوة، وأن يكون من صلة التحريم.

(١) وهو اختيار الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٦٤، وحكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٠٦، واختاره الزمخشري أيضاً في الكشاف: ج ٢ ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) وهو قول ابن عبّاس وقتادة والسدي وابن جريج والضحّاك على ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣١٥، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٦.

(٣) الأنعام: ١٢٠.

(٤) التبيان: ج ٤ ص ٣١٦.

سَبِيلِهِ ذَٰلِكُم وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣)

المرادُ بالقربِ التصرُّفُ فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخَصْلَةِ الَّتي هي أَحسنُ مايُفعَلُ بمالِ اليتيمِ، وهي حفظُه وتثميرُه، والمعنىٰ: احـفَظوه عـليه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو بلوغُ الحُلُمِ وكمالُ العقلِ، ثمَّ ادفَعوه إليه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بـالتسويةِ[١] والعدلِ ﴿لَانُكَلِّفُ نَفساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وهو مايَسَعُها ولاتَعجِزُ عنه، وإنَّما أَتبَعَ الأَمرَ بإيفاءِ الكيلِ والوزنِ ذلك؛ لأَنَّ مراعاةَ التعديلِ فيهما على الحدِّ الَّذي لازيادةَ فيه ولانقصانَ ممَّا يَتعَذَّرُ، فأَمَرَ ببلوغِ الوُسـعِ وَأَنَّ مـاوراءَه مـعفوٌّ عـنه ﴿وَإِذَا قُـلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾ أَي: فَقُولُوا الحقَّ ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقولُ له أَو عليه في شهادةٍ أَو غيرِها ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ من القائِلِ، أَي: من أَهلِ قَرابتِه ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً﴾ قُرِئَ بالفتحِ علىٰ تقديرِ: ولأَنَّ هذا صراطي مستقيماً ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، وهذا علىٰ قياسِ قولِ سيبَوَيْهِ في نـحوِ قـولِه: ﴿وَأَنَّ ٱلْـمَسَـٰجِدَ لِـلَّهِ فَـلَاتَدْعُواْ﴾[٢] و ﴿لِإِيلَـٰفِ قُـرَيْشٍ ... فَلْيَعْبُدُواْ﴾[٣] فيكونُ ـ علىٰ هذا ـ قولُه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِـى مُسْـتَقِيماً﴾ عـلَّةً للاتِّباعِ[٤]، وقُرِئَ: «وَأَنْ هـٰذا» بالتخفيفِ[٥] علىٰ: وأَنَّه هـٰذا صِراطِي عـلىٰ أَنَّ الهاءَ ضميرُ الشَّأْنِ، وقُرِئَ: «وَإِنَّ» بالكسرِ[٦] فيكونُ كأَنَّه قيل: وَاتَّبِعُوا صِراطِي إِنَّه مُسْتَقِيمٌ ﴿وَلَاتَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الطُرُقَ المختلفةَ في الدينِ من اليهوديَّةِ والنصرانـيَّةِ

---

(١) في نسخة: بالسوية.
(٢) الجنّ: ١٨.
(٣) قريش: ١ ـ ٣.
(٤) كتاب سيبويه: ج ١ ص ٤٦٤، وحكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٠٧.
(٥) وهي قراءة ابن عـامر ويـعقوب. راجـع التـبيان: ج ٤ ص ٣١٩، وتـفسير البـغوي: ج ٢ ص ١٤٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣، والتيسير للداني: ص ١٠٨.
(٦) قراه حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣١٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣.

والمجوسيّةِ وسائرِ البِدَعِ والشُبُهاتِ ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ أَصلُه تَتَفَرَّقَ، أَي: فتُفرِّقَكُم أَيادِيَ سَبأ[1] ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ عن صِراطِ اللهِ المُستقيمِ وهو دينُ الإِسلامِ، وقُرِئَ: «فتَّفَرَّقَ» بإِدغام التاءِ في التاءِ[2].

ورُوِيَ: أَنَّ النبيَّ ﷺ خَطَّ خطّاً ثمَّ قالَ: هـٰذا سَبِيلُ الرُشدِ، ثمَّ خطَّ عن يمينِه وعن شمالِه خطوطاً ثمَّ قالَ: هـٰذِهِ سُبُلٌ علىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنها شَيطانٌ يَدعو إِلَيْه، ثمَّ تَلا هذِهِ الآيةَ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً﴾[3].

وعن ابنِ عبَّاس: هذهالآياتُ محكماتٌ لم يَنْسَخْهنَّ شيءٌ من جميعِ الكتبِ[4].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن

---

(١) ذهبوا أيدي سبأ، وتفرّقوا أيدي سبأ. مثلٌ يضرب في من تفرّقوا تفرقاً لااجتماع معه، وسبأ هو رجل من العرب ولد عشرة، تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأمّا الذين تيامنوا: فالأزد وكندة ومذحج والأشعرون وإنما رمنهم بجيلة، وأمّاالذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام وهمالذين أرسل عليهم سيلالعرم بفعل جرذٍ بعثهالله سبحانه فنقبت ردمهم الذي ابتنوه بعدما كذبوا رسولهم، فانتقض الردم فدخل الماء جنتيهم فغرقهما ودفنالسيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾. انظر مجمع الأمثالللميداني: ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) قرأه ابن فليح والبزي إلّا القواس. انظر التبيان: ج ٤ ص ٣١٩، وكتاب العنوان في القراءات لابن خلف الأندلسي: ص ٩٣.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ج ٢ ص ٣١٨ باسناده عن عبدالله، وليس فيه لفظ «الرشد»، والتلخيص للذهبي المطبوع بهامش المستدرك.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٠، والهمداني في الفريد: ج ٢ ص ٢٥٢.

رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧)

عُطِفَ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ علىٰ ﴿وَصَّـٰكُم بِهِۦ﴾ والمعنىٰ: ذٰلكم وَصَّاكم به يابَني آدمَ قديماً وحديثاً ثُمَّ إِنَّا آتَيْنا ﴿مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وقيل: هو عطفٌ علىٰ ماتَقَدَّمَ من قولِه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[١] [٢]، ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي: تماماً للكَرامةِ والنعمةِ علىٰ مَن كانَ مُحسِناً صالحاً يريدُ جنسَ المُحسِنين[٣]، أو أَراد به موسىٰ عليه السلام أي: تتمَّةً للكَرامةِ على العبدِ الّذي أَحْسَنَ الطّاعةَ في التبليغِ وفي كلِّ ماأُمِرَ به[٤]، أو تماماً على الّذي أَحْسَنَ موسىٰ من العلمِ والشرائِعِ[٥]، مِن أَحْسَنَ الشيءَ: إذا أَجادَ معرفتَه، أَي: زيادةً علىٰ علمِه علىٰ وجهِ التتميمِ ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ كَراهةَ أَن تقولوا: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ يُريدون اليهودَ والنصارىٰ ﴿وَإِن كُنَّا﴾ هي المُخَفَّفَةُ من المُثَقَّلَةِ، واللامُ هي الفارقةُ بينَها وبينَ النافية، أَي: وإِنَّه ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾ والهاءُ ضميرُ الشأْنِ[٦]، والدراسةُ: القِراءَةُ، أَي: لم نَعرِفْ مثلَ دِراستِهم ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ

(١) الأنعام: ٨٤.

(٢) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢١ ونسبه الى أبي مسلم وقال: واستحسنه المغربي.

(٣) وهو قول مجاهد كما في التبيان: ج ٤ ص ٣٢١، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج٢ ص ٨٠.

(٤) وهو قول الربيع، واختاره الفراء والزجاج. انظر التبيان: ج ٤ ص ٣٢١، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٦٥، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٠٦.

(٥) وهو اختيار أبي علي الجبائي علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢١.

(٦) وهو مذهب البصريّين، وعند الكوفيّين «إن» النافية بمعنىٰ «ما»، واللام بمعنىٰ «إلّا». انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٥٥.

أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ في المبادَرَةِ إلىٰ قبولِه والتمسُّكِ به لجَودةِ أَذهانِنا وثَقابةِ[١] أفهامِنا، فإنَّ العربَ كانوا يَدُلُّون بحدَّةِ الذهنِ وذَكاءِ[٢] الحدس وحفظِ أَيَّامِهم ووقائِعِهم وخُطَبِهم وأَشعارِهم ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تبكيتٌ لهم، وهو علىٰ قِراءَةِ من قَرَأَ: «يَقُولُوا» بالياءِ[٣] علىٰ لفظِ الغَيْبةِ أَحسنُ لِما فيه من الالتفاتِ، والمعنىٰ: إن صَدَقْتُمْ فيما كنتم تَعُدُّونه من أَنفسِكم ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فحُذِفَ الشرطُ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بعدَ ماعَرَفَ صحَّتَها وصدقَها، أَو تَمَكَّنَ من معرفةِ ذلك ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ النَّاسَ فضَلَّ وأَضَلَّ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَايَنفَعُ نَفْساً إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْراً قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (١٥٨)

أَي: ماينتَظِرُ هؤُلاءِ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ ملائِكةُ الموتِ أَو العذابِ ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أَي: كُلُّ آياتِ ربِّك بدَلالةِ قولِه: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ يُريدُ آياتِ القيامةِ والهلاكِ الكلِّي، وبعضُ الآياتِ[٤]: أَشراطُ الساعةِ كطلوعِ الشمس من مغربِها وغيرِ ذلك ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ الَّتي يَزولُ التكليفُ عندَها ﴿لَايَنفَعُ نَفْساً إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾ أَي: لايَنفعُ الإِيمانُ حينَئِذٍ نفساً غيرَ مقدِّمةٍ إِيمانَها ﴿مِن قَبْلُ﴾ ظهور الآياتِ، ولايَنفَعُ الكسبُ للخيراتِ في الإِيمانِ حينَئِذٍ

(١) ثقب رأيه: نفذ، وهو مِثقَبٌ أي نافذ الرأي. (القاموس المحيط: مادة ثقب).
(٢) الذكاء: سرعة الفطنة. (القاموس المحيط: مادة ذكى).
(٣) وهي قراءة ابن محيصن. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٤٧.
(٤) انظر الأقوال الواردة فيها في التبيان: ج ٤ ص ٣٢٧.

نفساً غير كاسبةٍ لها ﴿فِىٓ إِيمَـٰنِهَا﴾ مِن قبلِ ظهورِها، وفي هذا دَلالةٌ علىٰ أنَّ كسبَ الخيرِ الَّذي هو عملُ الجوارحِ غيرُ الإيمانِ الَّذي هو عملُ القلبِ، ألا تَرىٰ أنَّه عَطَفَ هذا علىٰ ذاك، والشيءُ لايُعْطَفُ علىٰ نفسِه وإنَّما يُعْطَفُ علىٰ غيرِه ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ، وقُرِئَ: ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بالتاءِ والياءِ[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَايُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠)

﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ بأن جعَلوه أدياناً ﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ أي: أحزاباً وفِرَقاً يُكَفِّرُ بعضُهم بعضاً كلُّ فِرقةٍ تُشيِّعُ إماماً لها.

وفي الحديث: «افْتَرَقَتِ اليهودُ علىٰ إحدىٰ وسبعين فِرْقَةً كلُّها في الهاوية إلَّا واحدةً وهي الناجيةُ، وافْتَرَقَتِ النصارىٰ على اثنتين وسَبعين فِرْقَةً كلُّها في الهاويةِ إلَّا واحدةً وهي الناجيةُ، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي عَلىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَةً كلُّها في الهاويةِ إلَّا واحدة»[2].

وقُرِئَ: «فارَقُوا دينَهُم»[3] أي: تَرَكُوه ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: من السُّؤالِ عنهم وعن تَفرُّقِهم[4]، وقيل: معناه: أنّك على المُباعَدَةِ التامَّةِ من

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٢٦، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٣٣٢، المعجم الكبير للطبراني: ج ١٨ ص ٧٠، سنن البيهقي: ج ١٠ ص ٢٠٨.

(٣) قرأه حمزة والكسائي والأعشىٰ، وهو المروي عن علي عليه السلام علىٰ ماحكاه عنه عليه السلام الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢٨، وراجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٢.

الاجتماعِ معهم فِي شَيْءٍ من مذاهبِهم الفاسدةِ[١] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ﴾ والحكمُ بينَهم في اختلافِهم ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أُقيمَتِ الصفةُ مقامَ الموصوفِ، تقديرُه: عشرُ حسناتٍ أَمثالِها، وقُرِئَ: «عشرٌ أَمْثالُها» برفعِهما[٢] جميعاً على الوصفِ، وهذا أَقلُّ ماوُعِدَ من الأَضعافِ، فقد وُعِدَ بالواحدِ سبعُمِائَةٍ، ووُعِدَ أَضعافاً مضاعفةً بغيرِ حسابٍ، ومُضاعَفَةُ الحَسَناتِ فضلٌ ومُكافَأَةُ السيِّئاتِ عدلٌ ﴿وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ لايَنْقُصُ من ثوابِهم ولايُزادُ علىٰ عقابِهم.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٣)

﴿دِيناً﴾ بدلٌ من موضعِ قولِه: ﴿إِلَى صِرَٰطٍ﴾ فإنَّ المعنىٰ: هداني صراطاً، والْقَيِّمُ فَيْعِلٌ من «قامَ» كالسيِّدِ والْهَيِّنِ، وقُرِئَ: ﴿قِيَماً﴾ وهو مصدرٌ بمعنى القيامِ وُصِفَ به، و ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطفُ بيانٍ و ﴿حَنِيفاً﴾ حالٌ من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أَي: هداني وعَرَّفَني ملَّةَ إبراهيمَ في حالِ حَنيفيَّتِه[٣] ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ أَي: عبادتي وتَقَرُّبي كلَّه[٤]، وقيل: وذَبحي فجُمِعَ بينَ الصلاةِ والذبحِ[٥]، ونحوُه:

---

(١) وهو قول الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢٩.

(٢) قرأه الحسن ويعقوب وسعيد بن جبير والأعمش وعيسىٰ بن عمر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٥١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٥ ص ٢٨٤.

(٣) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٤، وحكاه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٩٥ ونسبه الى الزجّاج.

(٥) قاله سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي والضحّاك. انظر التبيان: ج ٤ ص ٣٣٥، ←

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[١]، وقيل: ومناسكَ حجِّي[٢] ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ وما آتيه في حال حياتي وأَموتُ عليه من الإيمانِ والعملِ الصالحِ ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالصةً لوجهه ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ الإخلاصِ ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لأَنَّ إسلامَ كلِّ نبيٍّ مُتقدِّمٌ لإسلامِ أُمَّتِه.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦٥)

هذا جوابٌ عن دعائِهم إيَّاه إلىٰ عبادةِ آلِهَتِهم، والهمزةُ للإنكارِ، أَي: مُنكَرٌ أَن ﴿أَبْغِى رَبًّا﴾ غيرَه وهو ربُّ كلِّ شيءٍ، فكلٌّ من دونَه مربوبٌ، ليسَ في الوجودِ من له الرُّبوبيَّةُ غيرَه، ونحوُه: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾[٣]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ جوابٌ عن قولِهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾[٤]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معناه: لاتُؤخَذُ نفسٌ آثمةٌ بإِثمِ نفسٍ أُخرىٰ ﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يَخلُفُ أَهلُ كلِّ عصرٍ أَهلَ العصرِ الَّذي قبلَه، كلَّما مَضىٰ قرنٌ خَلَفَهم قرنٌ، يجري ذلك على انتظامٍ واتِّساقٍ إلىٰ يومِ القيامةِ[٥]، وقيل: المرادُ بذلك أُمَّةُ نبيِّنا

← وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٩٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١١.

(١) الكوثر: ٢.

(٢) وهو قول مقاتل على ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٦.

(٣) الزمر: ٦٤.

(٤) العنكبوت: ١٢.

(٥) وهو قول الحسن والسدي علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٣٨.

محمّدٍ صلى الله عليه وآله لأنّه خاتمُ النبيّين فخلَفَتْ أُمّتُه سائرَ الأُمَمِ[١] ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في الشرفِ والرزقِ[٢]، وقيل: في الصُورةِ والعقلِ والمالِ والعمرِ[٣] ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ كيفَ تَشْكُرون نِعَمَه، وكيف يَصْنَعُ الشريفُ بالوَضيعِ والغنيُّ بالفقيرِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ بمَن كَفَرَ نِعْمَتَه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمَن قامَ بشكرِها، ووَصَفَ العقابَ بالسُرعةِ لأَنَّ كلَّ ماهو آتٍ قريبٌ.

✿ ✿ ✿

---

(١) قاله الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٤٢٢، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٨٤، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٧، وبه أكثر المفسّرين.

(٢) وهو اختيار الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٣٨، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٤، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٦٠.

(٣) قاله السدي علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٣٨، واختاره الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٧.

سوره الأعراف

مكيَّةٌ[1]، مائتان وستُ آياتٍ كوفيٌّ، خمسٌ بصريٌّ، عَدَّ الكوفيُّ ﴿الٓمٓصٓ﴾[2] و ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[3]، وعَدَّ البصريُّ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[4].

في حديثِ أُبَيٍّ: «مَن قَرَأَ سورةَ الأعرافِ جَعَلَ اللهُ بينَه وبينَ إبليسَ سِتراً وكان آدمُ له شفيعاً يومَ القيامةِ»[5].

الصادقُ عليه السلام: «مَن قَرَأَها في كلِّ شهرٍ كانَ يومَ القيامةِ من الَّذِينَ لاخوفٌ عَلَيْهِمْ ولاهُمْ يَحْزَنُونَ، فإن قَرَأَها في كلِّ جمعةٍ كانَ ممَّن لايُحاسَبُ يومَ القيامةِ»[6].

---

(١) قال الماوردي: هي مكيّة كلّها في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابن عبّاس وقتادة: مكيّة إلّا خمس آيات وهي قوله: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ الىٰ آخر الخمس.
وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: قال قوم: هي محكمة كلّها، وقال آخرون: حرفان منها منسوخان: أحدهما: قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يريد من أموالهم وذلك قبل الزكاة، والآخر: قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَٰهِلِينَ﴾ نسخ بآية السيف، وقال قوم: ليس واحد منهما منسوخاً بل لكلٍّ منهما موضع والسيف له موضع، وهو الأقوىٰ لأنّ النسخ يحتاج الى دليل. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٩٨، والتبيان: ج ٤ ص ٣٤٠، والناسخ والمنسوخ لابن الجوزي: ص ٣٣، والناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ص ٣٣، والناسخ والمنسوخ في القرآن لابن حزم: ص ٣٨، والناسخ والمنسوخ لابن العربي: ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) الآية: ١.

(٣ و ٤) الآية: ٢٩.

(٥) مصباح الكفعمي: ص ٤٣٩، الكشّاف: ج ٢ ص ١٩٣، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٩٣.

(٦) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣٢ ح ١، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢ ح ١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣)

أَي: هو ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ بأَمرِ اللهِ تعالىٰ ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أَي: من تبليغِه، والحرجُ: الضِيقُ، لأَنَّه عليه السلام كانَ يَخافُ تكذيبَ قومِه له وإِعراضَهم عن قبولِ قولِه وأَذاهم له، فكانَ يَضيقُ صدرُه من الأَذاءِ[1] ولا يَنْبَسِطُ له، فَأَمَّنَهُ اللهُ سبحانَه وأَمَرَه بتركِ المُبالاةِ بهم ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ تَعَلَّقَ بـ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أَي: أُنزِلَ إِليْكَ لإِنذارِك به ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ يَحْتَمِلُ النصبَ علىٰ معنىٰ: لِتُنْذِرَ بِهِ وتُذَكِّرَ تَذكيراً فإِنَّ الذكرىٰ في معنَى التذكيرِ، والرفعَ علىٰ أَنَّه خبرُ مبتدأ محذوف، أَو عطفٌ علىٰ ﴿كِتَٰبٌ﴾، والجرَّ للعطفِ علىٰ محلِّ «أَن تُنْذِرَ» أَي: للإِنذارِ والذكرىٰ[2] ﴿ٱتَّبِعُوا۟

---

(١) كذا في النسخ، والصحيح «الايذاء» إذ لم يرد في لسان العرب الأذاء مصدراً لأذىٰ. قال ابن منظور: آذاه يؤذيه أذىً وأذاةً وأذيّةً وتأذّيت به، قال ابن البري: صوابه آذاني إيذاءً فأمّا أذىً فمصدر أذِيَ أذىً وكذلك أذاه وأذِيّة يقال: أذِيْت بالشيءِ آذَى أذىً وأذاةً وأذيّةً فأنا أذٍ... الى أن قال: والاسم الأذِيّة والأذاة. انظر لسان العرب: مادة (أذي).

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٦٦.

مَآأُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ من القرآنِ والوحي ﴿وَلَاتَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الضميرُ لـ ﴿مَآأُنزِلَ﴾ أي: ولاتَتَّبِعُوا من دونِ دينِ اللهِ دينَ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ كم، أو لـ ﴿رَّبِّكُمْ﴾ أي: ولاتَتَّبِعُوا من دونِ اللهِ أولياءَ، أي: ولاتَتَوَلَّواْ من دونه من شياطينِ الإنسِ والجنِّ فيحملوكم على الأهواءِ والبِدَعِ ويُضِلُّوكم عن دينِ اللهِ وعمَّا أمَرَكم باتِّباعِه، وعن الحسن: يابنَ آدمَ أُمِرْتَ باتِّباعِ كتابِ اللهِ وسنَّةِ نبيِّه، واللهِ ماأُنْزِلَتْ آيةٌ إلَّا ويَجِبُ أَن تعْلَمَ فيما أُنْزِلَتْ ومامعناها[١]، ﴿قَلِيلًا مَّاتَذَكَّرُونَ﴾ أي: «تَتَذَكَّرُونَ» فأُدْغِمَ[٢]، وقُرِئَ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ خفيفةَ الذالِ بحذفِ التاءِ، وقُرِئَ: «يَتَذَكَّرُونَ» بياءٍ وتاءٍ[٣] أي: يَتَذَكَّرون تذكُّراً قليلاً حيثُ يَتْرُكُونَ دينَ اللهِ ويَتَّبِعون غيرَه.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ (٥)

﴿فَجَآءَهَا﴾ أي: فجاءَ أهلَها ﴿بَأْسُنَا﴾ أي: عذابُنا ﴿بَيَـٰتاً﴾ مصدرٌ وُضِعَ موضِعَ الحالِ أي: بائتينَ أو قائلينَ، ويجوزُ أن لايُقَدَّرَ حذفُ المضافِ في القريةِ ويكونَ الضميرُ في ﴿أَهْلَكْنَـٰهَا﴾ للقرية؛ لأَنَّ القريةَ تَهْلِكُ كما يَهْلِكُ أهلُها، فلاحاجةَ بنا إلى الإضمارِ[٤]، وقولُه: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ لم يُحْتَجْ فيه إلى الواوِ؛ لأَنَّ

---

(١) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٨٦.

(٢) لايخفىٰ أنّ المصنّف ﷺ قد اعتمد في تفسيره هذا علىٰ نسخة مصحف ليست علىٰ «قراءة عاصم برواية حفص» وهي القراءة المشهورة في بلاد الشام والعراق وبعض الجزيرة العربية، وهنا في نسخة مصحفه «ماتذّكّرون» فقال بعدها: أي تتذكّرون فأدغم. وتجدر الاشارة الى أنّ «ماتذّكّرون» بتشديد الذال هي قراءة عاصم برواية أبي بكر.

(٣) وهي قراءة ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٤٣، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص٢٧٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٧، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

الضميرَ العائِدَ قد أَغنىٰ عنه، ولأَنَّها إذا عُطِفَتْ علىٰ حالٍ قبلَها يُحذَفُ الواو استثقالاً لاجتماعِ حرفَيْ عطفٍ؛ لأَنَّ واوَ الحالِ هي واوُ العطفِ اسْتُعيرَتْ للوصلِ(١)، والمعنىٰ: وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَرَدْنا إهلاكَها فجاءَها عَذابُنا في هذَيْنِ الوقتَيْنِ: وقتِ البياتِ ووقتِ القيلولةِ؛ لأَنَّهما وقتا الغفلةِ والدعَةِ فيكونُ نزولُ العذابِ فيهما أَشَدَّ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ ماكانوا يَدَّعُونَ من دينِهم إِلَّا اعْترافُهم ببطلانه وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فيما كُنَّا عليه، أو فما كان دعاءَهم ربَّهم إِلَّا اعترافهم بظُلْمِهم وتَحَسُّرُهم علىٰ ماكان منهم(٢)، و ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ خبرُ ﴿كَانَ﴾، و ﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ رفع لأَنَّه اسمُه، ويجوزُ العكسُ(٣).

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٧) وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (٩)

أَي: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ المُرْسَلَ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وهم الأُمَمُ، نَسأَلُهم عمَّا أَجابوا به رُسُلَهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عمَّا أُجيبوا به وعمَّا عَمِلَتْ أُمَمُهم فيما جاءُوا به ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرُسُلِ والمُرْسَلِ إليهم ماكانَ منهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ أَي: عالمين بأَحوالِهم الظاهرةِ والباطنةِ ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم وعمَّا وُجِدَ منهم، وأَمَّا المعنيُّ في سُؤَالِهم مع علمِهِ بأَحوالِهم فالتوبيخُ والتقريرُ عليهم وازديادُ سرورِ المُثابين بالثَناءِ عليهم وغمِّ المعاقَبين بإِظهارِ قبائِحِهم(٤) ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ يعني:

---

(١) وهو ماذهب إليه الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٢، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١٧.
(٢) وهو اختيار الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٤٦، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١٨.
(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٧٠.
(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٨، وانظر تفصيل ذلك في التبيان: ج ٤ ←

وزنُ الأَعمالِ والتَمييزُ بينَ خفيفِها وراجِحِها، ورفعُه على الابتداءِ و ﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفتُه و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبرُ المبتدأ[1]، أَي: والوزنُ الحقُّ يومَ يَسْأَلُ اللهُ الأُمَمَ ورُسُلَهم الوزنُ الحقُّ أَي: العدلُ.

واختُلِفَ في كَيْفِيَّةِ الوزنِ: فقيلَ: إِنَّه عبارةٌ عن القضاءِ الحقِّ والحكم بالعدلِ[2]، وقيلَ: توزَنُ صُحُفُ الأَعمالِ بميزانٍ له كفَّتانِ تأْكيداً للحجَّةِ وإِظهاراً للنَّصَفَةِ[3] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمعُ ميزانٍ أَو موزونٍ، فَمَنْ رَجَحَتْ أَعمالُه المَوزونةُ الَّتي لها قدرٌ ووزنٌ وهي الحَسَناتُ، أَو ماتوزَنُ به حَسَناتُهم ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أَي: يُكَذِّبُونَ بها ظلماً كقولِه: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾[4].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (١٢)

﴿مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جَعلْنا لكم فيها مكاناً، أَو ملَّكناكم فيها وأَقْدَرْناكم

← ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(١) وهو اختيار الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٣، وانظر تفصيله في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠١ عن مجاهد، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١٩ عن جرير عن الضحّاك. واختاره الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٥٢ ونسبه الى مجاهد والبلخي والجبائي.

(٣) قاله ابن عمر، وذهب إليه أبو علي وعبيد بن عمير. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٥٢. واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) الأعراف: ١٠٣.

على التَصرُّفِ فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾ جمع معيشةٍ، وهي مايُعاشُ به من أنواعِ الرزقِ ووجوهِ النِعَم والمنافعِ، أو مايُتَوَصَّلُ به إلىٰ ذلك[١]، والوجهُ التَصريحُ بالياءِ[٢]، وقَرَأَ بعضُهم بالهمزةِ[٣] على التَشبيهِ بـ «صَحائِف»، ﴿وَلَقَدْ﴾ خَلَقْنَا أَباكُم آدمَ طيناً غيرَ مُصَوَّرٍ ﴿ثُمَّ﴾ صَوَّرْناهُ بعدَ ذلك ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ﴾، و «لا» في قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ صلةٌ بدليلِ قولِه: ﴿مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[٤]، والفائِدةُ في زيادتِها توكيدُ معنَى الفعلِ الّذي تَدْخُلُ عليه وتحقيقُه[٥]، كأَنّه قيلَ: مامَنَعَكَ أن تُحقِّقَ السُجودَ وتُلْزِمَه نفسَكَ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، لأَنَّ أَمري لك بالسُجودِ قد أَوجَبْتُهُ عليك لابُدَّ لك منه، قالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ وعن ابنِ عبّاسٍ: قاسَ إبليسُ فأَخْطَأَ القياسَ، وهو أَوَّلُ مَن قاسَ[٦]. وإنَّما دَخَلَتِ الشُبهةُ عليه من حيثُ ظَنَّ أَنَّ النارَ أَشْرفُ من الطينِ ومن حقِّ الأَشرفِ أَن لايُؤْمَرَ بالسُجودِ للأَدْوَنِ، فكأَنّه قالَ: مَن كان علىٰ مثلِ صفتي يُسْتَبْعَدُ

(١) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٩.

(٢) قال أبو جعفر النحّاس: والهمز لحن لايجوز؛ لأنّ الواحد معيشة فزدتَ ألف الجمع وهي ساكنة والياء ساكنة فلابدّ من تحريك، إذ لاسبيل الى الحذف والألف لاتحرّك فحرّكت الياء بما كان يجب لها في الواحد، ونظيره من الواو منارة ومناور ومقامة ومقاوم. راجع إعراب القرآن: ج ٢ ص ١١٥، واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٣، وقال الزجّاج: وأكثر القرّاء علىٰ ترك الهمز... وجميع البصريّين يزعمون أنّ همزها خطأ وذكروا أنّ الهمز إنّما يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف، فأمّا معايش فمن العيش الياء أصلية. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) وهي قراءة خارجة عن نافع والأعرج والأعمش. راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٢٠، وشواذ القرآن لابن خالويه: ص ٤٨، والتبيان: ج ٤ ص ٣٥٣.

(٤) صٓ: ٧٥.

(٥) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٩.

(٦) حكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ٣٤، ونقل الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٤٤١ هذا القول ونسبه الى الحسن وابن سيرين.

أن يُؤمَرَ بما أُمِرْتُ به.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَاتَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ (١٧) قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨)

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أَي: من الجنَّةِ(١)، أَو من السَماءِ(٢)، أَو من الدَرَجَةِ أَو المنزلةِ الَّتي أَنت عليها(٣) ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ﴾ عن أَمرِ اللهِ ﴿فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ أَي: من أَهلِ الصَغارِ والهَوانِ على اللهِ وعلى أَوليائِه لِتكبُّرِك، وذلك أَنَّه لما أَظْهَرَ الاستكبارَ أُلْبِسَ لباس الصَغار.

وفي الحديثِ: «مَن تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، وَمَن تَواضَعَ رَفَعَهُ اللهُ»(٤).

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ أَي: أَمْهِلْني وأَخِّرْني في الأَجلِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أَي: يُبْعَثُ الخلقُ من قبورِهم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أَي: بسببِ إِغوائِك إِيَّاي وهو تكليفُه إِيَّاهُ ماوَقَعَ به في الغَيِّ ولم يَثْبُتْ كما ثَبَتَتِ(٥) الملائِكَةُ، وعن بعضِهم:

---

(١) وهو اختيار أبي علي على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٠.

(٢) وهو قول الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٧١، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٠، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٠، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٧٦.

(٣) وهو قول ابن بحر على ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٤) اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ١ ص ٢٩٥.

(٥) في نسخة: ثبت.

أَمَرْتَني بالسُجودِ فَحَمَلَتْنِي الأَنَفَةُ علىٰ معصيتِك[١]، فبسببِ وقوعي في الغَيِّ لأَجْتَهِدَنَّ في إغوائِهم حتّىٰ يَفسُدوا بسببي كما فَسَدْتُ بسببِهم، والباءُ يَتَعَلَّقُ بفعلِ القسمِ المحذوفِ[٢] أَي: فبسببِ إغوائِكَ إيّاي أُقْسِمُ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أَي: لأَعْتَرِضَنَّ لهم علىٰ طريقِ الإسلامِ كما يَعْتَرِضُ العدوُّ على الطَريقِ ليَقْطَعَه على المارَّةِ، وانْتَصَبَ ﴿صِرَٰطَكَ﴾ على الظَرفِ ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم﴾ من الجهاتِ الأَربعِ الَّتي يَأْتي منها العَدُوُّ في الغالبِ، وهذا مَثَلٌ لوَسْوَسَتِه إليهم علىٰ كلِّ وجهٍ يَقْدِرُ عليه، وعن الباقرِ عليه السلام: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أُهَوِّنُ عَليهمِ أَمرَ الآخرةِ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ آمُرُهُم بجمعِ الأَموالِ ومَنْعِها عن الحقوقِ لتَبْقىٰ لوَرَثَتِهم ﴿وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أُفْسِدُ عليهم أَمرَ دينِهم بتزيينِ الضلالةِ وتَحسينِ الشُبهةِ ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ بتحبيبِ اللذّاتِ إليهم وتغليبِ الشهواتِ على قلوبِهم[٣] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾ قاله تَظَنِّياً بدليلِ قولِه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾[٤] [٥]، وقيل: سَمِعَه من الملائكةِ بإخبارِ اللهِ لهم[٦] ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ من ذَأَمَه: إذا ذَمَّه ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ اللامُ فيه مُوطِّئَةٌ للقسمِ، و ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جوابُ القسمِ وقد سَدَّ مسدَّ جوابِ الشرطِ[٧] ﴿مِنكُمْ﴾ أَي: منك ومنهم فغَلَّبَ

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩١ ونسبه الى الأصمّ.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٧٧.

(٣) التبيان: ج ٤ ص ٣٦٥، وفي تفسير القمي: ج ١ ص ٢٢٤ مايقرب منه.

(٤) سبأ: ٢٠.

(٥) وهو قول الحسن كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٥، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٣.

(٦) قاله أبو علي كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٥.

(٧) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٧٩.

ضميرُ المخاطبِ كما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[١].

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَاتَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَاوُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَانَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢٢)

أَي: ﴿وَ﴾ قُلنا: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ﴾، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أَي: تَكَلَّمَ كلاماً خفيّاً يُكرِّرُه ومنه «وَسْوَسَ الحَلْيُ»، وهو فعلٌ غيرُ مُتَعَدٍّ، ورجلٌ مُوَسْوِسٌ بكسرِ الواوِ ولايُقالُ: مُوَسْوَسٌ بالفتحِ ولكن مُوَسْوَسٌ له أو إليه، ومعنىٰ «وَسْوَسَ لَه» فَعَلَ الوَسْوَسَةَ لأَجلِه، و «وَسْوَسَ إِلَيْه» أَلقاها إليه ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾ جَعَلَ ذلك غرضاً له ليَسُوءَهما إذا رَأَيا ما يُؤْثِرانِ سِتْرَه مكشوفاً، وفيه دليلٌ على أَنَّ كشفَ العَورةِ لم يَزَلْ مُسْتَقْبَحاً في العقولِ، والمُواراةُ: جعلُ الشَيءِ وراءَ ما يَسْتُرُه، ولم يُهْمَزِ الواوُ المَضمومةُ في «ووريَ» كما هُمِزَ واوُ «أُوَيْصِلٍ» لأَنَّ الواوَ الثانيةَ مدةٌ[٢] ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ إلّا كَراهةَ أَن تكونا ﴿مَلَكَيْنِ﴾ أَوْهَمَهما أَنَّهما إذا أَكَلا من هذهِ الشجرةِ تَغيَّرَتْ صورتُهما إِلىٰ صورةِ المَلَكِ[٣] ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾ من الَّذين لا

---

(١) الأعراف: ١٣٨.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٨١.

(٣) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٧٠: واستدلّ جماعة من المعتزلة بهذه الآية على أنّ ←

يَمُوتُون ويَبْقَوْن في الجَنَّةِ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وأقْسَمَ لهما: ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي: المخلِصين النصيحةَ في دعائِكما إلى التناوُلِ من هذِهِ الشجرةِ، ولذلك تأكَّدَتْ شبهتُهما إذ ظَنَّا أنَّ أحداً لا يُقْسِمُ باللهِ كاذباً ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ من تدليةِ الدَلوِ وهو إرسالُها في البِئرِ، أي: نَزَّلَهما إلى الأكلِ من الشَجرةِ بما غرَّهما به من القسمِ باللهِ عَزَّوجَلَّ، وعن قَتادةَ: وإنَّما يُخْدَعُ المؤمنُ باللهِ[1]، وعن ابنِ عُمَرَ: أنّه كان إذا رَأى من عبدِه حُسْنَ صَلاةٍ أعْتَقَه، فقيل له: إنَّهم يَخْدَعونَك، فقال: من خَدَعَنا باللهِ انْخَدَعْنا له[2] ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ وَجَدا طعمَها آخِذِيْن في الأكلِ منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ ظَهَرَت لهما عَوراتُهما ﴿وَطَفِقَا﴾ يُقالُ: طَفِقَ يَفْعَلُ كذا بمعنىٰ جَعَلَ يَفْعَلُ ﴿يَخْصِفَانِ﴾ وَرَقَةً فوقَ وَرَقَةٍ علىٰ عَوراتِهما[3] كما يُخْصَفُ النعلُ ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ قيل: كانَ ورقَ التينِ[4] ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ عتابٌ من اللهِ وتنبيهٌ على الخطأ حيثُ لم يَحْذَرا ما حَذَّرَهما اللهُ مِنْ عَداوةِ إبليسَ ومكرِه.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

الملائكة أفضل من البشر، والانبياء منهم. وهذا ليس بشيء؛ لأنّه لم يجر هاهنا ذكر لكثرة الثواب وأنّ الملائكة اكثر ثواباً من البشر بل كان قصد إبليس أن يقول لآدم: ما نهاك الله عن أكل الشجرة الّا أن تكونا ملكين، فإنْ كنتما ملكين فقد نهاكما، وحيث لستما من الملائكة فما نهاكما الله عن أكلها، فتلخيص الكلام أنّ المنهي من اكل الشجرة هم الملائكة فقط، ومن ليس منهم فليس بمنهي، ولا تعلّق لذلك بكثرة الثواب ولا بقلّته.

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٥، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٣.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٥.

(٣) وفيه دلالة على أنّ ستر العورة كان واجباً في ذلك الزمان.

(٤) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٢٥، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢١١، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٨١.

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (٢٥)

سَمَّيَا خطأهما ظلماً لأَنفُسِهما وقالا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ وإن كانَ ذلكَ تركاً للمندوبِ عندَنا؛ لأَنَّ الأَنبياءَ مَعصومون مُنَزَّهون عن ارتكابِ القبائح علىٰ عادةِ أَولياءِ اللهِ في استعظامِ الصَغيرِ من الزَلّاتِ واستصغارِ العظيمِ من الحَسَناتِ[1] ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ الخطابُ لآدمَ وحوّاءَ وإِبْليسَ[2]، و ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في محلِّ النَصبِ على الحالِ، أَي: مُتَعَادِين[3] يُعاديهما إِبْليسُ ويُعاديانِه ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أَي: مَوضِعُ استقرارٍ، أَو استقرارٌ[4] ﴿وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وانتفاعٌ بعيشٍ إِلى انقضاءِ آجالِكم ﴿قَالَ﴾ اللهُ سبحانَه ﴿فِيهَا﴾ في الأَرضِ ﴿تَحْيَوْنَ﴾ تَعيشُون ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ عندَ البعثِ.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَايَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧)

جُعِلَ مافي الأَرضِ مُنْزَلاً من السَماءِ لأَنَّه ثَمَّ قُضِيَ وكُتِبَ، ومنه[5]: ﴿وَأَنزَلَ

---

(١) انظر تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى: ص ٣ ـ ٩، وقصص الأنبياء للجزائري: في بيان عصمة الأنبياء ص ١٣ ـ ٢٥.

(٢) وهو قول السدي والجبائي وابن الأخشيد كما حكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٧٥.

(٣) في نسخة: متعادَيْن.

(٤) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٧، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٨٥.

(٥) في نسخة: مثله.

لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ (١)، والريشُ: لباسُ الزينةِ اسْتُعيرَ من ريشِ الطيرِ لأنّه لباسُه وزينتُه، والمعنىٰ: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ لباسَيْن: ﴿لِبَاساً يُوَٰرِى﴾ عَوراتِكم، ولباساً يُزَيِّنُكم ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهو الوَرَعُ والخَشْيَةُ من اللهِ، وهو مبتدأٌ وخبرُه الجملةُ الّتي هي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (٢)، كأنّه قيل: هُوَ خَيْرٌ، لأنَّ أَسماءَ الإشارةِ تَقْرُبُ من الضمائرِ فيما يَرْجِعُ إِلىٰ عودِ الذِكرِ، وقيل: لباسُ التقوىٰ خبرُ مبتدأ محذوفٍ أَي: وهو لباسُ التقوىٰ، ثمَّ قيل: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (٣)، وقيل: المرادُ بلباسِ التقوىٰ مايُلْبَسُ من الدُروعِ والمغافِرِ وغيرِهما ممّا يُتَّقىٰ به في الحربِ (٤)، وقُرِئَ: «ولباسَ التَّقوىٰ» بالنصبِ (٥) عطفاً علىٰ ﴿لِبَاساً﴾ و ﴿رِيشاً﴾، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالّةِ علىٰ فضلِه ورحمتِه علىٰ عبادِه، يعني: إنزالَ اللِباسِ عليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيَعرِفوا عظيمَ النِعمةِ فيه، وهذه الآيةُ واردةٌ علىٰ سبيلِ الاستطرادِ عقيبَ ذكرِ بُدُوِّ السَوْآتِ إظهاراً لنعمتِه فيما خَلَقَ من اللِباسِ ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أَي: لايُضِلَّنَّكم عن الدينِ ولايَصْرِفَنَّكم عن الحقِّ بأَن يدعُوَكم إِلى المعاصي الّتي تَميل إِليها نفوسُكم، ولايَمْحَنَنَّكم بأَن لاتَدخُلوا الجنَّةَ كما مَحَنَ أَبَوَيْكم بأَن أَخْرَجَهما منها ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ في موضعِ نصبٍ على الحالِ، أَي: أَخْرَجَهما نازِعاً

---

(١) الزمر: ٦.

(٢) وهو اختيار الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٥، والنحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٢٠، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٧.

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٨٦.

(٤) قاله زيد بن علي عليه السلام كما حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٥، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ١٨٥ واستحسنه.

(٥) وهي قراءة نافع وأهل المدينة وابن عامر والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٧٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٠، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٨٥.

لباسَهما عنهما بأَن كان السببَ في نزعِ لباسِهما عنهما ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ﴾ تعليلٌ للنَهي والتَحذيرِ من فتنةِ الشَيطانِ بأَنّه بمنزلةِ العدوِّ المُداجي[١] الَّذي يَكيدُكم من حيثُ لاتَشعُرون ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ وجنودُه من الشَياطينِ ﴿مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ﴾ عن ابنِ عبّاسٍ: إنَّ اللهَ تعالىٰ جعَلَهم يَجْرونَ من بني آدمَ مَجْرَى الدَمِ، وصدورُ بني آدمَ مساكنُ لهم[٢]، وعن قَتادةَ: واللهِ إنَّ عدوّاً يَراك ولاتَراه لَشديدُ المؤُونةِ إلّا من عَصَمَهُ اللهُ[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾ أي: خلَّيْنا بينَهم وبينَهم، لم نَكُفَّهم عنهم حتّى تَوَلَّوْهم وأَطاعوهم فيما سوَّلوا لهم من مُخالَفَةِ اللهِ.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَالَاتَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٠)

أَي: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ﴾ معصيةً كبيرةً اعْتَذَرُوا بأَنَّ آباءَهم كانوا يَفْعَلُونَها، وبأَنَّ اللهَ أَمَرَهم بأَن يَفْعَلُوها، وكلاهما عذرٌ باطلٌ؛ لأَنَّ أَحدَهما تقليدٌ والآخَرَ كَذِبٌ وافتراءٌ على اللهِ ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ﴾ لأَنّه لايَفعَلُ القبيحَ فكيفَ يَأْمُرُ بفعلِه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَالَاتَعْلَمُونَ﴾ إنكارٌ لإضافتِهم القبيحَ إليه وشهادةٌ عليهم بالجهلِ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ﴾ أَي: بالعدلِ[٤] وبما يَشْهَدُ العقلُ أَنّه مُستقيمٌ حقٌّ

(١) المداجاة: المداراة، يقال: داجيته إذا داريته، كأنّك ساترته العداوة. (الصحاح: مادة دجا).

(٢) انظر تفسير ابن عباس: ص ١٢٥.

(٣) أورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٤٠٩، وفي معظم التفاسير أنّ القائل مالك بن دينار. راجع على سبيل المثال تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٥، والكشّاف: ج ٢ ص ٩٨.

(٤) وهو قول مجاهد والسدي وأكثر المفسّرين كما حكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٨٣، ←

حَسَنٌ، وقيل بالتَوحيدِ[١]، ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ أي وقل: أَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ، أي: اقصُدوا عبادتَه مستقيمين إليها غيرَ عادلين إلىٰ غيرِها ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في كلِّ وقتِ سجودٍ[٢]، أو في كلِّ مكانِ سجودٍ وهو الصَلاة[٣] ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ واعبُدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الطَاعةَ مُبْتَغِين بها وجهَه خالصاً ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أَنشَأَكم ابتداءً يُعيدُكم فيُجازيكم علىٰ أعمالِكم فأَخلِصوا له العبادةَ ﴿فَرِيقاً هَدَىٰ﴾ وهم المؤمنون وَفَّقَهم للإيمانِ ﴿وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ أي: الخِذلانُ إذ لم يَقبَلُوا الهُدىٰ ولم يكُن لهم لطفٌ فهم يَضِلُّون ولايَهتدون، وانتَصَبَ قولُه: ﴿وفَرِيقاً﴾ بفعلٍ مضمرٍ يُفَسِّرُه مابعدَه، والتَقديرُ: وخَذَلَ فريقاً[٤] ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ﴾ إنَّ الفريقَ الَّذين حقَّ عليهم الضلالةُ ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أَطاعوهم فيما أَمَرُوهم به.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٣)

أي: ﴿خُذُواْ﴾ ثيابَكم الَّتي تتزَيَّنونَ بها ﴿عِندَ كُلِّ﴾ صلاةٍ.

← والبغوي في تفسيره: ج٢ ص١٥٦، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٠.

(١) قاله الضحّاك. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٦.

(٢) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٠.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٠.

(٤) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

ورُوِيَ: أنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ عليهما السلام كان إذا قامَ إلى الصَلاةِ لَبِسَ أَجْوَدَ ثيابِه، فقيلَ له في ذلك، فقالَ: إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ فَأَتَجَمَّلُ لربّي، وقَرَأَ الآية[١].

وقيل: هو أمرٌ بلُبسِ الثيابِ في الصَلاةِ والطَوافِ، وكانوا يَطوفون عُراةً وقالوا: لانَعْبُدُ اللهَ في ثيابٍ أَذْنَبْنا فيها[٢]، وقيلَ: أَخذُ الزينةِ هو التَمشُّطُ عندَ كلِّ صلاةٍ[٣] ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَاتُسْرِفُوٓاْ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ: كُلْ ماشِئْتَ والْبَسْ ماشِئْتَ ماأَخْطَأَتْكَ خصلتانِ: سَرَفٌ ومَخيلةٌ[٤][٥]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ أَي: من حَرَّمَ الثيابَ الَّتي يَتزَيَّنُ بها الناسُ وكلَّ مايُتَجَمَّلُ به ممَّا أَخرجه اللهُ من الأَرضِ ﴿لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ المُسْتَلَذَّاتِ من المآكلِ والمشاربِ، ومعنَى الاستفهامِ إنكارُ تحريمِ هذِهِ الأَشياءِ ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ غيرَ خالصةٍ لهم لأَنَّ المشركين يَشْرَكونَهم فيها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لهم لايَشْرَكُهم فيها أَحدٌ، ولم يَقُلْ: هي لِلَّذينَ آمَنوا وَلغيرِهم فِي الحَياةِ الدُنْيا؛ لِيُنَبِّهَ علىٰ أَنَّها خُلِقَتْ لِلَّذين آمَنوا وأَنَّ الكافرين تَبَعٌ لهم، وقُرِئَ: ﴿خَالِصَةً﴾ بالنصبِ على الحالِ وبالرَفعِ[٦] علىٰ أَنَّها خبرٌ بعدَ خبرٍ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أَي: لم يُحَرِّمْ ربِّي

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٤ ح ٢٩.

(٢) وهو قول ابن عبّاس وعطاء وإبراهيم والحسن وقتادة وسعيد بن جبير وطاووس. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٨٦، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢١٨، والكشّاف: ج ٢ ص ١٠٠، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٢.

(٣) وهو القول المنسوب الى الصادق عليه السلام. راجع تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٣ ح ٢٥، وعنه تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠ ح ١١، والبحار: ج ١٨ ص ٣١٧.

(٤) المخيلة: الكبر. (القاموس المحيط: مادة خيل).

(٥) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٧، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ١٩١.

(٦) قرأه ابن عبّاس ونافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٨٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٨، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٩٩.

إلّا الفواحشَ، والفاحشةُ: ماتزَايدَ قبحُه ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ﴾ ماعَلَنَ منها وماخَفِيَ ﴿وَٱلإِثْمَ﴾ عامٌّ في كلِّ ذنبٍ، وقيل: شربُ الخمرِ[١] ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ الظُّلمُ والكبرُ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تأكيدٌ ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰناً﴾ فيه تَهَكُّمٌ؛ لأنَّه لايجوزُ أَن يُنَزِّلَ سلطاناً وبرهاناً بأَن يُشْرَكَ به غيرُه ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ أَي: تَتَقَوَّلوا على اللهِ وَتَفْتَرُوا الْكَذِبَ من التَحريمِ وغيرِه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ ماكُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾ (٣٧)

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وعيدٌ لكفَّارِ قُرَيْشٍ بالعذابِ النَازلِ في أَجلٍ معلوم عندَ اللهِ كما نَزَلَ بالأُمَمِ قبلَهم ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ خطابٌ لجميعِ المكلَّفين من بني آدَمَ ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ إِن يَأْتِكم ﴿رُسُلٌ﴾ مِنْ جنسِكم، وإِنَّما ضُمَّت «ما» إِلىٰ «إِن» الشَرطيَّةِ توكيداً لمعنى الشَرطِ، ولذلك لَزِمَتْ فعلَها النُونُ الثقيلةُ أَو الخفيفةُ، وجزاءُ الشَرطِ الفاءُ ومابعدَه من الشَرطِ والجزاءِ[٢]، والمعنىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ منكم، ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) وهو قول الحسن وعطاء. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٧٦، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ١٩١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٤ ص ١٠٢، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ←

كَذَّبُواْ﴾ منكم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: فمن أَشْنَعُ ظلماً ﴿مِمَّنِ﴾ قالَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ مالم يَقُلْه ﴿أَوْ كَذَّبَ﴾ ماقالَه ﴿أُوْلَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: ممَّا كُتِبَ لهم من الأَعمارِ[١] والأَرزاقِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةٌ لنيلِهم نصيبهم واستيفائِهم إيَّاه، أي: إلىٰ وقتِ وفاتِهم وهي الَّتي يُبْتَدَأُ بعدَها الكلامُ، والمستأنَفُ هنا الجملةُ الشَرطيَّةُ، و ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ حالٌ من الرُسلِ، والمرادُ بالرُسلِ هنا: مَلَكُ الموتِ وأَعوانُه ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الرُسلُ ﴿أَيْنَ﴾ الآلِهةُ اللَّاتي كُنتم تَدْعونَها ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أَي: غابوا عنَّا فلانَراهم ولانَنْتَفِعُ بهم؛ اعترافاً منهم بأَنَّهم لم يكونوا علىٰ شيءٍ فيما كانوا عليه.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٣٩)

أَي: يقولُ اللهُ جلَّ جلالُه للكفَّارِ يومَ القيامةِ: ﴿ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾ أي: كائنين في جملةِ ﴿أُمَمٍ﴾ وفي غُمارِهم[٢] مُصاحِبين لهم، والمعنىٰ: ادخُلوا في النَارِ مع أُمَمٍ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ وتَقَدَّمَ زمانُهم زمانَكم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من هذه الأُمَمِ النَّارَ ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ الَّتي ضَلَّتْ بالاقتداءِ بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ أي: تَدارَكوا ﴿فِيهَا﴾ بمعنىٰ: تَلاحقوا واجْتَمَعوا في النَارِ ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ منزلةً وهي

← ج ٢ ص ٢٩٤.

(١) في نسخة: الأعمال.

(٢) بضم الغين وفتحها: جماعتهم. (القاموس المحيط: مادة غمر).

الأَتباعُ والسَّفلةُ ﴿لأُولَـٰهُمْ﴾ منزلةً وهي القادةُ والرُؤَساءُ، ومعنىٰ ﴿لأُولَـٰهُمْ﴾ لأَجلِ أُولاهم؛ لأَنَّ خطابَهم مع اللهِ لامعهم ﴿رَبَّنَا هَـٰؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أَي: دَعَوْنا إِلى الضَّلالِ وحَمَلونا عليه ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً﴾ أَي: مضاعفاً ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أَي: لكلٍّ من رؤَساءِ الضَلالةِ وأَتباعِهم عذابٌ مضاعَفٌ؛ لأَنَّ جميعَهم كانوا ضالِّين مُضِلِّين ﴿وَلَـٰكِن لَّاتَعْلَمُونَ﴾ قُرِئَ بالتاءِ والياءِ[1] ﴿وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لأُخْرَـٰهُمْ﴾ أَي: وقالَ الرُؤَساءُ للأَتباعِ: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا هذا الكلام علىٰ قولِ اللهِ سبحانه للأَتباع: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أَي: فقد ثَبَتَ أَن لافضلَ ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا﴾ فإِنَّا قد اسْتَوَيْنا في استحقاقِ الضِعْفِ ﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ﴾ من قولِ الرُؤَساءِ أَو من قولِ اللهِ لكلا الفريقَيْن جميعاً ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ـه باختيارِكم لا باختيارِنا لكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَايَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَانُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّاوُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَافِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَاكُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣)

﴿لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ أَي: لايَصْعَدُ لهم عملٌ صالحٌ، ونحوُه ﴿إِلَيْهِ

(١) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٩٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٢٩٦.

يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (١)، وقيل: لاتَصْعَدُ أرواحُهم إذا ماتوا كما تَصْعَدُ أرواحُ المؤمنين (٢)، وقيل: لاتَنْزِلُ عليهم البَرَكَةُ ولايُغاثون (٣) كما قال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (٤)؛ وقُرِئَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ بالتَشديدِ والتَخفيفِ والتاءِ والياءِ (٥)، [﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾] (٦) أَي: لايَدخُلون الجنَّةَ حتَّىٰ يكونَ مالا يكونُ أبداً من ولوجِ الجملِ الَّذي لايَلِجُ إلَّا في بابٍ واسعٍ في ثَقْبِ الإبرةِ، والخِياطُ والمِخْيَطُ: مايُخاطُ به وهو الإبرةُ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثلُ ذلك الجزاءِ الفظيعِ ﴿نَجْزِى﴾ سائِرَ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وقد كرَّره فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ: يُريدُ الَّذين أَشركوا به واتَّخذوا من دونِه إلٰهاً (٧)، والمِهادُ: الفِراشُ، والغَواشي: الأَغْطِيَةُ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ جملةٌ معترضةٌ بين المبتدأ والخبرِ للتَرغيبِ في اكتسابِ مالايبلُغُهُ وصفُ الوَصّافِ من النَعيمِ الدّائِمِ (٨) مع الإجلالِ والتَعظيمِ بما هو في الوُسعِ وهو الإمكانُ الواسعُ غيرُ الضَيِّقِ من الإيمانِ والعملِ الصّالحِ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم﴾ قلوبِهم ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ علىٰ إخوانِهم في الدُنيا، فسَلِمَتْ قلوبُهم وطَهُرتْ من الحِقدِ والحَسَدِ والشَحناءِ ولم يكن

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) قاله ابن عبّاس والسدي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٠٠، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٢٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦٠، واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٩، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٧.

(٣) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٣، والرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ٧٦.

(٤) القمر: ١١.

(٥) قرأ أبو عمرو بالتاء والتخفيف، وحمزة والكسائي وخلف بالياء والتخفيف. انظر التبيان: ج ٤ ص ٣٩٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦٠، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٠.

(٦) مابين المعقوفتين ليس في النسخ، أضفناها لضرورة إتمام سياق الجملة.

(٧) راجع تفسير ابن عباس: ص ١٢٧.

(٨) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

بينَهم إلَّا التعاطفُ والتَراحمُ والتَوادُّ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: وَفَّقَنا لموجِبِ هذَا الفوزِ العظيمِ والذُخرِ الجسيمِ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾ اللامُ لتأْكيدِ النَفي، أَي: وماكان يَصِحُّ لنا أَن نَهتَدِيَ ﴿لَوْلَآ﴾ هدايةُ اللهِ وتوفيقُه، وقُرِئَ: «ماكُنَّا لِنَهتَدِيَ» بغيرِ واوٍ[1] علىٰ أنَّها جملةٌ موضِحةٌ للأُولى ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ من جهةِ اللهِ تعالىٰ ونبَّهونا على الاهتداءِ فاهْتَدَيْنا باتِّباعِ قولِهم، يقولون ذلك سروراً واغتباطاً بما نالوا وتلذُّذاً بالتكلُّمِ به لاتَعبُّداً ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾: ﴿أَن﴾ مُخَفَّفَةٌ من الثَقيلةِ، تقديرُه: ﴿وَنُودُوٓا۟﴾ بأَنَّه تلكم الْجَنَّةُ، والضَميرُ ضميرُ الشَأْنِ، ويجوز أَن يكونَ بمعنى «أَيْ» لأَنَّ المُناداةَ من القولِ كأَنَّه قيل: وقيل لهم: أَي تِلكُمُ الجنَّةُ[2] ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ بِسببِ أَعمالِكم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ (٤٥)

﴿أَن﴾ في قولِه: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتملُ أَن تكونَ مُخَفَّفَةً من الثَقيلةِ وأَن تكونَ مُفسِّرَةً كالَّتي ذُكِرَتْ قبلُ[3]، وكذلك ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وإِنَّما قالوا لهم ذلك ابتهاجاً واغتباطاً بحالِهم وشَماتةً بأَصحابِ النَارِ، ولتكونَ هذه الحكايةُ لطفاً لمن سَمِعَها، وكذلك قولُ المُؤَذِّنِ بينَهم: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) قرأه ابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٠، والتذكرة لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦١، والتبيان: ج ٤ ص ٤٠٣ وقال: وكذلك هي في مصاحف أهل الشام.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٢٦، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٣) وهي الآية: ٤٣ فراجع.

ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، وقيل: هو مالكٌ خازنُ النارِ يَأْمُرُه اللهُ تعالىٰ بذلك فيُنادي نداءً يَسْمَعُ أَهلُ الجنَّةِ وأَهلُ النارِ[١].

ورُوِيَ عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «أَنَا ذٰلِكَ الْمُؤَذِّنُ»[٢].

وقُرِئَ: «أَنَّ» بالتّشديدِ «لَعْنَةَ اللهِ» بالنّصبِ[٣]، وقُرِئَ: «نَعِمْ» بكسرِ العينِ كلَّ القرآنِ[٤]، ولم يُقَلْ: «وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ» كما قيل: ﴿وَعَدَنَا﴾ وأُطْـلِقَ ليـتناولَ كـلَّ ماوَعَدَ اللهُ من البعثِ والحسابِ والثّوابِ والعقابِ؛ لأَنّهم كانوا مكـذِّبين بـذلك أجمع ﴿يَصُدُّونَ﴾ أَي: يُعرِضون عن دينِ اللهِ وشريعتِه أَوْ يَصرِفونَ غيرَهم عنها ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ أَي: يَطلُبون لها الاعوجاجَ بالشُّبَهِ الَّتي يَتَوَهَّمون أَنّها قادحةٌ فيها ﴿وَهُم بِـ﴾ الدارِ ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ وهي القيامةُ جاحدونَ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْـرَافِ رِجَـالٌ يَـعرِفُونَ كُـلًّا بِسِـيمَـٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (٤٧)

«وَبَيْنَ» الجنَّةِ والنّارِ أَو بينَ أَهلَيْهما ﴿حِجَابٌ﴾ أَي: سِترٌ، ونحوُه: ﴿فَـضُرِبَ

---

(١) قاله الزمخشري في كشافه: ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) معاني الأخبار للصدوق: ص ٥٩ ح ٩، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٠٢ باسناده عن محمد بن الحنفية عنه عليه السلام.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وابن كثير برواية شبل والبزّي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٠٦، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢١٠.

(٤) وهي قراءة الأعمش والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٠٦، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٩، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٢٧، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٠٩.

بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾[١]. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ أَي: وعلى أعرافِ الحجابِ وهـو السُّـورُ المضروبُ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ وهي أعاليه، جمع عُرْفٍ مستعارٌ من عُرفِ الفرسِ[٢] والديكِ ﴿رِجَالٌ﴾ الصادقُ عليه السلام: الأَعرافُ: كُثبانٌ[٣] بينَ الجنَّةِ والنَّارِ يوقَفُ عليها كلُّ نبيٍّ وكلُّ خليفةِ نبيٍّ مع المُذنِبين من أَهلِ زمانِه كما يَقِفُ صاحبُ الجيشِ مع الضُعفاءِ من جُندِه وقد سيقَ[٤] المُحسِنون إِلى الجنَّةِ، فيقول ذلك الخليفةُ للمُذنِبين الواقفين معه: اُنظُروا إِلىٰ إِخوانِكم المُحسِنين قد سيقوا[٥] إِلى الجنَّةِ، فيُسَلِّمُ عليهم المذنبون، وذلك قولُه: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أَن يُدخِلَهم اللهُ إِيَّاها بشفاعةِ النبيِّ والإمامِ، ويَنْظُرُ هؤُلاءِ المُذنِبون إِلىٰ أَهلِ النَّارِ فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا﴾ إِلىٰ آخِرِهِ[٦]، وقيل: إِنَّهم قومٌ اسْتَوَتْ حَسَـناتُهم وسَـيِّئَاتُهم فـجُعِلوا هنالك حتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فيهم ماشاءَ ويُدْخِلَهم الجنَّةَ[٧] ﴿يَعرِفُونَ كُلًّا﴾ من زُمَـرِ السُعداءِ والأَشقياءِ ﴿بِسِيمَـٰهُمْ﴾ بعلامتِهم الَّتي أَعْـلَمَهم اللهُ بِـها ﴿وَإِذَا صُـرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ ورَأَوْا ماهم فيه من العذابِ استَعاذوا باللهِ و ﴿قَالُواْ رَبَّـنَا لَاتَـجْعَلْنَا﴾ مـعهم[٨]، وفـي هـذا أَنَّ صـارفاً يَـصْرِفُ أَبـصارَهم لِيـنظُروا فيستعيذوا[٩]، الصَادقُ عليه السلام: وإذا قُلِبَتْ أَبصارُهم تِلْقاءَ أَصحابِ النَارِ قالوا: عائِذاً

(١) الحديد: ١٣.
(٢) عرف الفرس: شعر عنقه. (القاموس المحيط: مادة عرف).
(٣) جمع كثيب وهو تلّ من الرمل. (القاموس المحيط: مادة كثب).
(٤) في بعض النسخ: سبق.
(٥) في بعض النسخ: سبقوا.
(٦) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٧) وهو قول ابن مسعود. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٢٦.
(٨) في نسخة: منهم.
(٩) وهو قول الزمخشري أيضاً في الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٧.

بك أن تَجْعَلَنا مع القومِ الظالمين[١]، وكذلك هو في مُصْحَفِ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ[٢].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤٩)

الصادقُ عليه السلام: ويُنادي أصحابُ الأعرافِ وهم الأنبياءُ والخلفاءُ ﴿رِجَالًا﴾ من أهلِ النّارِ ورُؤَساءِ الكفّارِ يقولون لهم مُقرِّعين: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ واستكبارُكم ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ إشارةٌ لهم إلىٰ أهلِ الجنّةِ الّذين كان الرُؤَساءُ يَسْتَضْعِفونهم ويَحْتَقِرُونهم لفقرِهم، ويَسْتَطيلون عليهم بدنياهم، ويُقْسِمون أنَّ اللهَ لايُدخِلُهم الجنّةَ ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ يقول أصحابُ الأعرافِ لهؤلاءِ المُسْتَضْعَفِينَ عن أمرٍ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ لهم بذلك: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: لاخائفين ولامَحزونين[٣].

ورَوىٰ الأَصبغُ بنُ نُباتَةَ عن أميرِ المؤمنين عليه السلام قال: «نحنُ نوقَفُ يومَ القيامةِ بينَ الجنّةِ والنارِ، فمن نَصَرَنا عَرَفْناه بسيماه فأَدْخَلْناهُ الجنّةَ، ومن أَبْغَضَنا عَرَفْناه بسيماه فأَدْخَلْناهُ النّارَ»[٤].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ (٥٠) ٱلَّذِينَ

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٢) أوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٤٢٤.
(٣) أنظر تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٤) تفسير فرات: ص ٤٩، شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٩٨ ح ٢٥٦، وعنه إحقاق الحق: ج ١٤ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٥١)

﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا﴾ فيه دليلٌ علىٰ أَنَّ الجَنَّةَ فوقَ النارِ[١] ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأَطعِمَةِ والفواكهِ[٢] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ حرَّم شرابَ الجنَّةِ وطعامَها ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الَّذي كانَ يَلْزَمُهم التَدَيُّنُ به ﴿لَهْواً وَلَعِباً﴾ فحرَّموا ماشاءُوا واستحَلُّوا ماشاءُوا ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ أَي: نُعامِلُهم مُعامَلَةَ المنسيِّ في النَّارِ فلانُجيبُ لهم دَعْوَةً ولانَرْحَمُ لهم عَبْرَةً ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا﴾ فلم يُخطِروه ببالِهم ولم يهتمُّوا به، و ﴿مَا﴾ في الموضعَيْن مصدريَّةٌ، والتقديرُ: كنسيانِهم وكونِهم جاحدين ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (٥٣)

﴿بِكِتَـٰبٍ﴾ يعني: القرآن ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أَي: عالمين، كيفَ نُفَصِّلُ أَحكامَه ومواعظَه وجميعَ معانيه حتَّى جاءَ قَيِّماً غيرَ ذي عِوجٍ، و ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حالٌ من الهاءِ في ﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾ كما أَنَّ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالٌ من «نا» في ﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾[٣].

---

(١) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٨.

(٢) قال الزجّاج: فأعلم الله عزّوجلّ أنّ ابن آدم غير مستغنٍ عن الطعام والشراب وإن كان معذّباً. معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٤٤.

(٣) انظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٤١٧، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٠٨.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ إلّاَ عاقبةَ أَمرِه، وما يَؤُولُ إِليه من تبيُّنِ صدقِه وظهورِ صحَّةِ مانَطَقَ به من الوعدِ والوعيدِ ﴿يَوْمَ يَأْتِى﴾ عاقبةُ ماوُعِدُوا به ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أَي تَرَكُوا العملَ به تركَ النَّاسي له ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ اعترفوا بأَنَّهم جاءُوا بالحقِّ ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ في إِزالةِ العقابِ[1] ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أَو هل نُرَدُّ إِلى الدُّنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا﴾ نَعْمَلُه، وارتفع ﴿نُرَدُّ﴾ لوقوعِه موقعاً يصلُحُ للاسمِ كما تقولُ ابتداءً: هَلْ يَضْرِبُ زيْدٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٥٤) ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَايُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَاتُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

﴿إِنَّ﴾ سيِّدَكم ومالكَكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾ أَنشأَ ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وأَوْجَدَهما ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في مقدارِ ستَّةِ أَيَّامٍ من أَيَّامِ الدُّنيا؛ لأَنَّ إِنشاءَ الشيءِ بعدَ الشيءِ على ترتيبٍ أَدَلُّ علىٰ كونِ فاعِله عليماً حكيماً يُدَبِّرُه علىٰ مُقتضىٰ حكمته، أَو لأَنَّه أَراد تعليمَ خلقِه التثبُّتَ والتأَنِّيَ في الأُمورِ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وقُرِئَ بالتخفيفِ، أَي: يُلْحِقُ اللَيْلَ بالنَهارِ والنَهارَ باللَيل بأَن يَأْتِيَ أَحدُهما عقيبَ الآخَرِ ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ بأَن يأْتِيَ في أَثَرِه كما يأْتي الشَيءُ في أَثَرِ الشَيءِ طالباً له، و ﴿حَثِيثاً﴾ حالٌ من الفاعلِ أَو المفعولِ أَو منهما جميعاً[2]، ومثلُه ﴿تَحْمِلُهُ﴾ في

---

(١) في بعض النسخ: العذاب.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾[1]، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ قُرِئَ الجميعُ بالنَّصبِ حملاً علىٰ ﴿خَلَقَ﴾ أي: خَلَقَهُنَّ جارياتٍ علىٰ حسبِ تدبيرِه، وقُرِئَ ـ أيضاً ـ جميعاً بالرَّفعِ[2] على الابتداءِ والخبرِ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي: بِمَشيئَتِه وتصريفِه، وسُمِّيَ ذلك أَمراً على التَّشبيهِ كأنَّهنَّ مأموراتٌ بذلك ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي: هو الَّذي خَلَقَ الأَشياءَ وهو الَّذي صَرَّفَها علىٰ حسبِ إرادتِه ﴿تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ نصب على الحالِ أي: ذوي تضرُّعٍ وخُفْيةٍ، وكذا قولُه: ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾، والتَّضرُّعُ من الضَراعةِ وهي الذُلُّ أي: تَذَلُّلاً وتَمَلُّقاً، وقُرِئَ: «خِفْيَةً» بكسرِ الخاءِ[3] وهما لغتان[4] ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المُجاوِزين الحدَّ المرسومَ في جميعِ العباداتِ والدعَواتِ، وقيل: التضرُّعُ: رفعُ الصَوتِ والخُفْيَةُ: السرُّ أي: أدعوه علانيةً وسرّاً[5]، وقيل: معناهما تخشُّعاً وسرّاً[6] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالعملِ بالمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بعدَ أَن أَصْلَحَهَا اللهُ بالكتبِ والرُّسُلِ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّما ذُكِّرَ ﴿قَرِيبٌ﴾ علىٰ معنى التَرحُّمِ[7]،

(١) مريم: ٢٧.

(٢) وهي قراءة ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٢١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٢، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٢١.

(٣) قرأه أبو بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٢٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٣.

(٤) حكاهما الأخفش كما في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣١٤، وانظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٩١.

(٥) قاله ابن عبّاس والحسن وابن جريج. راجع تفسير ابن عبّاس: ص ١٢٩، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٠، والتبيان: ج ٤ ص ٤٢٤، والكشّاف: ج ٢ ص ١١١.

(٦) حكاه ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٢١٢ ونسبه الى ابن جرير، وراجع تفسير الطبري: ج ٥ ص ٥١٤.

(٧) واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٨٠، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١١١.

أَو لأَنَّه صفةُ موصوفٍ محذوفٍ أَي: شيءٌ قريبٌ[١]، أَو لأَنَّ تأْنيثَ الرَّحمةِ غيرُ حقيقيٍّ[٢]، والمُحْسِنُ: فاعلُ الإِحسانِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَ ٰتِ كَذَ ٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَايَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَ ٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(٥٨)

قُرِئَ: «نَشْراً»[٣] مصدرُ «نَشَرَ»؛ لأَنَّ «أَرْسَلَ» و «نَشَرَ» متقاربان فكأَنَّه قال: يَنْشُرُ الرياحَ نَشْراً، ويجوز أَن يكونَ واقعاً موقع الحالِ بمعنى «منتشراتٍ»[٤]، و«نُشُراً»[٥] جمعُ نَشورٍ، و«نُشْراً» بتخفيفِه[٦] كرُسُلٍ ورُسْلٍ، وقُرِئَ: «بُشُراً»[٧] جمعُ بَشيرةٍ و﴿بُشْراً﴾ بتخفيفه ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ أَمامَ نعمتِه وهي الغَيثُ الَّذي هو من أَحسنِ النِعَمِ أَثَراً وأَجَلِّها قَدراً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ أَي: حَمَلَتْ ورَفَعَتْ ﴿سَحَاباً ثِقَالاً﴾ بالماءِ جمعُ سَحابةٍ ﴿سُقْنَـٰهُ﴾ الضميرُ للسحابِ على اللفظِ ﴿لِبَلَدٍ

(١) وهو مذهب أبي عبيدة. راجع مجاز القرآن: ج ١ ص ٢١٦.

(٢) ذهب إليه الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥١٩، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٤٤.

(٣) قرأه حمزة والكسائي والأعمش. راجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٠.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣١٥.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٢٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٣، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٢٩.

(٦) وهي قراءة الحسن وقتادة وابن عامر. راجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٣، وكتاب السبعة في القراءات: ص ٢٨٣.

(٧) وهي قراءة ابن عبّاس والسلمي وعاصم بخلاف. راجع المحتسب لابن جني: ج ١ ص ٢٥٥، وانظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٣.

مَّيِّتٍ﴾ لأَجلِ بلدٍ ليس فيه حياً[١] ولسقيِه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلدِ أَو بالسحابِ ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بهذا الماءِ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أَي: مثلُ ذلك الإخراجِ وهو إِخراجُ الثمَراتِ نُحْيِي الأَمواتَ بعدَ موتِها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيُؤَدِّيكم التذكُّرُ إِلىٰ أَنَّه لافرقَ بينَ الإخراجَيْن، إِذ كلٌّ واحدٍ منهما إِعادةٌ للشيءِ بعدَ إِنشائِه ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الأَرضُ العَذاةُ[٢] الكريمةُ التربةِ ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ زرعُه خروجاً زاكياً نامياً بأَمرِ ﴿رَبِّهِ وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ وهو السَبَخَةُ الَّتي لاتُنْبِتُ مايُنْتَفَعُ به ﴿لَايَخْرُجُ﴾ نَباتُه ﴿إِلَّا نَكِداً﴾ فحُذِفَ المضافُ الَّذي هو النَباتُ وأُقيمَ المضافُ إِليه مقامَه فَاسْتَكَنَّ في الفعلِ، أَو يكون التَقديرُ: ونباتُ الَّذي خَبُثَ[٣]، والنَكِدُ: العَسِرُ الممتنعُ من الخروجِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثلُ ذلك التصريفِ[٤] ﴿نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ نُرَدِّدُها ونُكَرِّرُها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ اللهِ تعالىٰ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَالَاتَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ﴾ (٦٤)

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، هو نوحُ بنُ لمك بنِ متوشلخَ بنِ اخنوخَ

---

(١) الحيا ـ بالقصر ـ: الخصب. (القاموس المحيط: مادة حيا)، وفي بعض النسخ: حياة.

(٢) الأرض الطيبة البعيدة عن الماء والوَخَم. (القاموس المحيط: مادة عذا).

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) في بعض النسخ: التصرّف.

وهو إدريسُ النبيُّ عليه السلام، وقُرِئَ: «غَيْرِه» بالجرّ(١) على اللَفظِ وبالرَفعِ على محلّ ﴿مِّنْ إِلَـٰهٍ﴾، وقولُه: ﴿مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ بيانٌ لوجهِ اختصاصِه بالعبادةِ، وقولُه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بيانٌ للدّاعي إلىٰ عبادتِه بأنّه هو الّذي يُحْذَرُ عقابُه دونَ مَن كانوا يَعْبُدُونَه من دونِه، واليومُ العظيمُ: هو يومُ القيامةِ أو يومُ نزولِ العذابِ عليهم(٢)، و﴿ٱلْمَلَأُ﴾: السّادةُ والأشرافُ ﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾ أي: ذَهابٍ عن الحقِّ والصَوابِ، والمرادُ بالرُؤْيةِ رُؤْيةُ القلبِ الّذي هو العلمُ، وقيل: رُؤْيةُ البَصَرِ أي: نَراكَ بأَبصارِنا على هذهِ الحالِ(٣) ﴿لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ﴾ أي: ليس بي شيءٌ من الضَلالِ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بيانٌ لكونِه رَسُولَ رَبِّ الْعالَمِينَ، وهي جملةٌ مستأنَفةٌ ﴿رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾ ماأُوحِيَ إِلَيَّ في الأَوقاتِ المُتطاوِلةِ، وفي المعاني المختلفةِ من الأَوامرِ والنَواهي ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ في زيادةِ اللامِ دلالةٌ علىٰ إمحاضِ النصيحةِ للمنصوحِ له ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أَي: من صفاتِه وأحوالِه وشدَّةِ بطشِه علىٰ أَعدائِه ﴿مَالَاتَعْلَمُونَ﴾، ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزةُ للإنكارِ والواوُ للعطفِ والمعطوفُ عليه محذوفٌ(٤)، كأنّه قال: أَكَذَّبْتُمْ وعَجِبْتُم من ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أَي: موعظةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ علىٰ لسانِ رجلٍ ﴿مِّنكُمْ﴾ مثلُ قولِه: ﴿مَاوَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾(٥) وذلك أنّهم تَعَجَّبوا من نُبُوَّةِ نوحٍ وقالوا: ﴿مَاهَـٰذَآ إِلَّابَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(٦)، ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ليُحَذِّرَكم عاقبةَ الكفرِ ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ ولتوجَدَ منكم التَقوىٰ وهي

(١) وهي قراءة أبي جعفر والكسائي والأعمش وابن وثاب. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٣٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٢٠.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١١٣، والرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ١٤٩.

(٣) انظر التبيان: ج ٤ ص ٤٣٦، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢١.

(٤) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٢، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٥.

(٥) آل عمران: ١٩٤.

(٦) المؤمنون: ٢٤ و ٣٣.

خشيةُ اللهِ بسببِ الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولتُرْحَموا بالتقوىٰ إن وُجِدَت مِنكم ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأةً، وقيل: كانوا عَشَرَةً[(١)]: بنوه: سامٌ وحامٌ ويافثُ وستَّةٌ ممَّن آمَنَ به[(٢)]، وتَعَلَّقَ قولُه ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ بـ﴿مَعَهُۥ﴾ كأنَّه قالَ: والَّذين استقرُّوا مَعَه في الفلكِ أو صَحِبُوه فيه، أو بـ«أنجَيْناهُ» أي: أنجَيْناهم في السَفينةِ من الطُوفانِ ﴿قَوْماً عَمِينَ﴾ أي: عَمِي القلوبِ غيرَ مُستَبْصِرِينَ.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦٩)

﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسبِ يعني واحداً منهم من قولِك: «ياأخَا العربِ» للواحدِ منهم، وإنَّما جُعِلَ واحداً منهم ليكونوا به أسْكَنَ وبحالِه أعْرَفَ في صدقِه وأمانتِه، وهو هودُ بنُ شالَخَ بنِ أرْفَخْشَذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وعُطِفَ ﴿أَخَاهُمْ﴾ علىٰ ﴿نُوحاً﴾[(٣)]، و﴿هُوداً﴾[(٤)] عطفُ بيانٍ له، وحُذِفَ العاطفُ من قولِه: ﴿قَالَ

(١) في نسخة: تسعة، وكذا في الكشّاف.

(٢) قاله ابن إسحاق على ما حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٥٢٢، وراجع الكشّاف: ج ٢ ص ١١٥.

(٣) الآية: ٥٩.

(٤) قال الهمداني: فإن قلت: «هود» أعجمي أو عربي؟ قلتُ: قد جوّز أن يكون أعجمياً وأن ←

﴿يَـٰقَوْمِ﴾ لأنّه على تقديرِ سؤالِ سائلٍ سَأَلَ فقالَ: ماقالَ لهم هودٌ؟ فقيلَ: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، وَكَذلِكَ قولُه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والسَفاهَةُ: خِفَّةُ الحِلمِ وسَخافَةُ العقلِ، وَصَفوه بالسَفَهِ حيثُ هَجَرَ دينَهم إلى دينِ اللهِ، وقالوا: ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾ وجعلوا السَفاهةَ ظرفاً على طريقِ المجازِ، يُريدون أنّه متمكِّنٌ فيها غيرُ خالٍ عنها، وفي إجابةِ نوحٍ وهودٍ وغيرِهما من الأنبياءِ عليهم السلام مَن نَسَبُوهم إلى الضَلالَةِ والسَفاهةِ بالكلامِ الصادرِ عن الإغضاءِ والمُجامَلَةِ ـ مع علمِهم بأنَّ خصومَهم أَضَلُّ الخلقِ وأَسْفَهُهم ـ أدبٌ حَسَنٌ، وحكايةُ اللهِ ذلك تعليمٌ لعبادِه كيفَ يُخاطِبونَ السُفهاءَ ويُدارونَهم ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ فيما أَدْعوكُمْ إليه من تَوحيدِ اللهِ وطاعتِه ﴿أَمِينٌ﴾ ثِقَةٌ مأمونٌ في تأديةِ الرسالةِ فلا أَكْذِبُ ولاأُغَيِّرُ ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ﴾ أي: وقتَ جَعلِكم ﴿خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خَلَفْتُمُوهم في الأَرضِ من بَعْدِ هلاكِ قومِ نوحٍ بالعِصيانِ ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ فيما خَلَقَ من أَجرامِكم ذَهاباً في الطُولِ والبَدانةِ، قال الباقرُ عليه السلام: «كانوا كالنَخلِ الطُوّالِ، وكانَ الرَجلُ منهم يَنْحُو الجبلَ بيدِه فيَهُدُّ[1] منه قطعةً»[2] ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ في استخلافِكم وبسطَةِ أجسامِكم وماسواهما من نِعَمِه، وواحدُ الآلاءِ إِلْيٌ[3] ونحوُه: إِنْيٌ وآناءٌ[4].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَاكَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا

↩ يكون عربياً من هادَ يهود. فإن قلت: إذا جعل أعجمياً فلم صرف وفيه العجمة والتعريف؟ قلت: لخفّته كنوح ولوط. الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٢٤، وراجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٦.

(١) الهدّ: الهدم الشديد والكسر. (القاموس المحيط: مادة هدّ).

(٢) التبيان: ج ٤ ص ٤٣٦.

(٣) الآلاء: النِعَم، واحدها إِلْيٌ وأَلْوٌ وأَلْيٌ وأَلىً وإِلىً. (القاموس المحيط: مادة ألى).

(٤) الأنيُ ويكسر والأَناء والإِنْوُ بالكسر: الوهن والساعة من الليل أو ساعة ما منه، والإِني كإِلي وعلي: كل النهار جمع آنار. (القاموس المحيط: مادة أنى).

تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّـذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٢)

أَنكَروا اختصاصَه للهِ بالعبادةِ وتركَه دينَ آبائِهم في تركِ عبادةِ الأَصنامِ إلفاً منهم بما نَشَأوا عليه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ استعجالٌ منهم بالعذابِ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أَي: وَجَبَ عليكم أو نَزَلَ عليكم، فجُعِلَ المُتَوَقَّعُ بمنزلةِ الواقعِ[1] ﴿رِجْسٌ﴾ أَي: عذابٌ، من الارتجاسِ وهو الاضطرابُ ﴿أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أَي: في أَشياءَ ماهي إلَّا أَسماءٌ ليس تحتَها مسمَّياتٌ؛ لأَنَّكم سَمَّيْتُمُوها آلهةً ومعنى الإلهيَّةِ فيها معدومٌ، ونحوه قولُه: ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[2]. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ عذابَ اللهِ فإنَّه نازلٌ بكم ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لنزولِه بكم ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أَي: دَمَّرْناهم واسْتأْصَلْناهم عن آخِرِهم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤)

---

(١) قال الهمداني: والوقوع والسقوط والنزول نظائر في اللغة. الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٢٥.
(٢) العنكبوت: ٤٢.

أي: ﴿وَ﴾ أَرْسَلْنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ قُرِئَ بمنعِ الصرفِ على تأويلِ القبيلةِ[١]، وهو ثمودُ بنُ عابَرَ بنِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وصالحٌ من وُلدِ ثمودَ ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ أَي: دَلالةٌ مُعجِزةٌ وآيةٌ ظاهرةٌ شاهدةٌ علىٰ صحَّةِ نبوَّتي ﴿هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ كَأَنَّه قيل: ماهٰذِهِ الْبَيِّنَةُ؟ فقال: ﴿هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أَضافَها إِلى ﴿ٱللَّهِ﴾ لأَنَّه خَلَقَها بلاواسطةٍ، وخَرَجَتْ من صخرةٍ مَلْساءَ تَمَخَّضَتْ بها تَمَخُّضَ النَّتُوجِ[٢] بولدِها، ثمَّ انْصَدَعَت عن ناقةٍ عُشَراءَ جوفاءَ وَبْراءَ[٣] لايَعْلَمُ مابينَ جنبَيْها إِلَّا اللهُ عِظَماً وهم يَنْظُرُون، ثمَّ نُتِجَتْ ولداً مثلَها فِي العِظَمِ، وكان لها شِربُ يومٍ تَشْرَبُ فيه ماءَ الوادي كلَّه، وتَسقيهم اللَّبَنَ بدلَه، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ يَخُصُّهم لاتَقْرَبُ فيه ماءَهم، و ﴿ءَايَةً﴾ نصبٌ على الحالِ، والعاملُ فيها مادلَّتْ عليه اسمُ الإِشارةِ الَّتي هي ﴿هَـٰذِهِ﴾ من معنى الفعلِ، كأَنَّه قيل: أُشير إِليها آيةً، و ﴿لَكُمْ﴾ بيانٌ لمن هي له آيةٌ موجبةٌ عليه الإِيمانَ خاصَّةً وَهُم ثمودُ؛ لأَنَّهم عايَنوها وسَمِعَ غيرُهم خبرَها وليسَ الخبرُ كالمُعايَنَةِ، فكأَنَّه قالَ: لَكُمْ خُصُوصاً ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أَي: الأَرْضُ أَرضُ اللهِ والنَّاقَةُ ناقةُ اللهِ فذَروها تَأْكُلْ في أَرضِ ربِّها، فليستِ الأَرضُ لكم ولامافيها من النَّباتِ من إِنباتِكم ﴿وَلَاتَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أَي: بعقرٍ أَو نحرٍ أَو شيءٍ من الأَذىٰ إِكراماً لآيةِ اللهِ ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ... فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأَن مَكَّنَكُمْ فيها ﴿مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ ونزَّلَكم وجَعَلَ لكم فيها مساكنَ تأْوون إِليها

---

(١) وثمود اسم قبيلة، وقد جاء مصروفاً وغير مصروف، فمن صرفه فعلىٰ أنّه اسم لحيّ مذكّر، ومن ترك الصرف فعلىٰ أنّه اسم قبيلة كما في قوله تعالى: ﴿أَلَاإِنَّ ثَمودَاْ كفروا رَبّهم أَلَا بُعداً لِّثَمودَ﴾ فصرف الأول ولم يصرف الثاني. انظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٦.

(٢) نتجت الناقة: حان نتاجها فهي نَتوجٌ. (القاموس المحيط: مادة نتج).

(٣) العُشراء من النوق: التي مضىٰ لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء، وجوفاء: ذو الجوف الواسع مؤنث أجوف، ووَبْراء مؤنث أوبر: ماله وَبَر أي صوف. (القاموس المحيط: مادة عشر وجوف ووبر).

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ أي: تبنونَها من سُهولةِ الأرضِ بما تَعْمَلُون منها من اللَبِنِ والآجُر ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ تسكُنونها في الشتاءِ، و ﴿بُيُوتاً﴾ نصبٌ على الحالِ كما يُقالُ: خِطْ هذا الثوبَ قَمِيصاً، وهي من الحالِ المقدَّرةِ[1] لأنَّ الجَبَلَ لايكونُ بيتاً في حالِ النحتِ، ولا الثوبَ قميصاً في حالِ الخياطةِ[2] ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالآءَ ٱللهِ﴾ أي: نِعَمَه عليكم بما أعطاكم من القوّةِ والتمكُّنِ في الأرضِ ﴿وَلَاتَعْثَوْاْ﴾ أي: ولاتُبالِغُوا في الفَسادِ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّاتُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (٧٩)

قَرَأَ ابنُ عامرٍ[3] «وَقَالَ ٱلْمَلَأُ» بإثباتِ الواوِ[4]، و ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ أي:

---

(١) الحال المقدّرة: حال لم يكن صاحبه متلبِّساً به في حال الإخبار، بل يُقدَّر وقوعه نحو «صائداً» في مثل «جاء زيدٌ معه صقرٌ صائداً به غداً»، ومنه ﴿فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ و﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللهُ ءَامِنِينَ﴾. انظر مغني اللبيب: ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٧.

(٣) هو عبدالله بن عامر اليحصبي، إليه انتهت مشيخة الإقراء بالشام، وأحد القرّاء السبعة، كان عالماً متقناً، روىٰ عنه القراءة عرضاً يحيىٰ بن الحارث الزماري، وأخوه عبدالرحمن بن عامر وخلّاد بن يزيد وغيرهم، تولّىٰ إمامة الجامع بدمشق وائتمّ به الخليفة عمر بن عبد العزيز، توفّي سنة ١١٨ هـ.(تاريخ الاسلام للذهبي: ج ٢ ص ٢٦٦، الاعلام للزركلي: ج ٤ ص ٩٥).

(٤) راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٥١ وقال: وكذلك في مصاحف أهل الشام، وتفسير البغوي: ←

تَعَظَّمُوا وأَنِفوا[١] من اتِّباعِ الرَسولِ الدَاعي إلى اللهِ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ للَّـذين اسْتَضْعَفُوهُم واسْتَذَلّوهم، و ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿لِـلَّذِينَ ٱسْـتُضْعِفُواْ﴾، والضَميرُ في ﴿مِـنْهُمْ﴾ يـعودُ إلىٰ ﴿قَـوْمِهِ﴾[٢] أو إلىٰ «الَّـذِينَ اسْـتُضْعِفُواْ»[٣]، ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ إنَّما قالوه علىٰ سبيلِ السُخريَّةِ ﴿فَـعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ أُسْنِدَ العَقرُ إلىٰ جميعِهم لأنَّـه كان برضاهم وإن لم يَعقِرْها إلَّا بعضُهم وهو قُدارُ بنُ سالفٍ مع أصحابِه، وكان أَحْمَرَ أَزْرَقَ قصيراً، وكانوا تسعةَ رهطٍ.

قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: ياعَلِيُّ من أَشْقَى الأَوَّلين؟ قال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال عليه السلام: عاقِرُ النَاقَةِ، أتدري مَن أَشقَى الآخِرين؟ قال: اللهُ وَرَسُولُه أَعْـلَمُ، قـال: الَّـذِي يَخْضِبُ هـٰذِهِ من هـٰذا، وأَشارَ إلىٰ لحيتِه ورأْسِه[٤].

﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ تَوَلَّوْا عنه واسْتَكْبَرُوا عـن امـتثالِه عـاتين، وأَمـرُ ربِّهم هو ماأَمَرَ به عـلىٰ لسـانِ صـالحٍ مـن قـولِه: ﴿فَـذَرُوهَا تَأْكُـلْ فِـىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾[٥] أَو شأنُ ربِّهم وهو دينُه[٦] ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أَي: مـن العـذابِ، وإنَّـما اسْتَعْجَلُوه لتكذيبِهم به، ولذلك عَلَّقوه بما كـانوا بـه كـافرين وهـو كـونُه ﴿مِـنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أَي: الصَيحةُ الَّتي زُلْزِلَتْ لها الأَرضُ واضْطَرَبُوا لها ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾[٧] أَي: في بلادِهم ومساكنِهم ﴿جَـٰثِمِينَ﴾ أَي: مَيِّتين

← ج ٢ ص ١٧٤، وكتاب السبعة في القراءات لابـن مـجاهد: ص ٢٨٤، والتـذكرة فـي القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢١.

(١) في بعض النسخ: اتّقوا.

(٢) وهو مذهب الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٣.

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٨.

(٤) كنز العمّال: ج ١٣ ص ١٩٦ ح ٣٦٥٨٧، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ج ٣ ص ٣٥.

(٥) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٣. والآية: ٧٣.

(٦) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥١.

(٧) قال الماوردي: قال محمّد بن مروان السدي: كلّ مافي القرآن من «دارهم» فالمراد به ←

هامدين[١] لايَتَحَرَّكون، يقال: النَّاسُ جُثَّمٌ، أي: قعودٌ لاحَراكَ بهم ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تَوَلِّيَ مُتَحَسِّرٍ علىٰ مافاتَه من إيمانِهم مُتَحَزِّنٍ لهم ﴿وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ﴾ بَذَلْتُ فيكم وُسْعي ولم آل جُهداً في النَّصيحةِ لكم، والظَّاهرُ يَدُلُّ علىٰ أنَّه كان مُشاهِداً لماجَرىٰ عليهم، وأنَّه تَوَلَّىٰ عنهم بعدَ ماأَبْصَرَهم مَوْتىٰ صَرْعىٰ.

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٨٤)

أي: ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿لُوطاً﴾[٢]، و ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ لـ «أَرْسَلْنا»، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ أتفعلون السَّيِّئةَ المُتَمادِيةَ في القبحِ وهي إتيانُ الرجالِ في أدبارِهم ﴿مَاسَبَقَكُم بِهَا﴾ أي: ماعَمِلَها قبلَكم أَحدٌ، والباءُ للتَعديةِ ومنه قولُه ﷺ: «سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ»[٣]، و ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مزيدةٌ لتوكيدِ النَّفي وإفادة معنى الاستغراقِ، و ﴿مِّنَ﴾ الثانيةِ للتبعيضِ[٤] أ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ مِن أَتَى الْمَرْأَةَ: إذا غَشِيَها ﴿شَهْوَةً﴾ مفعولٌ له أي: للاشتهاءِ لاحاملَ لكم عليه إلَّا مجرَّدُ الشَهوةِ من

← مدينتهم، وكلّ مافيه من «ديارهم» فالمراد به مساكنهم. انظر تفسيره: ج ٢ ص ٢٣٦.

(١) في نسخة: خامدين.

(٢) زعم بعض أهل اللغة: لوط مشتقّ من لطتُ الحوضَ إذا ملّسته بالطين. قال الزجّاج: وهذا غلط؛ لأنّ لوطاً من الأسماء الأعجمية ليس من العربية، والعجمي لايشتقّ من العربي. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥١.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي: ج ١٠ ص ٤٠٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٩.

غيرِ داعٍ آخَرَ، ويَجوزُ أَن يكونَ حالاً أَي: مُشْتَهين تابعين للشَهوةِ[١] ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ في موضعِ الحالِ أَيضاً، أَي: تاركين إِتيانَ النساءِ اللّاتي أَباحَ اللهُ إِتيانَهنَّ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحدَّ في الفسادِ حتَّى تَجاوَزْتم المعتادَ إِلىٰ غيرِ المعتادِ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ يعني: ماأَجابوا لوطاً عمَّا كَلَّمَهم به بِما يكونُ جواباً ولـٰكنَّهم جاءُوا بما لايَـتَعَلَّقُ بكـلامِه ونـصيحتِه مـن الأَمـرِ بإِخراجِه ومَن مَعَه من المؤمنين من قريتهم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من الفواحشِ والخبائثِ ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾ أَي: فخَلَّصْنا لوطاً ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ المختصِّين به من الهلاكِ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ الَّذين غَبَروا في ديارِهم أَي: بَقوا فيها فـهَلَكوا[٢]، أَو[٣] كانت كافرةً مُواليةً لأَهلِ سَدومَ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أَي: أَرسلنا عليهم الحجارةَ إِرسالَ المطرِ نحوُ قولِه: ﴿وَأَمْـطَرْنَا عَـلَيْهَا حِـجَارَةً مِّـن سِـجِّيلٍ﴾[٤]، والمعنىٰ: وأَمْطَرْنا عليهم نوعاً مـن المَـطَرِ عـجيباً، ونـحوُه قـولُه: ﴿فَسَآءَ مَـطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[٥].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَـالَكُم مِّنْ إِلَـٰـهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْـمِيزَانَ وَلَاتَـبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَاتُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَاتَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ

---

(١) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٥.

(٢) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٦، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٣٠.

(٣) كذا في النسخ، والظاهر أنّ الانسب «و» لسياق الجملة.

(٤) هود: ٨٢.

(٥) الشعراء: ١٧٣، والنمل: ٥٨.

كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِـٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ (٨٧)

﴿وَ﴾ أَرْسَلْنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ وكانَ يقالُ لشُعَيْبٍ: «خطيبُ الأَنبياءِ» لحسنِ مراجعتِه قومَه[١]، وكانوا أَهلَ بخسٍ للمِكيالِ والميزانِ ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَي: معجزةٌ شاهدةٌ بصحَّةِ نبوَّتي أَوْجَبَتْ عليكم الإِيمانَ بي[٢] ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أُريدَ بالكيلِ آلةُ الكيلِ وهو المِكْيالُ، أَوسُمِّيَ مايُكالُ به بالكيلِ كما قيل: العَيْشُ لما يُعاشُ به، أَو أُريدَ أَوْفُوا الكَيْلَ ووزنَ الميزانِ، أَو يكونُ الميزانُ بمعنى المصدرِ كالمِيعادِ والمِيلادِ[٣] ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ﴾ ولا تَنْقُصُوا، وإِنَّما قيل: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ لأَنَّهم كانوا يَبْخَسون النَّاسَ كلَّ شيءٍ في مبايَعاتِهم ﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ بعدَ الإِصلاحِ فيها، أَي: ﴿لَا تُفْسِدُواْ﴾ فِيها ﴿بَعْدَ﴾ ماأَصْلَحَ فيها الصَالحون من الأنبياءِ وأَتباعِهم، فيكونُ هذه الإِضافةُ[٤] كما في

(١) روى الطبري بإسناده قال: قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكره قال: ذاك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه. راجع تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٢٩.

(٢) زعم الفرّاء في معانيه: ج ١ ص ٣٨٥ أن لم يكن لشعيب آية إلّا النبوة. قال الزجّاج: وهذا غلط فاحش، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ فجاء بالفاء جواباً للجزاء، فكيف يقول: قد جاءتكم بيّنة من ربكم ولم يكن له آية إلّا النبوة؟! فإن كان مع النبوة آية فقد جاءَهم بها، وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادّعىٰ مدّعٍ النبوة بغير آية لم تُقبل منه، ولكن القول في شعيب أنّ آيته كما قال بيّنة، إلّا أنّ الله جلّ ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياء في القرآن وبعضهم لم يذكر آيته، فمن لم تذكر آيته لايقال: لا آية له، وآيات محمّد النبي ﷺ لم تذكر كلّها في القرآن ولا أكثرها وإن كانت له آيات كثيرة، ولم يوجب ذلك نفيها. أُنظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤، والتبيان: ج ٤ ص ٤٦٢.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٧.

(٤) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٤، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٧.

قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [١] أي: مكرُكم في اللَيلِ والنَهارِ، أو بعدَ إصلاحِ أَهلِها علىٰ حذفِ المضافِ[٢] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلىٰ ماذُكِرَ من الوفاءِ بالكيلِ والميزانِ وتركِ البَخْسِ والإِفسادِ في الأَرضِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإِنسانيَّةِ وحسنِ الأُحدوثةِ وماتَطلُبونه من الربحِ؛ لأَنَّ النَاسَ إذا عَرَفُوا منكم النَصفَةَ والأَمانةَ رَغِبُوا في مُتاجَرَتِكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مُصدِّقين لي في قولي ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ﴾ منهجٍ من مناهجِ الدينِ مُقتدين بالشيطانِ في قولِه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [٣] تتوعَّدون من آمنَ باللهِ ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكانوا يَجْلِسون على الطُرُقِ فيقولون لمن يَمُرُّ بها: إنَّ شُعَيْباً كذَّابٌ فلايَفْتِنَنَّكم عن دينِكم، كما كان يَفْعَلُ قُرَيْشٌ بمكَّةَ ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: وتَطْلُبون لسبيلِ اللهِ عِوَجاً، والمعنىٰ: تَصِفونها للناسِ بأَنَّها سبيلٌ مُعْوَجَّةٌ غيرُ مستقيمةٍ لتَصُدُّوهم عن سلوكِها والدُخولِ فيها ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾: ﴿إِذْ﴾ مفعولٌ به غيرُ ظرفٍ، أي: واذكُروا علىٰ وجهِ الشُكرِ وقتَ كونِكم قليلاً عددُكم، قالوا: إنَّ مَدْيَنَ بنَ إبراهيمَ الخليلِ تَزَوَّجَ بنتَ لوطٍ فوَلَدَت له فرَمَى اللهُ في نسلِها بالبَرَكَةِ والنَماءِ فكَثُرُوا[٤]، ويجوزُ: إذكُنْتُم فقراءَ مُقِلِّين فَجَعَلَكُمْ أَغْنِياءَ مُكْثِرين[٥] ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ من أَفْسَدَ قبلَكم كقوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وكانوا قريبي العهدِ بهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ جماعةٌ ﴿مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟﴾ وصَدَّقُوا ﴿بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ وقَبِلوا قولي وجماعةٌ لم يُصَدِّقوني ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ فتَرَبَّصوا وَانْتَظِرُوا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ بينَ الفريقَيْن بأَن يَنْصُرَ المُحِقَّ على المُبطِل، وهذا وعيدٌ للكافرين.

---

(١) سبأ: ٣٣. (٢) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٧.

(٣) الأَعراف: ١٦.

(٤) حكاه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٤٧ ونسب هذا القول الى مكّي.

(٥) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٥.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّـذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ (٨٨) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ (٨٩)

أَي: ﴿قَالَ﴾ الَّذين رَفَعُوا أَنفسَهم فوقَ مقدارِها من قومِ شُعَيْبٍ: لَيَكونَنَّ أَحدُ الأَمرَيْن: إِمَّا إِخراجُكم من بلدتِنا أَو عودُكم في الكفرِ، وقد يكونُ العـودُ بـمعنى الصَيرورةِ[1] كما في قولِ الشَاعرِ:

تِلْكَ المَكارِمُ لاقَعْبانِ من لَبَنٍ   شيبا بماءٍ فَعادا بعدُ أَبـوالاً[2]

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبُ: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ﴾ الواوُ واوُ الحالِ والهمزةُ للاستفهامِ[3]، أَي: أَتُعيدوننا في ملَّتِكم وتَرُدُّونَنا إِليها في حالِ كونِنا كارِهين للدُخولِ فيها؟ يُريدُ أَنَّا مع كراهتِنا لذلك لِما عَرَفْناه من بطلانِه لانَرجِعُ[4]، أَو أَنَّكم لاتَقْدِرون علىٰ ردِّنا إِلىٰ دينِكم علىٰ كُرهٍ منَّا، فيكون ﴿كَـٰرِهِينَ﴾ علىٰ هذا بمعنىٰ: مُكرَهين ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ معناه: إِن عُدنا في ملَّتِكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ بأَن أَقامَ لنا الدَلائِلَ على بطلانِها وأَوضَحَ الحقَّ لنا فقد افْتَرَيْنا على اللهِ كَذِباً فيما دَعَوْناكم إِليه[5] ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ أَي: ومايَنبغي لنا ومايصحُّ لنا ﴿أَن

---

(١) انظر معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٥٥، والكشّاف: ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) البيت لأُميّة بن أبي الصلت الثقفي، أراد أنَّ لقومه مآثر ومكارم ليست عند غيرهم ثم قال: هذه هي المكارم لا مايفتخر به غيرهم من السماحة والضيافة بلبن ممزوج بالماء الذي يصير بعد ذلك أبوالاً. انظر دلائل النبوة للبيهقي: ج ١ ص ٢٩٦.

(٣) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٠.

(٤) وهو قول الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٤ ص ٤٦٦.

(٥) وهو قول القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٥٠.

﴿نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ خِذلانَنا ومَنْعَنا الألطافَ بأن يَعْلَمَ أنَّها لاتَنفَعُ فينا فيكون فعلُها بنا عَبَثاً وَاللهُ عَزّاسمُه مُتَعالٍ عن فعلِ العَبَثِ، ويَدُلُّ علىٰ هذا قولُه: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ أي: هو عالمٌ لذاتِه، يَعْلَمُ كلَّ شيءٍ ممّا كانَ ويكونُ، فهو يَعْلَمُ أحوالَ عبادِه كيف تَتَحوَّلُ وقلوبَهم كيف تَتَقَلَّبُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يُثَبِّتَنا على الإيمانِ ويُوَفِّقَنا لازديادِ الإيقانِ[١]، ويجوزُ أن يكونَ قولُه: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعليقاً لما لايكونُ بما عَلِمَ أنّه لايكونُ علىٰ وجهِ التبعيدِ؛ لأنَّ مشيئةَ اللهِ لعودِهم في الكفرِ مُحالٌ خارجٌ عن الحكمةِ[٢] ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي: احكُمْ بينَنا ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ والفِتاحةُ: الحكومةُ[٣]، أو أَظْهِرْ أمرَنا حتّىٰ يَنفَتِحَ مابينَنا وبينَ قومِنا ويَنْكَشِفَ بأن تُنَزِّلَ عليهم عذاباً يَتَبَيَّنُ معه أنّا على الحقِّ وأنّهُمْ عَلَى الباطِلِ[٤] ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ الحاكمين.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ (٩١) ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ (٩٣) وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا

---

(١) وإليه ذهب الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) انظر التبيان: ج ٤ ص ٤٦٧.

(٣) وهو قول ابن عبّاس والحسن وقتادة والسدي كما حكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٦٨، وهو اختيار أبي عبيدة والفرّاء. انظر تفسير ابن عبّاس: ص ١٣٣، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٢، ومجاز القرآن: ج ١ ص ٢٢٠، ومعاني القرآن: ج ١ ص ٣٨٤.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٠.

﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩٥)

أَي: ﴿قَالَ﴾ أَشرافُ ﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ للَّذين دونَهم يُثبِّطونهم عن الإِيمانِ: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ﴾ لاستبدالِكم الضَلالةَ بالهدىٰ، وقيل: تَخسَرُونَ باتِّباعِه فوائِدَ البَخسِ والتَطفيفِ؛ لأَنَّه يَنهاكم عنهما ويَحمِلُكم على الإِيفاءِ والتسويةِ[1]. واللامُ في ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ﴾ مُوَطِّئَةٌ للقسمِ، وجوابُ القسمِ ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ﴾ وقد سَدَّ مَسَدّ جواب الشرطِ[2] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً﴾ مبتدأٌ وخبرُه ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ وكذلك ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، وفي هذا الابتداء معنى الاختصاصِ، كأَنَّه قيل: الَّذين كَذَّبُوا شُعَيْباً هم المخصوصون بالهلاكِ والاستئصالِ كَأَنْ لَّمْ يُقِيموا في دارِهم؛ لأَنَّ الَّذين اتَّبَعُوا شُعَيْباً أَنجاهم اللهُ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً﴾ هم المخصوصون بالخُسرانِ العظيمِ دونَ أَتباعِه لأَنَّهم الرَابحون، وفي هذا الابتداءِ والتَكريرِ تَسفيهٌ لرأْيِ المَلأَ وردٌّ لمقالتِهم ومُبالَغَةٌ في ذلك ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ شُعَيْبٌ لمَّا رأَى إِقبالَ العذابِ عليهم ﴿وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ﴾ أَعْذَرْتُ إِليكم في النَصيحةِ وإِبلاغِ الرسالةِ والتَحذيرِ ممَّا حلَّ بكم فلم تُصدِّقوني ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أَي: فكيف أَحْزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ ليسوا بأَهلٍ للحَزَنِ عليهم لكفرِهم واستحقاقِهم العذابَ النَازلَ بهم، والبأْساءُ: البؤْسُ والفقرُ، والضَرَّاءُ: الضُرُّ والمرضُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أَي: ليتَضَرَّعوا ويتوبوا ويَتَذَلَّلوا ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ أَي: رَفَعْنَا السيِّئَةَ يعني: ماكانوا فيه من البلاءِ والمِحنةِ، ووَضَعْنا الحَسَنَة مكانَها يعني: الرَخاءَ والسَعَةَ والصحَّةَ ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ أَي: كَثُرُوا ونَمَواْ في أَنفسِهم

---

(١) وهو قول الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٢.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٣٣.

وأموالِهم من قولِهم: عَفَا النباتُ وعَفَا الشحمُ والوَبَرُ: إذا كَثُرَتْ، ومنه قولُه ﷺ: «وَاعْفُوا اللُّحىٰ»(١) ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ يُريدُ أَبْطَرَتْهم النِّعمةُ وأَشِرُوا فقالوا: هذه عادةُ الدهرِ يُعاقِبُ في النّاسِ بينَ الضَرّاءِ والسَرّاءِ وقد مَسَّ آباءَنا نحوُ ذلك فلم ينتقلوا عمّا كانوا عليه، فكونوا علىٰ ماأَنتم عليه كما كانَ آباؤُكم كذلك ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾ فُجاءَةً عبرةً لمن بعدَهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنَّ العذابَ نازلٌ بهم إلّا بعدَ حلولِه.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (٩٩)

اللامُ في ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إشارةٌ إلى القُرَى الّتي دلَّ عليها قولُه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾(٢) فكأَنَّه قالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ﴾ تلك ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الّذين كَذَّبوا وأُهلِكوا ﴿ءَامَنُواْ﴾ بدلَ كفرِهم ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الشركَ والمعاصيَ ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ﴾ أَي: خيراتٍ ناميةٍ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بإنزالِ المطرِ وإخراجِ النَباتِ، والمعنىٰ: لآتَيْناهم بالخيرِ من كلِّ وجهٍ ﴿وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم﴾ بسوءِ كسبِهم، ومعنى «فتحِ البَرَكاتِ»: تيسيرُها عليهم كما يُيَسَّرُ أَمرُ الأَبوابِ المُغْلَقةِ

---

(١) مسند أحمد: ج ٢ ص ٣٦٦ و٣٧٨، مسند أبي عوانة: ج ١ ص ١٨٨، سنن البيهقي: ج ١ ص ١٤٩، الترغيب والترهيب للمنذري: ج ٣ ص ٤٣٥، الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٢، قال في النهاية: مادة عفا: هو أن يوفِّر شعرها ولايقصّ كالشوارب.

(٢) الأعراف: ٩٤.

بفتحِها، ومنه قولُهم: فَتَحْتُ عَلَى الْقارِئ: إذا تَعَذَّرَت عليه القِراءَةُ فيَسَّرْتَها عليه بالتَلقين ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المُكَذِّبون لنبيِّنا ﴿أَن يَأْتِيَهُم﴾ عذابُنا ﴿بَيَـٰتاً﴾ أي: بائِتينَ أَو وقتَ بياتٍ، ويجوزُ أَن يكونَ البياتُ بمعنى التَـبييتِ كـالسَلامِ بـمعنى التَسليمِ فيكون ـ أَيضاً ـ حالاً أَو ظرفاً[١]، و ﴿ضُحًى﴾ نصب على الظَرفِ وهو في الأَصلِ اسمٌ لضَوءِ الشمسِ إِذا أَشْرَقَتْ وارْتَفَعَت، والفاءُ والواوُ في ﴿أَفَأَمِـنَ﴾ و ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ حرفا عطفٍ دَخَلَتْ عليهما همزةُ الإنكارِ، والمعطوفُ عـليه قـولُه: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾[٢] وما بينَهما اعتراضٌ أَي: ﴿أَ﴾ بعدَ ذلك ﴿أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَـٰتاً﴾ وأَمِنُوا ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾[٣]، وقُرِئَ: «أَوْأَمِـنَ» بسكونِ الواوِ[٤] على العطفِ بـ«أَوْ»، ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أَي: يَشتغِلون بمالايَنْفَعُهم كأَنَّهم يَلْعَبون، وقولُه: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ تكريرٌ لقولِه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، و﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استعارةٌ لأَخذِه العبدَ من حيثُ لايَشْعُرُ ولاستدراجِه إِيَّاه بـالصحَّةِ والسَلامةِ وظاهرِ النعمةِ، وعن الربيعِ بنِ خَيْثَمٍ[٥] أَنَّ ابـنتَه قـالَتْ له: مـالي أَرَى

(١) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) الأعراف: ٩٥.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٤.

(٤) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢١، وفي تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٤: هي قراءة أهل الحجاز والشام.

(٥) هو الربيع بن خيثم بن عبدالله بن موهب بن منقذ الثوري؛ أبو يزيد الكوفي، روىٰ عن النبيﷺ مرسلاً وعن ابن مسعود وأبي أيوب وغيرهم، وعنه ابنه عبدالله ومنذر الثوري والشعبي وابراهيم النخعي وغيرهم، وقال منذر الثوري: شهد مع الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام صفين، وعن غير واحد أنـه تخلّف عن قتال عليعليه السلام مع معاوية وشكّ في جواز ذلك، فاسترخصه فرخّصعليه السلام له. مات بعد مقتل الإمام الحسينعليه السلام سنة ٦٣ هـ. (تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٣ ص ٢٤٢، كتاب الجرح والتعديل: ج ٣ ص ٤٥٩، معجم رجال الحديث: ج ٧ ص ١٦٨).

النَاسَ يَنامون ولاأَراكَ تَنامُ؟ قال: يابنتاه إنَّ أَباكِ يَخافُ البيات[١] ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ فيه تنبيهٌ علىٰ مايَجِبُ أَن يكونَ عليه المكلَّفُ من الخوفِ لعقابِ اللهِ، فيكون كالمُحارِبِ الَّذي يَخافُ من أَعدائِه البياتَ والغِيلةَ، ليُسارِعَ إلى الطَاعةِ واجتنابِ المعصيةِ، ولا يستشعرَ الأَمنَ من ذلك فيكونَ قد خَسِرَ دنياه وآخرتَه بالوقوعِ في المعاصي.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ (١٠٢)

المعنى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ يَخْلُفونَ مَن خلا قبلَهم في ديارِهم ويَرِثُونَهم أَرضَهم هذا الشَأْنُ وهو أَنَّا ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أَصَبْنَا مَن قبلَهم وأَهْلَكْناهم كما أَهْلَكْنا أُولئِكَ، وقد قُرِئَ: «أَولَمْ نَهْدِ» بالنُونِ[٢]، وعلىٰ ذلك فيكونُ ﴿أَنْ لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم﴾ منصوبَ الموضِعِ، بمعنىٰ: أَولم نُبَيِّنْ لهم هذا الشأنَ، ولذلك عُدِّيَ الهدايةُ باللامِ لأَنَّه بمعنى التَبيينِ ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ معطوفٌ علىٰ مادلَّ عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ فكأَنَّه قيل: يَغْفُلُون عن الهدايةِ ونَطْبَعُ علىٰ قلوبِهم ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ و ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ حالٌ، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ صفةً لـ ﴿تِلْكَ﴾ و ﴿نَقُصُّ﴾ خبراً[٣]، أَي: تلك القُرَى المذكورةُ

(١) الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٤.
(٢) وهي قراءة ابن عبّاس وقتادة ويعقوب والسلمي. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٤، وشواذ القرآن لابن خالويه: ص ٥٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٥٠.
(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

نَقُصُّ عليك من أَنبائِها لتُخْبِرَ قومَكَ بها فيَعتبِروا ويَحذَروا عن الإصرارِ على مثل حالهم ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ عند مجيءِ الرُّسلِ بالبيِّناتِ ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ به من قبلِ مجيئِهم[1]، أَو فما كانوا ليُؤْمِنوا إِلى آخرِ أَعمارِهم بما كَذَّبوا به أَوَّلاً حينَ جاءَتْهم الرُّسلُ، أَي: استمرُّوا على التكذيبِ إِلىٰ أَن ماتوا مُصِرّين[2]، ومعنى اللامِ تأْكيدُ النَّفي وأَنَّ الإيمانَ كان منافياً لحالِهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثلُ ذلك الطَّبعِ الشَّديدِ ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضَميرُ للنَاسِ على الإطلاقِ، أَي: وماوَجَدْنا لأَكثرِ النّاسِ من عهدٍ فإِنَّ الأَكْثَرَ يَنْقُضُ عهدَ اللهِ في الإيمانِ والتَقوىٰ ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾ وإِنَّ الشأْنَ والحديثَ وَجَدْنا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ خارجين عن الطَاعةِ، والآيةُ اعتراضٌ، ويجوزُ أَن يرجعَ الضَميرُ إِلى الأُمَمِ[3] المذكورين وأَنَّهم كانوا إِذا عاهَدُوا اللهَ في ضُرٍّ: لَئِنْ أَنْجَيْتَنا لَنُؤْمِنَنَّ، ثمَّ لمَّا نجَّاهم نَكثوا، والوجودُ بمعنىٰ العلمِ من قولِكَ: وَجَدْتُ زَيْداً ذا الحِفاظِ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ (١٠٨)

---

(١) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) وهو قول الحسن والجبائي على ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٨٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٦١.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٦.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ معناه: فكفروا ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، أَجرَى الظُّلْمَ مَجرَى الكفرِ[١] كما قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، أو فَظَلَمُوا النّاسَ بسببِها حينَ صَدُّوهم عـنها وآذَوُا الَّذين آمَنوا بها[٣] ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ جائزٌ أن يكونَ ضُمِّنَ ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى «حَرِيصٌ»[٤] كما ضُمِّنَ «هَيَّجَني» معنى «ذَكَّرَني» في بيتِ النّابغةِ:

إذا تَغَنَّى الحَمامُ الوُرْقُ هَيَّجَني وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عـنها أُمَّ عَـمّارِ[٥]

ويجوزُ أن يكونَ موسىعليه السلام أَغْرَقَ في وصفِ نفسِه بالصدقِ في ذلك المقامِ فقال: أَنا حقيقٌ على قولِ الحقِّ[٦]، أَي: واجبٌ علىٰ قولِ الحقِّ أَن أَكونَ أَنا قائِلَه، ولا يَرضىٰ إِلَّا مثلي ناطقاً به، وقَرَأَ نافعٌ: «حَقِيقٌ عَـلَيَّ أَنْ لَّآ أَقُـولَ»[٧] ومـعناه: واجبٌ عليَّ ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أَي: خَلِّهم حتّى يَذهَبوا معي راجعين إِلى الأَرضِ المقدَّسةِ الَّتي هي وطنُهم، وذلك أَنَّ فرعونَ والقِبْطَ كانوا قد اسْتَعْبَدوا بني إِسرائيلَ واسْتَخْدَموهم في الأَعمالِ الشّاقَّةِ، فأَنْقَذَهم اللهُ بموسىٰ، وكانَ بـينَ اليومِ الَّذي دَخَلَ يوسُفُ مصرَ واليومَ الَّذي دَخَلَه موسىٰ أَربعُمائَةِ عامٍ ﴿قَـالَ إِن كُنتَ جِئْتَ﴾ من عندِ من أَرْسَلَك ﴿بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ﴾ لتصحّ دعواك ويثبتَ صدقُك ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسىٰ ﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ أَمرُه لا يُشَكُّ في أَنّـه ثُعبانٌ،

---

(١) وهواختيارالزجّاج في معانيالقرآن:ج٢ص٣٦٢،والزمخشري فيالكشّاف:ج٢ ص ١٣٦.
(٢) لقمان: ١٣.
(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٦.
(٤) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٢٤، وحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٥.
(٥) راجع ديوان النابغة الذبياني: ص ٣٦، وفيه: «تغرّبت».
(٦) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٧.
(٧) راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٨٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٧، والكشّاف: ج ٢ ص ١٣٦.

ورُوِيَ: أنّه كان ثُعباناً ذكَراً أشْعَرَ[١] فاغراً فاه[٢] بين لَحْيَيْه كذا ذِراعاً، وَضَعَ لَحْيَه الأسفلَ في الأَرضِ ولحْيَه الأعلىٰ علىٰ سورِ القصرِ، فوَثَبَ فرعونُ من سريره وهَرَبَ وأَحْدَثَ[٣] وصاحَ: ياموسىٰ خُذْه وأنا أُومِنُ بك وأُرْسِلُ معك بني إسرائيلَ فأَخَذَه موسىٰ فعادَ عصاً[٤] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾ بياضاً نورانيّاً غلَبَ شعاعُها شعاعَ الشمسِ، وكان موسىٰ عليه السلام آدمَ فيما يُرْوَىٰ[٥] ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: للنظارةِ هناك.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (١١٦)

في سورةِ الشعراءِ ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥ﴾[٦] وهنا ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ ويُمكِنُ أَن يكونَ قالَه هو وقالوه هم فحُكِيَ قولُه هنالك وقولُهم هنا، أَو قالوه عنه للنّاسِ علىٰ طريقِ التبليغِ كما يَفعَلُهُ الملوكُ يُبَلِّغُ خواصُّهم مايَرَوْنَه من الرّأْيِ إلى العامّةِ، ويَدُلُّ

(١) أي كثير الشعر طويله. (القاموس المحيط: مادة شعر).
(٢) أي فاتحاً فمه. (القاموس المحيط: مادة فغر).
(٣) أراد أنّه تغوّط من شدة ذعره وفزعه.
(٤) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٦، والكشاف: ج ٢ ص ١٣٨.
(٥) وهو مايرويه مجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ١٧ ح ١٤٩٣١.
(٦) آية: ٣٤.

عليه أنّهم أجابوه في قولِهم: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، وقولُه: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من آمَرْتُهُ فَأَمَرَني بكذا: إذا شاوَرْتَه فأشارَ عليك برأيٍ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ﴾ أي: أخِّرْه ﴿وَأَخَاهُ﴾ وأَصْدِرْهما عنك حتّىٰ ترى رأيَكَ فيهما وتُدبِّرَ أمرَهما، وقُرِئَ: «أَرْجِئْهُ» بالهمزةِ[١]، وأَرجَأَه وأَرْجاه لغتان[٢] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ أي: جُعلاً على الغلبةِ، وقُرِئَ: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ على الإخبارِ[٣] وإثباتِ الأَجرِ العظيمِ وإيجابِه كأنّهم قالوا: لابدَّ لنا من أَجرٍ، والتَّنكيرُ للتعظيمِ، قالت العربُ: إنَّ لَهُ لَإِبِلاً، يَقصُدون الكثرةَ، وقولُه: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفٌ على محذوفٍ سدَّ مسدَّه حرفُ الإيجابِ، أي: نَعَمْ إنَّ لكم لأَجراً وإنّكم لمن المقرَّبين، يعني لاأَقتصِرُ بكم على الأَجرِ وحدَه وإنَّ لكم مع الأَجرِ مايَقِلُّ عندَه الأَجرُ وهو التبجيلُ والتَّقريبُ، ورُوِيَ أنّه قالَ لهم: تكونون أَوَّلَ مَن يَدخُلُ وآخِرَ مَن يَخرُجُ[٤].

وتخييرُ السَّحَرَةِ موسىٰ عليه السلام مراعاةٌ منهم لأَدبٍ حسنٍ معه كما يَفعَلُ أهلُ الصَّناعاتِ إذَا ٱلْتقَوْا، وقولُهم: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ فيه مايَدُلُّ علىٰ

---

(١) قرأه ابن كثير والداحوني عن هشام ويحيىٰ وابن عامر وأهل البصرة. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٦، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٥٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢١. ونسب النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٤٢ هذه القراءة الىٰ عيسىٰ بن عمر وأبي عمرو بن العلاء.

(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٠.

(٣) قرأ أهل الحجاز (ابن كثير ونافع) وعاصم برواية حفص بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ بهمزتين مخفّفتين ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر، إلّا أنّ الحلواني عن هشام يفصل بينهما بألف، وأبو عمرو ورويس بالمدّ ولايفصل. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٩٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٩، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٧٢.

(٤) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٧.

رغبتِهم في أَن يُلقوا قبلَه، وهو تأكيدُ الضَميرِ المُستَكِنّ بالمنفصلِ وتعريفُ الخبرِ، وقد سَوَّغَ لهم موسىٰ مارَغِبُوا فيه قلَّةَ مبالاةٍ بهم وثِقَةً بما كان بصددِه من المُعْجِزِ الإلٰهيِّ والتأْييدِ السَماويِّ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ بما أَرَوْهم من الحِيَلِ والشَعْوَذَةِ[1]، فقد رُوِيَ أَنَّهم أَلقَوْا حِبالاً غِلاظاً وخُشُباً طِوالاً فإذا هي أَمثالُ الحيّاتِ قد مَلأَتِ الأرضَ وركِبَ بعضُها بعضاً[2] ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وأَرْهَبُوهم إرهاباً شديداً كأنَّهم استدعَوا رَهبتَهم ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ أَي: عظيمٍ في بابِ السحر، وذلك أنَّهم جعَلُوا في حِبالِهم وخُشُبِهم مايوهِمُ الحركةَ وخُيِّلَ إلى الناسِ أنَّها تَسْعَىٰ.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٢٦)

معناه: فألقاها فصارت حيَّةً عظيمةً ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ﴾ : ﴿مَا﴾ مصدريَّةٌ أو موصولةٌ[3]، أَي: تَلْقَفُ إفكَهم تسميةً للمأْفُوكِ بالإفكِ، أَو مايَأْفِكونه

---

(١) الشعوذة أو الشعبذة: وهي الحركة السريعة بحيث يوجب على الحسّ الانتقال من الشيء الىٰ شبهه كما تُري النار المتحركة على الاستدارة دائرة متصلة. انظر المكاسب للشيخ الأعظم: ج ٣ ص ١١٧.

(٢) راجع تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٢.

أي: يقلبونه عن الحقّ إلى الباطلِ ويُزوِّرونه. رُوِيَ أنّها لمّا تلقَّفتْ مِلْءَ الوادي من الخُشُبِ والحِبالِ ورفَعَها موسىٰ فعادت عصاً كما كانت[١]، وأعدَمَ اللهُ بقدرتِه تلك الأجرامَ العظيمةَ أو فرَّقَها أجزاءً لطيفةً، وكِلَا الأمرَيْن يَعْلَمُ كلُّ عاقلٍ أنّه لا يدخُلُ تحتَ مقدورِ البشرِ ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ فحَصَلَ وثَبَتَ ﴿وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ﴾ أي: صاروا أذِلَّاءَ مبهوتين ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ أي: وخرّوا سُجَّداً كأنَّما ألقاهم مُلقٍ لشدَّةِ خُرورِهم، وقيل: إنّهم لم يتمالكوا ممّا رَأَوْا فكأنّهم أُلقُوا[٢] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الإخبارِ، أي: فعَلْتُم هذا الفعلَ، وقُرِئَ: «أآمنتُمْ» بحرفِ الاستفهامِ[٣] ومعناه الإنكارُ ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قبلَ أن آمُرَكم بالإيمانِ به وآذَنَ لكم فيه ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ إنَّ صُنعَكم هذا لَحيلةٌ احتَلْتُموها أنتم وموسىٰ في مصرَ قبلَ أن تخرُجوا منها إلىٰ هذه الصَحراءِ، وتَواطَأْتُم علىٰ ذلك لغرضٍ لكم وهو أن تُخرِجوا منها القِبطَ وتُسكِنوها بني إسرائيلَ، وكان ذلك الكلامُ من فرعونَ تمويهاً على النّاسِ لئلّا يَتَّبِعُوا السَحَرَةَ في الإيمانِ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ مجملٌ وقد فصَّلَ الإجمالَ بقولِه: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ أي: من كلِّ شِقٍّ طَرَفاً، وعن الحسن: هو أن يُقطَعَ اليدُ اليُمنىٰ مع الرجلِ اليُسرىٰ[٤]، وقيل: إنَّ أوَّلَ من قَطَعَ من خلافٍ وصَلَبَ: فرعونُ[٥] ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: لانُبالي بالموتِ لانقلابِنا إلىٰ لقاءِ ربِّنا ورحمتِه، أو إنَّا جميعاً نَنقَلِبُ

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) حكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٨ عن الأخفش، وقاله الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٤٣.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٦٥.

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥١٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٦١.

(٥) وهو قول ابن عبّاس. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ٢٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٦١.

إلى اللهِ فيحكمُ بيْننا[١] ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: وما تعيبُ منَّا إلَّا الإيمانَ ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾ اللهِ وهو أصلُ كلِّ منقبةٍ[٢] وخيرٍ، ومثله قولُ الشاعرِ:

وَلا عَيْبَ فيهم غيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتائِبِ[٣]

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أَفِضْ علينا صبراً واسعاً كثيراً حتَّىٰ يَغْمرَنا كما يُفرَغُ الماءُ إفراغاً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلامِ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٩)

لَمَّا أَسْلَمَ السَحَرَةُ قالَ المَلأُ ذلك تحريضاً لفرعونَ علىٰ موسىٰ ﴿وَيَذَرَكَ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾ لأنَّه إذا تركَهم ولم يَمْنَعْهم وكان ذلك مؤدِّياً إلىٰ تركِه وتركِ آلهتِه، فكأنَّه تركَهم لذلك.

ورُوِيَ عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قرأَ: «وَيَذَرَكَ وَإِلَٰهَتَكَ»[٤] أي: عبادتَك.

---

(١) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٤١. (٢) في بعض النسخ: منفعة.

(٣) البيت من قصيدة للنابغة الذبياني، مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك الشام الغسّانيّين وذلك لمّا هرب من النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وهذا البيت مشهور تداوله علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يشبه الذم، إذ يصف فرساناً وشجاعتهم ثم يقول: إن كانت فلول السيف من ذلك عيباً فأثبته ولاأنكر، لكنّها ليست عيباً فتثلّم السيوف انّما هو من شدة مضاربة الجيوش، وهو مبالغة في المدح. انظر خزانة الأدب للبغدادي: ج ٣ ص ٣٢٧، والكامل لابن المبرّد: ج ١ ص ٧١ و ٤٤٦، وديوان النابغة: ص ٥١.

(٤) ذكرها ابن خالويه في شواذه: ص ٥٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٦٢، والبحر ←

وعن ابنِ عبَّاسٍ أنّه لمّا آمَنَ السَحَرَةُ أَسْلَمَ من بني إسرائِيلَ ستُّمائَةِ ألفِ نفسٍ فأرادوا بالفَسادِ في الأَرضِ ذلك، وخافُوا أَن يَغْلِبوا على المُلك[١]، وقيل: إنَّ فرعونَ صَنَعَ لقومِه أَصناماً وأَمَرَهم أَن يَعْبُدُوها تَقَرُّباً إليه، ولذلك قالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٢] [٣]، ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ أَي: سَنُعيدُ عليهم ماكُنّا نَفْعَلُه بهم من قتلِ الأَبناءِ لِيَعلَموا أَنّا علىٰ ماكُنّا عليه من الغَلَبَةِ والقهرِ، وأنّهم مَقهورون تحتَ أَيْدينا كما كانوا، وأَنَّ غَلَبَةَ موسىٰ لاأَثَرَ لها في مُلكِنا ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ عندَ ذلك ﴿لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾ يُسَكِّنُهم ويسلِّيهم ويَعِدُهم النَصرَ من اللهِ، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ﴾ يجوزُ أَن يكونَ اللامُ للعهدِ ويَعني: أَرضَ مصرَ خاصَّةً، ويجوز أَن يكونَ للجنسِ فيَتَناوَلَ أَرضَ مصرَ أيضاً[٤] ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بشارةٌ بأَنَّ الخاتمةَ المحمودةَ للمتمسِّكين بالتَقوىٰ، وأَنَّ المشيئَةَ مُتناوِلةٌ لهم ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يَعنون قتلَ أبنائِهم قبلَ مَوْلِدِ موسىٰ وإعادتَه عليهم من بعدِ نبوَّتِه وتأْييدِه بالمُعجزاتِ، وقولُه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ تصريحٌ بما أَشارَ إليه من البشارةِ ورَمَزَ به قبلُ، وهو إهلاكُ فرعونَ واستخلافُهم بعدَه في أَرضِ مصرَ ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيرى الكائِنَ منكم من العملِ حَسَنَه وقَبيحَه ليُجازِيَكم علىٰ حسبِ مايُوجَدُ منكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

← المحيط: ج ٤ ص ٣٦٧.

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥١٤، والطبري في تفسيره: ج ٦ ص ٢٨.

(٢) النازعات: ٢٤.

(٣) قاله السدي راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٩.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٣.

يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣١)

أَي: عاقَبْنا قومَ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ الَّذين يَؤُولُ أَمرُهم إِليه ﴿بِالسِّنِينَ﴾ بسِني الفحطِ، والسنةُ من الأَسماءِ الغالبةِ كالدَّابَّةِ والنَجمِ، وقالوا: أَسْنَتَ القومُ: أَقْحَطُوا، وعن ابنِ عبَّاسٍ: إِنَّ السنين كانت لباديتِهم وأَهلِ مَـواشـيهم، وكـانَ نـقصُ الثَـمراتِ فـي أَمصارِهم[١] ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فَيَتَنَبَّهُوا أَنَّ ذلك لإِصرارِهم على الكـفرِ ﴿فَـإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ من الخِصبِ والرَخاءِ ﴿قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِۦ﴾ أَي: هذه مختصَّةٌ بـنا ونحن مستحقُّوها، واللاَمُ مثلُها في قولِك: الجُلُّ لِلْفَرَسِ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ من جَدْبٍ وضيقةٍ ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ أَي: يَتَطَيَّروا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَـن مَّـعَهُۥٓ﴾ ويَـتَشَاءموا بـهم ويقولوا: لولا مكانُهم لما أَصابَتْنا، كما قالَ الكفَّارُ لرسـولِ اللهِ ﷺ: ﴿هَـٰـذِهِۦ مِـنْ عِندِكَ﴾[٢]، ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَي: سببُ خيرِهم وشرِّهم عنداللهِ وهو حكمُه ومشيئَتُه، واللهُ هو الَّذي يَشاءُ مايُصيبُهم وليس شُؤْمُ أَحدٍ ولايُمنُه بسـببٍ فيه، كقولِه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣].

﴿وَقَـالُواْ مَـهْمَا تَأْتِـنَا بِـهِۦ مِـنْ ءَايَـةٍ لِّـتَسْحَرَنَا بِـهَا فَـمَا نَـحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْـجَرَادَ وَٱلْـقُمَّلَ وَٱلضَّـفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَـمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٣٤) فَـلَمَّا كَشَـفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَـانتَقَمْنَا مِـنْهُمْ

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٤.
(٢ و ٣) النساء: ٧٨.

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ (١٣٦)

﴿مَهْمَا﴾ هي «ما» المتضمّنة معنى الجزاءِ ضُمَّت إليها «ما» المزيدةُ المُؤكِّدَةُ للجزاءِ في نحوِ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟﴾ (١) و ﴿إِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ (٢) إلّا أنَّ الألفَ قُلِبَتْ هاءً استثقالاً لتَكريرِ المُتجانِسَيْن (٣) ومحلُّ ﴿مَهْمَا﴾ الرَفعُ بمعنىٰ: أيُّما شيءٍ تَأْتِنا بِهِ، أو النَصبُ بمعنىٰ: أيَّما شيءٍ تُحْضِرْنا تَأْتِنا بِهِ (٤)، و ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ تبيينٌ لـ ﴿مَهْمَا﴾ وذُكِّرَ الضَميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ على اللفظِ وفي ﴿بِهَا﴾ على المعنىٰ، وقد رَجَعَ كلاهما إلىٰ ﴿مَهْمَا﴾ وهو في معنى الآيةِ، ونحوُه قولُ زُهَيْرٍ (٥):

وَمَهْما يَكُنْ عِنْدَ امْرِىءٍ مِن خَليقةٍ   وإن خالَها تُخْفىٰ على النّاسِ تُعْلَمِ (٦)

والمعنىٰ: أنّهم قالوا لموسىٰ: أيُّ شيءٍ ﴿تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ﴾ الآياتِ ﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾ لتُمَوِّهَ علينا ﴿بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ بمُصدِّقين، أرادوا أنّهم مُصِرُّون علىٰ تكذيبِه وإن أتىٰ بجميعِ الآياتِ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماطافَ بهم وغَلَبَهم من مَطَرٍ أو سيلٍ، قيل: إنّه أرْسَلَ عليهم السَماءَ حتّىٰ كادوا يَهلِكون، إذ امْتلَأَتْ بيوتُهم ماءً حتّىٰ قاموا في الماءِ إلىٰ تَراقيهم فمَن جلَسَ غَرِقَ ولم يَدخُلْ بيوتَ بني إسرائيلَ قطرةٌ (٧)، وقيل: الطُوفانُ: الجُدَريُّ (٨)، وهم أوّلُ مَن عُذِّبوا بذلك فبَقِيَ في الأَرضِ،

---

(١) النساء: ٧٨.   (٢) يونس: ٤٦، غافر: ٧٧.

(٣) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٦٩، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٤٦، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٧.

(٤) راجع تفصيله في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٦.

(٥) زهير بن أبي سُلمىٰ ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، ولد في بلاد «مزينة» بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر من بلاد نجد، توفّي بحدود ١٣ قبل الهجرة. (الأغاني: ج ١٠ ص ٢٨٨ ـ ٣٢٤، جمهرة الأنساب: ص ٢٥ ـ ٤٧).

(٦) راجع ديوان زهير بن أبي سلمىٰ: ص ٨٨، وهو من الأبيات المشهورة التي لاتحتاج الىٰ توضيح.

(٧) قاله ابن عبّاس وسعيد بن جبير ومحمّد بن إسحاق. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩١.

(٨) قاله أبو قلابة. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩١، والكشّاف: ج ٢ ص ١٤٧.

وقيل: هو الموتُ الذَريعُ(١). فـ﴿قَالُواْ﴾ لـ﴿مُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يَكْشِفْ عنّا ونحنُ نُؤْمِنُ بك، فَدَعا فرُفِعَ، فلم يُؤْمِنوا، فَبَعثَ اللهُ عَلَيْهِمُ ﴿ٱلْجَرَادَ﴾ فأَكَلَتْ عامَّةَ زُروعِهم(٢) وثِمارِهم، ثمَّ أَكَلَتْ كلَّ شيءٍ حتَّى الأَبوابَ وسقوفَ البيوتِ، ولم يَدْخُلْ بيوتَ بني إسرائِيلَ منها شيءٌ، ففَزِعوا إِلىٰ موسىٰ فَدَعا فكُشِفَ عنهم، فما آمنوا، فسَلَّطَ اللهُ عليهم ﴿ٱلْقُمَّلَ﴾ وهو الحَمْنانُ كِبارُ القِردانِ، وقيل: الدَّبىٰ وهو أَولادُ الجَرادِ(٣)، وقيل: البراغيثُ(٤)، وكان يَدخُلُ بينَ ثوبِ أَحدِهم وبينَ جلدِه فيَمَصُّه، ففَزِعوا إِلىٰ موسى، فرُفِعَ عنهم العذاب، فقالوا: قد تَحقَّقْنَا الآنَ أَنَّك ساحرٌ، فأَرْسَلَ اللهُ عليهم ﴿ٱلضَّفَادِعَ﴾ فامْتَلأَت منها آنِيَتُهم(٥) وأَطْعِمَتُهم، وكان الرَجلُ منهم إذا أَراد أَن يَتَكلَّمَ وَثَبَ الضفدِعُ إِلىٰ فيه، فضَجُّوا وفَزِعوا إِلىٰ موسىٰ وقالوا: ٱرْحَمْنا هذه المرَّةَ ونَتوبُ ولانَعودُ، فدَعا فكُشِفَ عنهم، ولم يُؤْمِنوا، فأَرْسَلَ اللهُ عليهم ﴿ٱلدَّمَ﴾ فصارت مياهُهم دماً، وإِذا شَرِبَه الإِسرائِيليُّ كان ماءً، وكان القِبطيُّ يقول للإِسرائيليِّ: خذِ الماءَ في فيك وصُبَّه في فيَّ فكان إذا صَبَّه في فمِ القِبطيِّ تَحوَّلَ دماً، وعَطِشَ فرعونُ حتَّى أشْفى على الهلاكِ فكان يَمَصُّ الأَشجارَ الرَطْبَةَ فإِذا مَضَغَها صارَ ماؤها الطَيِّبُ ملحاً أُجاجاً(٦)، ورُوِيَ: أَنَّ موسىٰ عليه السلام مَكَثَ فيهم بعدَما غَلَبَ السَحَرَةَ عشرين سنةً يُريهم هذه الآياتِ(٧) ﴿ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾

---

(١) وهوقول مجاهدوعطاء. راجع تفسيرالماوردي: ج ٢ص ٢٥١، وتفسيرالبغوي:ج ٢ص ١٩١.
(٢) في بعض النسخ: زرعهم.
(٣) قاله ابن عبّاس والسدي وقتادة ومجاهد وعكرمة والكلبي. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ٣٣ ـ ٣٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٢.
(٤) قاله ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ٣٤، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٥٢.
(٥) في بعض النسخ: أبنيتهم.
(٦) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩١ ـ ١٩٣.
(٧) رواه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٦٧ عن محمّد بن عثمان بن أبي شيبة عن منجاب.

مُبيَّناتٍ ظاهراتٍ[١]، أَو فُصِّلَ بينَ بعضِها وبعضٍ بزمانٍ تُمْتَحَنُ فيه أَحوالُهم ويُنْظَرُ أَيوفون بما وَعَدُوا من أَنفسِهم أَم ينكثُون؛ إلزاماً للحجَّةِ عليهم[٢] ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ «ما» مصدريَّةٌ أَي: بعهدِه عندَك وهو النُبوَّةُ، والباءُ: إمَّا أَن يَتَعلَّقَ بقولِه: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ علىٰ وجهين: أَحدُهما: أَسْعِفْنا إلىٰ مانَطْلُبُ إليك من الدُعاءِ لنا بحقِّ ماعندَك من عهدِ اللهِ، أَو ٱدْعُ اللهَ مُتوَسِّلاً إليه بعهدِهِ عندك، وإمَّا أَن يكونَ قَسَماً أَي: أَقْسَمْنا بعهدِ اللهِ عندَك[٣] ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾، وقولُه: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ إلىٰ حدٍّ من الزَمانِ ﴿هُم بَٰلِغُوهُ﴾ لامَحالةَ فيُعَذَّبون فيه ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ جوابُ «لَمَّا» يعني: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ﴾ فاجَأوا النَكثَ وبادَروه ولم يُؤَخِّروه ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فَأَرَدْنا الانتقامَ منهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أَي: البحرِ الَّذي لايُدْرَكُ قعرُهُ[٤]، وقيل: هو لُجَّةُ البَحرِ[٥] ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟﴾ أَي: كان إغراقُهم بسببِ تكذيبِهم ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وغَفلتِهم عنها.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَاكَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَاكَانُوا۟ يَعْرِشُونَ (١٣٧)

---

(١) وهو قول مجاهد كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٢٢، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٨.

(٢) وهو قول الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٩٣، والزجّاج في معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٣٧٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٣.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٩.

(٤) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٧١ وقال: وكذلك هو في الكتب الأُوَل، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٨.

(٥) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٨، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٥٠، والرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ٢٢٠.

وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (١٤٠).

﴿ٱلْقَوْمَ﴾ هم بنو إسرائيلَ كان يَسْتَضْعِفُهم فرعونُ وقومُه، و ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أرضُ مصرَ والشامِ مَلَكَها بنو إسرائيلَ بعدَ العَمالقةِ والفراعنةِ فتصرَّفوا في نَواحيها الشرقيَّةِ والغربيَّةِ كيف شاءُوا ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بأنواعِ الخِصبِ من الزُروعِ والثمارِ والعيونِ والأنهار ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهو قولُه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ إلى قولِه: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[1]، و ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تأنيثُ «الأحسنِ» صفةٌ للكلمةِ ﴿وَ﴾ معنىٰ ﴿تَمَّتْ ... عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مَضَتْ عليهم، من قولِك: تَمَّ على الأمرِ: إذا مَضَىٰ عليه واستمرَّ ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بسببِ صبرِهم ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ ماكانوا يَعْمَلُونه من العماراتِ وبناءِ القُصورِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ من الجنَّاتِ، وقُرِئَ: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بضمِّ الراءِ[2] وكسرِها، وهذا آخِرُ مااقْتصَّ اللهُ سبحانه من نَبأ فرعونَ والقِبطِ وتكذيبِهم بآياتِ اللهِ.

ثمَّ اقْتَصَّ سبحانَه نَبأَ بني إسرائيلَ وما أَحْدَثوه بعدَ إنقاذِهم من فرعونَ ومُعايَنَتِهم الآياتِ العِظامَ ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ يعني: النيلَ[3] نهرَ

---

(١) القصص: ٥ ـ ٦.

(٢) وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٢٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٤.

(٣) النيل: نيل مصر، قيل: هو تعريب نيلوس، وهو أهم نهر في أفريقيا، وثاني أطول نهر في العالم، يبلغ طوله: ٦٥٠٠كم، ومساحة حوضه ٢٩٠٠٠٠٠ كم٢، يتألّف من رافدين كبيرين: النيل الأبيض الذي ينبع من بحيرة فكتوريا في وسط أفريقيا، والنيل الأزرق الذي ينبع ←

مصرَ ﴿فَأَتَوْاْ﴾ فمرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ قُرِئَ بضمِّ الكافِ وكسرِها[1]، يُواظِبون على عبادَتِها، وقيل: كانت تَماثيلَ بقرٍ[2]، وذلك أَوَّلُ شأنِ العِجلِ ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهاً﴾ صنماً نَعْكُفُ عليه ﴿كَمَا لَـهُمْ ءَالِـهَةٌ﴾ أَصنامٌ يَعْكُفُونَ عليها، و «مَا» كافَّةٌ للكافِ ولذلك وَقَعَت الجملةُ بعدَها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فوَصَفَهم بالجهلِ المطلقِ لتعجُّبِه من قولِهم عقيبَ مارَأَوْا من الآياتِ الباهرةِ ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: عَبَدَةَ التَماثيلِ ﴿مُتَبَّرٌ مَّاهُمْ فِيهِ﴾ أي: مُدَمَّرٌ مُكَسَّرٌ ماهُمْ فِيهِ من عبادةِ الأَصنامِ، أَي: يُتَبِّرُ اللهُ دينَهم ويَهْدِمُه على يدي ويَحْطِمُ أَصنامَهم هذه ويَجْعَلُها رُضاضاً ﴿وَبَـٰطِلٌ مَّاكَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أَي: ماعَمِلُوا شيئاً من عبادتِها فيما سَلَفَ إِلا وهو باطلٌ مُضْمَحِلٌّ لايَنْتَفِعون به ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللهِ أَبْـغِيكُمْ إِلَـٰهاً﴾ أغيرَ اللهِ المُسْتَحِقِّ للعبادةِ أَطْلُبُ لكم معبوداً وهو فَعَلَ بكم مافَعَلَ من الاختصاصِ بالنعمةِ الَّتي لم يُعْطِها أَحداً غيرَكم لتخصُّوه بالعبادةِ ولاتُشرِكوا به غيره؟ ومعنى الهمزةِ الإِنكارُ والتَعجُّبُ من طلبِهم عبادةَ غيرِاللهِ مع كونهم مغمورين في نعمةِ اللهِ.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْـعَذَابِ يُـقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُـمْ عَـظِيمٌ (١٤١)

← من بحيرة تانا في الحبشة، ويلتقي هذان الرافدان عند مدينة الخرطوم في السودان. يجري النيل في بلاد النوبة ومصر، ويصبّ في البحر المتوسط. (معجم البلدان: ج ٤ ص ٨٦٢، مراصد الاطلاع: ج ٣ ص ١٤١٣، المنجد في الاعلام: ص ٧٢١).

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٢٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٢، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٤.

(٢) قاله ابن جريج على ماحكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٦ ص ٤٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٠.

وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤٢)

وقُرِئَ: «أَنْجاكُمْ»[١]، ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أَي: يَبغونكم شدَّةَ العذابِ، مِن سامَ السِلْعَةَ: إذا طَلَبَها، وهي جملةٌ في موضِعِ الحالِ من المخاطبين أو من آلِ فرعونَ، أَو جملةٌ مُستَأنَفَةٌ لامحلَّ لها[٢] ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ إشارةٌ إلى الإنجاءِ أَو العذابِ[٣]، والبلاءُ: النِعمةُ أَو المِحنةُ، وقُرِئَ: «يَقْتُلُونَ» بالتَخفيفِ[٤] كان موسىٰ عليه السلام وَعَدَ بني إسرائيلَ بمصرَ إن أَهْلَكَ اللهُ عدوَّهم أَتاهم بكتابٍ من عندِاللهِ فيه بيانُ مايأْتونَ ومايَذَرُونَ، فلمّا هَلَكَ فرعونُ سَأَلَ موسىٰ رَبَّه الكتابَ، فأَمَرَه بصومِ ثَلاثينَ وهو شهرُ ذِي القِعدةِ، ثمَّ أَنْزَلَ عليه التَوراةَ في العَشْرِ وكَلَّمَه فيها[٥]، وعن الحسنِ: كانَ الموعدُ أَربعين ليلةً فأُجْمِلَ في سورةِ البَقَرَةِ وفُصِّلَ هاهنا[٦]، و ﴿مِيقَـٰتُ رَبِّهِ﴾ ماوَقَّتَ له من الوقتِ[٧] وضَرَبَه له، و ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نصبٌ على

---

(١) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٣٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٥، وقال: وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٧٩.

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥١.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٥١، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٥٥.

(٤) وهي قراءة نافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٣٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٥.

(٥) انظر تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣٩.

(٦) راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٨، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٣٢.

(٧) ولايخفىٰ بأنّ بين «الميقات» و «الوقت» فرقاً واختلافاً، إذ انّ الميقات ماقدر ليعمل فيه عمل من الأعمال، بينما الوقت: وقت الشيء وقدره مقدّر أو لم يقدّر، ولذلك قيل: مواقيت الحجّ وهي المواضع التي قدرت للإحرام فيها. ولتفصيل ذلك انظر معجم الفروق اللغويه ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ برقم ٢١١٦ و ٢١١٧ ط جامعة المدرسين.

الحالِ، أَي: تَمَّ الميقاتُ بالغاً هـذا العـددَ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ وقتَ خـروجِه إلى الميقاتِ، و ﴿هَٰرُونَ﴾ جرٌّ عطفُ بيانٍ لـ ﴿لِأَخِيهِ﴾، ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كُـنْ خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ وكُنْ مُصلِحاً أَو أَصْلِحْ مايَجِبُ أَن يُصْلَحَ من أُمورِ بني إسرائيلَ في حالِ غَيْبَتي، ومَن دَعاك منهم إلى الإفسادِ فلاتُطِعْه ولاتَتَّبِعْه.

وفي هذا دَلالةٌ على أَنَّ منزلةَ الإمامةِ غيرُ داخلةٍ في النُبوَّةِ، إذ لو كانت داخلةً فيها لَمَا احْتاجَ هارونُ إلى استخلافِ موسىٰ إِيَّاه في القيامِ بأَمرِ أُمَّتِه مع كونِه نبيّاً.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٣)

﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾ أَي: لوقتِنا الَّذي وَقَّتْنا له وحَدَّدْناه، ومـعنى اللامِ الاخـتصاصُ، فكأَنَّه قال: واختَصَّ مجيئُه لميقاتِنا، كما تقول: أَتيتُهُ لخمسٍ خَلَوْنَ مـن الشَـهرِ ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ من غيرِ واسطةٍ كما يُكَلِّمُ المَلِكُ، وتكليمُه أَن يُنْشِئَ الكلامَ منطوقاً به في بعضِ الأَجرامِ كما خَلَقَه مخطوطاً في اللوحِ؛ لأَنَّ الكلامَ عَرَضٌ لابدَّ له من محلٍّ يقومُ به، ورُوِيَ: أَنَّه عليه السلام كان يَسمَعُ ذلك الكلامَ من كلِّ جهةٍ[١] ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ المفعولُ الثاني محذوفٌ، يعني: أَرِني نـفسَك أَنْظُرْ إليك، أَي: اجْعَلْني متمكِّناً من رؤيتِكَ بأَن تتجلّىٰ لي فأَنْظُرَ إليك وأَراكَ[٢]، وإِنَّما طَلَبَ الرُؤْيةَ

(١) الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٢.

(٢) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥: فإن قيل: على هذا ينبغي أن يجوّزوا أن يسأل الله تعالى هل هو جسم أم لا ... وغير ذلك ممّا لايجوز عليه؟! قلنا عنه جوابان: أحدهما: أنّه يجوز ذلك إذا علم أنّ في ورود الجواب من جهة الله مصلحة وأنّه أقرب الى زوال الشبهة ←

لقومِه حينَ قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[١] ولذلك دعاهم سُفهاءَ وضُلّالاً، وقال لمَّا أَخذَتْهُمُ الرجفَةُ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[٢]، ولم يَسْأَلْ ذلك إلَّا بعدَ أَن أَنْكَرَ عليهم ونَبَّهَهم على الحقِّ فلَجُّوا وتمادَوا في لجاجِهم، فأَرادَ أَن يَسْمَعُوا النصَّ من عندِاللهِ باستحالةِ الرُّؤْيةِ عليه وهو قولُه: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ليَتَيقَّنوا وتزولَ شبهتُهم، ومعنىٰ ﴿لَن﴾: تأكيدُ النفي الَّذي يعطيه «لا»، وذلك أَنَّ «لا» لنفي المستقبلِ، تقولُ: لا أفعَلُ غداً، فإذا أَكَّدْتَ النفيَ قلتَ: لَنْ أَفْعَلَ غداً[٣]، والمعنىٰ: أَنَّ فعلَه يُنافي حالي، كقولِه سبحانه: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[٤]، فقولُه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[٥] نفيٌ للرؤيةِ فيما يَستَقْبلُ، وقولُه: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ تأكيدٌ وبيانُ أَنَّ الرُّؤْيةَ مُنافيةٌ لصفاتِه ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ معناه: أَنَّ النظرَ إليَّ مُحالٌ فلاتَطْلُبْه ولكن عليك بنظرٍ آخَرَ وهو أَن تَنْظُرَ إلى الجَبَلِ الَّذي يرجُفُ بك وبمَن طَلَبْتَ الرُّؤْيةَ لأَجلِهم كيفَ أَفْعَلُ به، وكيفَ أَجْعَلُه دكّاً بسببِ طلبِك الرُّؤْيةَ لتَسْتَعْظِمَ ماأَقْدَمْتَ عليه بما أُريكَ من عِظَمِ أَثرِه، كأَنَّه جَلَّ جلالُه حَقَّقَ عندَ طلبِ الرُّؤْيةِ مامَثَّلَه عندَ نسبةِ الولدِ إليه في قولِه: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَداً﴾[٦]، ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ كما كانَ مُسْتَقِرّاً ثابتاً ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ تعليقٌ لوجودِ الرُّؤْيةِ بوجودِ مالايكونُ من استقرارِ الجَبَلِ مكانَه حينَ يَدُكُّه دكّاً ويُسَوِّيه

← عن القوم بأنّ ذلك لايجوز عليه تعالىٰ كما جاز ذلك في مسألة الرؤية ... والثاني: انّه انّما يجوز أن يسأل الله مايمكن أن يعلم صحّته بالسمع، وما يكون الشك فيه لايمنع من العلم بصحة السمع، وانّما يمنع من ذلك سؤال الرؤية التي تقتضي الجسمية والتشبيه ... الىٰ آخر قوله الشريف.

(١) البقرة: ٥٥.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشاف: ج ٢ ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٤) الحج: ٧٣.

(٥) الانعام: ١٠٣.

(٦) مريم: ٩٠ ـ ٩١.

بالأرضِ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي: ظَهَرَ له اقتدارُه وتَصَدَّىٰ له أَمرُه وإرادتُه ﴿جَعَلَهُ دَكّاً﴾ أي: مدكوكاً، مصدرٌ بمعنىٰ مفعولٍ، والدكُّ والدقُّ مِثلان، وقُرِئَ: «دَكَّآءَ»(١)، والدَكَّاءُ: الرُبوةُ النَاشزةُ من الأَرضِ لاتَبْلُغُ أَن تَكونَ جَبلاً، أَو يُريدُ أَرضاً دَكَّاءَ: مُسْتَوِيَةً، من قولِهم: ناقَةٌ دَكَّاءُ: مُسْتَوِيَةُ السَنامِ(٢) ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً﴾ من هولِ مارَأَىٰ، وصَعِقَ من بابِ فَعَلته ففَعِلَ، تقولُ: صَعَقْتُه فَصَعِقَ وأَصلُه من الصَاعقةِ، ومعناه: خَرَّ مَغْشِيّاً عليه غَشْيَةً كالموتِ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من صَعقتِه ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ أُنَزِّهُكَ ممَّا لايجوزُ عليك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من طلبِ الرُؤْيةِ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأَنَّكَ لاتُرىٰ.

وقيل(٣): في الآيةِ وجهٌ آخرُ وهو أَن يكونَ المرادُ بقولِه: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ عرِّفني نفسَك تعريفاً واضحاً جليّاً بإِظهارِ بعضِ آياتِ الآخرةِ الَّتي تَضْطَرُّ الخلقَ إِلىٰ معرفتِك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أَعرِفْكَ معرفةً ضروريَّةً كأَنِّي أَنْظُرُ إِليك، كما جاءَ في الحديثِ: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَما تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(٤) بمعنىٰ: سَتَعْرِفونه معرفةً جَلِيَّةً هي في الجلاءِ مثلُ إِبصارِكم القمرَ إِذا امْتَلأَ واستوى بدراً، قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لن تُطيقَ معرفتي علىٰ هذهِ الطَريقةِ ولن تَحْتَمِلَ قوَّتُكَ تلك الآيةَ ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ فإِنِّي أُورد عليه آيةً من تلك الآياتِ ﴿فَإِنِ﴾ ثَبَتَ لتجلِّيها و ﴿ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ﴾ تَثْبُتُ لها وتُطيقُها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ﴾ فلمَّا ظَهَرَتْ للجبلِ آيةٌ من آياتِ رَبِّهِ ﴿جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً﴾ لِعِظَمِ مارَأَىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٨٤، وفي التبيان: ج ٤ ص ٥٣٣: هي قراءة أهل الحجاز إلّا عاصماً.

(٢) انظر لسان العرب: مادة «دكك»، ومفردات الراغب الاصفهاني: ص ١٧١.

(٣) نسب هذا القول في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٤٧٥ الى أبي القاسم البلخي.

(٤) مسند أبي عوانة: ج ١ ص ٣٧٦، مسند أبي حنيفة: ص ١٩

تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ممَّا اقترحتُ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بعظمتِك وجلالِك.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ (١٤٥)

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى﴾ اتَّخذْتُك صَفْوَةً وفضَّلْتُكَ ﴿عَلَى﴾ أهلِ زمانِك من ﴿ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾ وهي أسفارُ التوراةِ، وقُرِئَ: «بِرِسالَتِي» على التوحيدِ[١]. ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾ وبتكليمي إيَّاك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ أي: أعطَيْتُكَ من شرفِ النُبوَّةِ والحكمةِ ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ على النِعمةِ في ذلك فهي من أَجلِّ النِعَمِ، وقيلَ: خرَّ موسىٰ صَعِقاً يومَ عَرَفَةَ، وأُعْطِيَ التوراةَ يومَ النحرِ[٢] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ يُريدُ أَلواحَ التوراةِ، واخْتُلِفَ في عددِها وفي جوهرِها: فقيل: كانت سبعةَ أَلواحٍ[٣]، وقيلَ: عشرةً[٤]، وقيل: لوحَيْن[٥]، وأَنَّها كانت من زُمُرُّدٍ[٦]،

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٣٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٣، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٨٠.

(٢) قاله ابن عبّاس علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٥٩، والكلبي علىٰ ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٨.

(٣) قاله سعيد بن جبير عن ابن عبّاس كما في تفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٦٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٥٤٩ عنه وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) رواه جابر عن النبيﷺ على ماذكره السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٦٩، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٥٥١ وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق.

(٥) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٧٥ وقال: ويجوز في اللغة أن يقال للوحين: ألواح. وحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٣٩.

(٦) قاله مجاهد وابن جريج. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٦٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ←

وقيلَ: من زَبَرْجَدَةٍ خضراءَ[١] أَو ياقوتَةٍ حمراءَ[٢]، وقيل: كانت من خَشَبٍ نَزَلَ من السماءِ[٣] ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ في محلِّ النَّصبِ مفعولُ ﴿كَتَبْنَا﴾، و ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ بدلٌ منه[٤]، والمعنى: كَتَبْنا له فيها كلَّ شيءٍ احتاجَتْ إِليه بنو إِسرائِيلَ في دينِهم من المواعظِ وتفصيلِ الأحكامِ والحلالِ والحرامِ وذكرِ الجنَّةِ والنَّارِ وغيرِ ذلك من العِبَرِ والأَخبارِ ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أَي: بجدٍّ واجتهادٍ وإِقبالٍ وعزيمةٍ، فِعْلَ أُولي العزمِ من الرُّسُلِ، وهو عطفٌ على ﴿كَتَبْنَا لَهُ﴾ والتَقديرُ: فقُلنا له: خُذْها، ويجوزُ أَن يكونَ بدلاً من قولِه: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾، والضميرُ في ﴿فَخُذْهَا﴾ لـ ﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أَو لـ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ لأَنَّه في معنَى الأَشياءِ أَو لـ «الرِّسالاتِ»[٥]، ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ أَي: فيها ماهو حسنٌ وأَحسنُ كالاقتصاصِ والعفوِ والانتصارِ والصبرِ، فمُرْهم أَن يأْخُذوا بما هو أَدخَلُ في الحسنِ وأَكثرُ للثوابِ[٦]، كقولِه: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾[٧]، وقيلَ: يأْخذوا بما هو واجبٌ أَو ندبٌ؛ لأَنَّه أَحسنُ من المباحِ[٨] ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أَي: منازلَ القرونِ الماضيةِ المخالفةِ لأَمرِ اللهِ لتَعْتَبِروا بِها[٩]، وقيل: دارُ الفاسقين نارُ

← ص ١٩٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٨١.

(١) قاله أبوالعالية والكلبي. راجع تفسيرالماوردي: ج ٢ ص ٢٦٠، وتفسيرالبغوي: ج ٢ ص ١٩٩.

(٢) وهو قول سعيد بن جبير على مانسبه إليه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٩، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٧ ص ٢٨١.

(٣) قاله الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٨٧، وعنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ج ٣ ص ٢٥٨.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(٥) انظر تفصيله في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(٦) وهو قول الزجّاج: ج ٢ ص ٣٧٥، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(٧) الزمر: ٥٥.

(٨) قاله الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٠.

(٩) وهو قول قتادة كما حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٠، والقرطبي في تفسيره: ←

جَهَنَّم [١]، فَلْتَكُنْ منكم علىٰ ذكرٍ لتَحْذَروا أَن تَكونوا منهم.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٧)

﴿سَأَصْرِفُ﴾ المتكبِّرين ﴿عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ بالطَبعِ علىٰ قلوبِهِم وخذلانِهم فلا يَتفكَّرون فيها ولا يَعْتَبِرون بها.

وفي الحديثِ: «إذا عَظَّمَتْ أُمَّتي الدُنيا نُزِعَتْ عنها هيبةُ الإِسلامِ، وإذا تَرَكُوا الأَمرَ بالمعروفِ والنَهيَ عن المنكرِ حُرِمَتْ بَرَكَةَ الوحي» [٢].

وقيل: معناه: سأَصْرِفُهم عن إِبطالِها وإِنِ اجْتَهَدُوا كما اجْتَهَدَ فرعونُ في إِبطالِ آيةِ موسىٰ فأَبَى اللهُ إِلَّا علوَّ أَمرِه [٣] ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان: أَحدُهما: أَن يكونَ حالاً أَي: يَتَكَبَّرون غيرَ مُحِقِّين؛ لأَنَّ التَكبُّرَ بالحقِّ للهِ وحدَه، والآخَرُ: أَن يكونَ صلةً للتَكبُّرِ أَي: يَتَكَبَّرون بما ليس بحقٍّ [٤] ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ من الآياتِ المُنزَلةِ عليهم ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفعٌ أَو نصبٌ [٥]، أَي: ذلك الصرفُ بسببِ

← ج ٧ص ٢٨٢، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(١) قاله الحسن ومجاهد. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٦١، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ٢٦٠، وفتح القدير للشوكاني: ج ٢ ص ٢٤٧، والدر المنثور للسيوطي: ج ٣ ص ٥٦٢.

(٢) الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨، الدر المنثور: ج ٣ ص ١٢٧، اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج٤ ص ٥١٥.

(٣) قاله البلخي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٣.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٩.

(٥) لمزيد من التفصيل راجع الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٦٠.

تكذيبِهم، أَو صَرَفَهم اللهُ ذلك الصَرفَ بسببِه ﴿وَلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ﴾ من إِضافةِ المصدرِ إِلى المفعولِ به، أَي: ولقائِهم الآخرةَ وماوَعَدَ اللهُ فيها.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَـمْ يَرَوْاْ أَنَّـهُ لَايُكَلِّمُهُمْ وَلَايَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَـانُواْ ظَـٰلِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّـهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّـنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (١٤٩)

﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أَي: من بعدِ خروجِه إِلى الطُورِ ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الَّتي استَعاروها من قومِ فرعونَ وبَقِيَتْ في أَيديهم بعدَ هلاكِ فرعونَ وقومِهِ، فاتَّخَذَ السَامريُّ منها ﴿عِجْلًا جَسَداً﴾ لاروحَ فيه، وهو بدلٌ من ﴿عِجْلًا﴾، ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ أَي: صوتٌ، والحُلِيُّ جمعُ حَلْيٍ[١]، وقُرِئَ: «حِلِيِّهِمْ» بكسرِ الحاءِ[٢] على الإِتباعِ، و «مِنْ حَلْيِهم» على التَوحيدِ[٣]، وهو اسمُ مايُتَحَسَّنُ به من الذَهبِ والفضّةِ[٤]، وقيل: كان جسداً ذالحمٍ ودمٍ كسائِرِ الأَجسادِ[٥]، وعن الحسن: أَنَّ السَامريَّ قَبَضَ قبضةً من ترابِ أَثرِ حافرِ فرسِ جبرئيلَ يومَ قَطَعَ البحرَ فَقَذَفَه في فِي[٦] العِجْلِ فكانَ عِجلاً

(١) انظر معاني القرآن للأخفش: ج ٢ ص ٥٣٣، ولسان العرب لابن منظور: مادة (حلا).
(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٥، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٧٧، والتيسير للداني: ص ١١٣.
(٣) وهي قراءة يعقوب. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٤، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٥٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٩٢.
(٤) انظر معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٧٧.
(٥) قاله ابن عبّاس والحسن وقتادة كما في تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠١، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٩ ـ ١٦٠، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٦١.
(٦) في نسخة: فم.

له خُوارٌ[١] ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ حينَ اتَّخذوهُ إِلهاً ﴿أَنَّهُ لَا﴾ يَقْدِرُ علىٰ كلام ولا علىٰ هدايةِ سبيلٍ حتَّى لايَتَّخِذُوه معبوداً، ثمَّ ابْتَدَأَ فقالَ: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي: أَقْدَمُوا علىٰ ماأَقْدَمُوا عليه من الأَمرِ المنكرِ ﴿وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ﴾ في كلِّ شيءٍ، فلم تَكُنْ عبادةُ العِجلِ أَمراً بديعاً منهم ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ ولمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهم علىٰ عبادةِ العِجلِ، لأَنَّ من شأْنِ مَن اشتدَّت حسرتُه أَن يَعَضَّ علىٰ يَدَيْه غمّاً فتصير يدُه مسقوطاً فيها، لأَنَّ فاه قد وَقَعَ فيها[٢] ﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ وتَبَيَّنوا ضلالَهم بعبادةِ العِجلِ حينَ رَجَعَ إِليهم موسىٰ ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ وقُرِئَ: «لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا» بالتاءِ «رَبَّنا» بالنَصبِ على النداءِ «وَتَغْفِرْ لَنا» بالتَاءِ[٣] أَيضاً.

وعن الحسن: كلُّهم عَبَدُوا العِجلَ إِلَّا هارونَ بدَلالةِ قولِ موسىٰ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾[٤]، وقال غيرهُ: لَم يَعْبُدْهُ الكلُّ[٥].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَاتُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَاتَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا

---

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٥٤٥.

(٢) وهو من باب الكناية علىٰ شدة الندم، فيقال للرجل النادم على مافعل الخسر علىٰ مافرط منه: قد سُقِطَ في يده وأُسقط.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٤، والتيسير للداني: ص ١١٣، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠١، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٨٦، وفي التبيان: ج ٤ ص ٥٤٥: هي قراءة أهل الكوفة إلّا عاصماً.

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٦.

(٥) قال الجبائي: إنّما عَبَد بعضهم بدلالة ماورد من الأخبار عن النبيﷺ فيما روي عنه في هذا المعنىٰ. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٦.

فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (١٥١)

الأَسِفُ: الشَديدُ الغَضَبِ(١)، وقيلَ: الحَزينُ(٢) ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ أي: قُمْتُمْ مَقامي وكُنْتُمْ خُلَفائِي ﴿مِن بَعْدِىٓ﴾ حيثُ عَبَدْتُمُ العِجْلَ مكانَ عبادةِ اللهِ، وفاعلُ «بِئْسَ» مضمرٌ يُفَسِّرُهُ «ماخَلَفْتُمُونِي»، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ تقديره: بئس خلافةً خَلَفْتُمُونيها مِنْ بَعْدِي خِلافَتُكم(٣) ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ تقول: عَجِلْتُ عن الأمرِ: إذا تَرَكْتَهُ غيرَ تامٍّ، وأَعْجَلَني عنه غيري، ويُضَمَّنُ معنىٰ سَبَقَ فيقال: عَجِلْتُ الأمرَ، فالمعنىٰ: أَعَجِلْتُمْ عن أمرِ ربِّكم وهو انتظارُ موسىٰ حافظين لعهدِه فَبَنَيْتُمُ الأمرَ علىٰ أَنَّ الميعادَ قد بَلَغَ آخِرَه وحَدَّثْتُمْ أنفسَكم بموتي ففَعَلْتُمْ مافَعَلْتُمْ، رُوِيَ: أَنَّ السامريَّ قالَ لهم: إِنَّ موسىٰ لن يَرْجِعَ وأنّه قد مات(٤) ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أَي: طَرَحَها لما لَحِقَه من الضجرِ غَضَباً للهِ وحَمِيَّةً لدينِه ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أَي: بشعرِ رأسِه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ لشدَّةِ ماوَرَدَ عليه من الأمرِ ﴿قَالَ﴾ هارونُ ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ قُرِئَ بالفتحِ تشبيهاً بـ«خَمْسَةَ عَشَرَ» وبالكسرِ(٥) علىٰ طرحِ ياءِ الإضافةِ(٦)، وعن الحسنِ: وَاللهِ لقد كان أَخاه لأَبيه وأُمِّه، وإِنَّما نَسَبه إِلى الأُمِّ

---

(١) وهو قول أبي الدرداء فيما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٧، وقول الأخفش كما في تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٦٢، وأبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٢٨، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) قاله ابن عبّاس في تفسيره: ص ١٣٨، وحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٢. وهو قول الحسن علىٰ مافي تفسيره: ج ١ ص ٣٨٨.

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٦٣.

(٤) حول السامري ونسبه وقصته انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٥، وفي تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٢ : هي قراءة أهل الكوفة والشام.

(٦) قال الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٩٤: وذلك أنّه كثر في الكلام فحذفت العرب منه ←

لأنَّ ذكرَ الأُمِّ أَبلغُ وأنسب في الاستعطافِ[١] ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ الّذين تركتني بين أَظْهُرِهم ﴿ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ قَهَروني واتَّخَذوني ضعيفاً، ولم آلُ جُهداً في كفِّهم بالإنذارِ والوعظِ ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ أَي: همُّوا بقتلي لشدَّةِ إِنكاري عليهم ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ فلا تَفعَلْ بي ماهو أُمنيَّتُهم من الإساءَة بي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: قريناً لهم في إظهارِ المَوجِدَةِ عليَّ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ بيَّنَ بهذا الدُعاءِ أنَّه لم يَجُرَّ رأسه إليه لعِصيانٍ وَجَدَ منه، وإنَّما فعَلَه كما يَفعَلُ الإنسانُ بنفسِه عندَ شدَّةِ الغضبِ علىٰ غيرِه[٢] ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ أي: نِعْمَتِكَ وجنَّتِك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (١٥٤)

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ الغضبُ: ماأُمِرُوا به مِن قتلِ أَنفسِهم، والذلَّةُ: خروجُهم مِن ديارِهم؛ لأنَّ الغُربةَ ذلَّةٌ[٣]، وقيل: هي الجزيةُ المضروبةُ عليهم[٤]

← الياء، ولايكادون يحذفون الياء إلّا من الاسم المنادىٰ يضيفه المنادي الىٰ نفسه، إلّا قولهم: يابن عمٍّ ويابن أمٍّ وذلك انّه يكثر استعمالهما في كلامهم، فاذا جاء مالايستعمل أثبتوا الياء فقالوا: يابن أبي ويابن أخي ويابن خالتي فأثبتوا الياء.

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٩.

(٢) وهو اختيار أبي علي الجبائي كما في التبيان: ج ٤ ص ٥٥٠.

(٣) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٦٢.

(٤) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٣٨، وحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٢.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ على اللهِ، ولافرية أعظمُ من قولِ السامريِّ: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ (١)، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الكفرِ والمَعاصي ﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾ رَجعُوا ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ إلى اللهِ وأَخلَصوا الإيمانَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ﴾ بَعْدِ تلك العظائمِ ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ هذا مَثَلٌ، كأَنَّ الغضبَ كان يُغْرِيه علىٰ ما فَعَلَ ويقولُ له: أَلْقِ الألواحَ وجُرَّ برأسِ أخيك إليك فتَرَكَ النُطقَ بذلك، والمعنىٰ: ولمَّا طَفِئَ غضبُه ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ الَّتي أَلقاها ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ وفيما نُسِخَ فيها وكُتِبَ، والنُسخةُ فُعْلَةٌ بمعنىٰ مفعولٍ كالخُطْبَةِ ﴿هُدٗى﴾ دَلالةٌ وبيانٌ لما يُحتاجُ إليها(٢) من أُمورِ الدينِ ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ ونعمةٌ ومنفعةٌ ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ دَخَلَت اللامُ لتقدُّمِ المفعولِ(٣)، تقول: لَكَ ضَرَبْتُ، ونحوُه: ﴿لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾(٤).

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ (١٥٥)

تقديرهُ: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ﴾ من ﴿قَوۡمَهُۥ﴾ فحُذِفَ الجارُّ ﴿سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ خَرَجَ بهم إلىٰ طورِ سَيْناءَ(٥) لِميقاتِ رَبِّه، فلمَّا دنا موسىٰ من الجَبَلِ وَقَعَ عليه عمودُ

---

(١) طـه: ٨٨. (٢) في بعض النسخ: اليه.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٦٧.

(٤) يوسف: ٤٣.

(٥) الطور في كلام العرب: الجبل، وقال بعض أهل اللغة: لا يُسمّىٰ طوراً حتّىٰ يكون ذا شجر. وقيل: سمّي طور ببطور بن إسماعيل عليه السلام أُسقطت باؤه للاستثقال. ويقال لجميع بلاد الشام: الطور، وذكر بعض العلماء: إنّ الطور هذا الجبل المشرف علىٰ نابلس؛ ولهذا يحجّه السامرة. ←

الغَمامِ حتَّى تَغَشَّى الجبلُ كلُّه، ودَنا موسىٰ ودَخَلَ فيه ودَخَلُوا وسَجَدوا فسَمِعُوا كلامَ اللهِ، ثمَّ انْكَشَفَ الغَمامُ فطَلَبُوا الرُّؤْيَةَ فأَنْكَرَ عليهم، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ (١)، فـ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأُجيبَ بـ ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ (٢)، ورَجَفَ بهم الجَبَلُ فصَعِقوا ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ﴾ موسىٰ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾ وهذا تَمَنٍّ منه للإهلاكِ قبلَ أن يَرَىٰ ما رأىٰ من تَبِعَةِ طلبِ الرُّؤْيةِ ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ يعني: نفسَه وإيَّاهم ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ لأَنَّه إنَّما طَلَبَ الرُّؤْيَةَ زجراً للسُّفهاءِ وهم طَلَبوه سَفَهاً وجهلاً ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: مِحنتُك وابتلاؤُك حينَ كَلَّمْتَني وسَمِعُوا كلامَك فاسْتَدَلُّوا بالكلامِ على الرُّؤْيةِ استدلالاً فاسداً حتَّى افْتَتَنوا وضَلُّوا ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالمِحنةِ الجاهلين أي: غيرَ الثَّابتين في معرفتِك ﴿وَتَهْدِى﴾ العالِمين بك، وجُعِلَ ذلك إضلالاً وهدىً من اللهِ؛ لأَنَّ مِحنتَه لمَّا كانت سبباً لأن ضَلُّوا واهتَدَوا فكأَنَّه أَضَلَّهم بها وهَداهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ مولانا والقائمُ بأُمورِنا(٣).

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ

← وقيل: هو مايطلّ علىٰ طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ، علىٰ رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موثقة الأرجاء، وقد بُني عليها قلعة حصينة ومحكمة، وقد خرّبها الافرنج سنة ٦١٥م عند طلبهم بيت المقدس. (معجم البلدان: ج ٣ ص ٥٥٦).

(١) البقرة: ٥٥. (٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري: ج ١ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧)

أي: ﴿وَ﴾ أثبِتْ ﴿لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: عافيةً وحياةً طيّبةً ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ الجنّةَ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تُبنا إليك، من هادَ إليه: إذا رَجَعَ وتابَ، والهودُ جمعُ هائدٍ وهو التائبُ ﴿قَالَ عَذَابِىٓ﴾ من صفتِه أنّي ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ ممّن عَصاني واستحَقَّه بعِصياني ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فما من مسلمٍ ولاكافرٍ ولامُطيعٍ ولاعاصٍ إلّا وهو متقلِّبٌ في نعمتي، فَسأكْتُبُ هذه الرَحمةَ كِتْبَةً خاصّةً منكم يابني إسرائيلَ ﴿لِلَّذِينَ﴾ يكونون في آخِرِ الزمانِ من أُمّةِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـ﴾ جميعِ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ وكتبِنا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لايكفُرون بشيءٍ منها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الّذي نوحي إليه كتاباً مختصّاً به وهو القرآنُ ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾ المؤيَّدَ بالمُعجزاتِ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ أي: يَجِدون نعتَه أُولئك الّذينَ يتَّبِعونه من بني إسرائيلَ ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ﴾ ماحُرِّمَ عليهم من الأشياءِ الطَّيِّبةِ كالشُحومِ وغيرِها أَو ماطابَ في الشَريعةِ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ مايُستَخبَثُ نحوُ المَيتةِ والدَمِ ولحمِ الخِنزيرِ، أَو ماخَبُثَ في الحكمِ من المكاسبِ الخبيثةِ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ والإِصرُ: الثِقلُ الّذي يَأصِرُ صاحبَه أي: يَحبِسُه من الحَراكِ لثقلِه، وهو مَثَلٌ لثقلِ تكليفِهم نحوُ قتلِ الأنفسِ في التَوبةِ ﴿وَ﴾ كذلك ﴿ٱلْأَغْلَٰلَ﴾ مَثَلٌ لِما كان في شرائِعِهم من التَكاليفِ الشاقّةِ نحوُ قَرْضِ موضِعِ النجاسةِ من الجلدِ والثَوبِ وإحراقِ الغنائِمِ وتحريمِ السَبتِ[١] ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ ومَنَعوه حتّىٰ لايقوىٰ عليه عدوٌّ، أَصلُ العَزْرِ: المنعُ، ومنه

---

(١) انظر معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٨١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٦.

التعزيرُ للضَربِ دونَ الحدِّ لأنَّه يَمنَعُ من مُعاوَدَةِ القبيحِ، وَ ﴿ٱلنُّورَ﴾ القرآنُ ﴿أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي: مع نبوَّتِه، أو تَعلَّقَ ﴿مَعَهُ﴾ بـ﴿ٱتَّبَعُوا﴾ أي: واتَّبَعُوا القرآنَ الَّذي أُنزِلَ مع اتِّباعِ النَبيِّ والعملِ بسنَّتِه، أو: واتَّبَعُوا القرآنَ كما اتَّبَعَه النَبيُّ يُصاحِبونَه في اتِّباعِه[1].

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَماً وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَارَزَقْنَـٰكُمْ وَمَاظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٦٠)

﴿جَمِيعاً﴾ نصبٌ على الحالِ من ﴿إِلَيْكُمْ﴾[2]، ﴿ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في موضِعِ الجرِّ على الوصفِ للهِ، أو النَصبِ على المدحِ بإضمارِ «أعني»[3]، و ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدلٌ من الصلةِ الَّتي هي ﴿لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وكذلك ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾، وفي ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيانٌ للجملةِ قبلَها؛ لأنَّ مَن مَلَكَ العالَمَ كان هو الإلـٰهَ على الحقيقةِ، وفي ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ بيانٌ لاختصاصِه بالإلـٰهيَّةِ؛ لأنَّه لايَقدِرُ على الإحياءِ والإماتةِ غيرُه ﴿وَكَلِمَـٰتِهِ﴾ يُريدُ

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧١.

(٢) انظر التبيان: ج ٥ ص ٥، والكشّاف: ج ٢ ص ١٦٦.

(٣) راجع تفصيله في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧٢.

بها ماأُنزِلَ عليه وعلىٰ من تَقدَّمَه من الرُسُلِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادةَ أَن تـهتدوا ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ هم المُؤْمِنون التّائِبون[١] من بني إِسرائِيلَ ﴿يَـهْدُونَ﴾ النّاسَ ﴿بِـ﴾ كلمةِ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ وَيَدُلُّونهم على الاستقامةِ ويُرشِدونهم ﴿وَ﴾ بِالْحَقِّ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينَهم فـي الحكـمِ لايَـجورون، أَو أَراد الَّـذين وَصَـفَهم مـمَّن أَدْرَكَ النَبيَّ ﷺ وآمَنَ به من أَعقابِهم[٢]، وقيل: إِنَّهم قومٌ من بني إِسرائِيلَ فَتَحَ اللهُ لهم نَفَقاً في الأَرضِ حتَّىٰ خَرَجُوا من وراءِ الصينِ، وهـم هـنالك حُـنَفاءُ مُسـلِمون يَسْتَقبِلون قبلتَنا[٣] ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ﴾ وصَيَّرْناهم قِطَعاً أَي: فِرَقاً، ومَيَّزْنا بعضَهم مـن بعضٍ، والأَسباطُ: أَولادُ الولدِ جمعُ سِبْطٍ، والأَسباطُ في وُلدِ يعقوبَ بن[٤] إِسْحاقَ بمنزلةِ القبائِلِ في وُلدِ إِسماعِيلَ، وكانوا ٱثْنَيْ عَشَرَ سِبطاً، وقولُه: ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدلٌ من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ والمميِّزُ محذوفٌ والتَقديرُ: ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرقةً[٥]، و ﴿أُمَمًا﴾ نصبٌ على الحالِ، يعني: أَنَّ كلَّ سبطٍ من الأَسباطِ كانت أُمَّةً عظيمةً وجماعةً كثيرةً ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ فانْفَجَرَتْ وهو الانفتاحُ بسَعَةٍ وكَثرةٍ، قال العَجّاجُ:

وَكَيْفَ غَرْبَىْ دالِجٍ تَبَجَّسا[٦]

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أَي: كلُّ أُمَّةٍ من تلك الأُمَمِ ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾، والأُناسُ اسمٌ

---

(١) في نسخة: الثابتون.
(٢) وهو قول الكلبي كما حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٧٠.
(٣) قاله ابن عبّاس والسدي كما حكاه عنهما الماوردي في تـفسيره: ج ٢ ص ٢٧٠، ونسـبه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٦ الى الكلبي والضحّاك والربيع، واختاره القـرطبي فـي تفسيره: ج ٧ ص ٣٠٢.
(٤) في بعض النسخ: من.
(٥) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧٣.
(٦) وصدره: وانحلبت عيناه من فرط الأسىٰ. يقول: انصبت دموع عـينيه مـن شـدة الحـزن كانصباب دلوي رجل مفرغ لهما في الحوض تفجر السعة. انظر ديوان العجاج: ص ١٢٣، والعين للفراهيدي: ج ٥ ص ٤١٣ مادة «ولف».

جمعٍ غيرُ تكسيرٍ نحوُ: رُخالٍ[١] وتُناءٍ[٢] وتُؤامٍ وأخواتٍ لها.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ (١٦٢) وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٦٤)

﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيتَ المَقْدِسِ[٣]، وقُرِئَ: «تُغفَرْ لَكُمْ خَطِيّاتُكُمْ»[٤] و«خَطِيئَتُكم»[٥] أيضاً، وقُرِئَ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالنونِ ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾ و«خَطاياكُمْ»[٦]، «وَسَلْهُمْ» وسَلِ اليهودَ، وقُرِئَ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ وهو سؤالُ تقريرٍ وتقريعٍ بقديمِ كفرِهم وتجاوزِهم لحدودِ اللهِ ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ قريبةً منه ﴿إِذْ

(١) جمع رِخل بالكسر: الأنثىٰ من أولاد الضأن. (القاموس المحيط: مادة رخل).

(٢) تَنَأَ تنوءاً: أقام. (القاموس المحيط: مادة تنأ).

(٣) أنظر معجم البلدان: ج ٤ ص ٥٩٠ ـ ٥٩٤ ففيه كلامٌ مفصَّلٌ حول بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ ممّا لاغنىٰ عن مراجعته.

(٤) وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب والمفضّل عن عاصم. راجع التبيان: ج ٥ ص ٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٦، والتيسير في القراءات للداني: ص ١١٤.

(٥) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٥ ص ٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧، والعنوان في القراءات السبع لابن خلف الأندلسي: ص ٩٨.

(٦) وهي قراءة أبي عمرو. راجع التبيان: ج ٥ ص ٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧.

يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ إذ يتجاوزون حدَّ[١] اللهِ فيه وهو اصطيادُهم في يومِ السَبتِ وقد نُهُوا عنه، والسَبتُ مصدرُ سَبَتَتِ اليهودُ: إذا عظَّمَتْ سَبتَها بتركِ الصيدِ والاشتغال بالتعبُّدِ، وكذلك قولُه: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ معناه: يومَ تعظيمِهم أمرَ السَبتِ، و ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ محلُّه جرٌّ[٢] بدلٌ من ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ والمرادُ بالقريةِ أهلُها، والتقديرُ: واسألْهم عن أهلِ القريةِ وقتَ عُدوانِهم في السَبتِ وهو بدلُ الاشتمالِ، ويجوزُ أن يكونَ منصوبَ المحلِّ بـ﴿كَانَتْ﴾ أو بـ﴿حَاضِرَةَ﴾، و ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ منصوبٌ بـ﴿يَعْدُونَ﴾، ويجوزُ أن يكونَ بدلاً بعدَ بدلٍ[٣] ﴿شُرَّعاً﴾ ظاهرةً على وجهِ الماءِ، وعن الحسنِ: تَشْرَعُ الحيتانُ على أبوابِهم كأنّها الكِباشُ البيضُ[٤] يقالُ: شَرَعَ علينا فلانٌ: إذا دنا منّا وأشْرَفَ علينا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلُ ذلك البلاءِ نَبلوهم بسببِ فسقِهم ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ معطوفٌ على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ وإعرابُه إعرابُه ﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: جماعةٌ من أهلِ القريةِ من صُلَحائِهم[٥] يَئِسُوا من قبولِهم وعظَهم لآخرين كانوا يَنهَونَهم ويَعِظُونَهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي: مُخترِمُهم في الدُنيا بسببِ معصيتِهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ في الآخرةِ، قال الواعظون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: موعظتُنا[٦] مَعْذِرَةٌ إلى اللهِ وتأديةٌ لفرضِه في النَهي عن المنكَرِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ولطمعِنا أن يَتَّقُوا ويَرجِعوا، وقُرِئَ: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنَصبِ[٧]، أي: وَعَظْناهم مَعْذِرَةً، أو اعْتَذَرْنا مَعْذِرَةً.

---

(١) في نسخة: حدود. (٢) في بعض النسخ: مجرور.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧٤.

(٤) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٧٢، والزمخشري في كشافه: ج ٢ ص ١٧١.

(٥) في بعض النسخ: علمائهم. (٦) في نسخة: معذرتنا.

(٧) وهي قراءة حفص وحده عن عاصم. راجع التبيان: ج ٥ ص ١٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٦.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّانُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (١٦٦)

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ يعني: أهلَ القريةِ، أي تَرَكُوا ماذكَّرهم به الصَالحون تركَ الناسي لما يَنْساه ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أَي: شديدٍ، ولم يَذْكُرِ الفِرقةَ الثالثةَ الَّتي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ أَهي من النَاجيةِ أَم من الهالكةِ، واخْتُلِفَ في ذلك: فقيل: هَلَكَتِ الفِرقتانِ ونَجَتِ الفرقةُ النَاهيةُ، ورُوِيَ ذلك عن الصَادقِ عليه السلام [١]، وقيل: نَجَتِ الفِرقتان وَهَلَكَتِ الواحدةُ وهي الآخذةُ للحِيتانِ [٢]؛ لأَنَّ النَاهيَ إذا عَلِمَ أَنَّ النَهيَ لايُؤَثِّرُ في المنهيِّ سَقَطَ عنه النَهيُ، وقُرِئَ: «بِعَذابٍ بيسٍ» [٣] علىٰ تخفيفِ العينِ من «بَئسٍ» ونقلِ حركتِها إلى الفاءِ وقلبِ الهمزةِ ياءً كذيبٍ في «ذِئبٍ»، وقُرِئَ ـ أيضاً ـ بالهمزةِ [٤]، وقُرِئَ: «بَيْئَسٍ» [٥] علىٰ وزن فَيْعَلٍ فيكون وصفاً كضَيْغَم [٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّانُهُواْ عَنْهُ﴾

---

(١) أُنظر الكافي: ج ٨ ص ١٥٨ ح ١٥١.

(٢) وهو قول ابن عبّاس والسدي. راجع تفسير ابن عباس: ص ١٤٠، والتبيان: ج ٥ ص ١٤، وحكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٧٢ ونسبه الى الحسن.

(٣) قرأه نافع وأبو جعفر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٩، وفي التبيان: ج ٥ ص ١٤: هي قراءة أهل المدينة والداحوني عن هشام.

(٤) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٥ ص ١٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٤١٢.

(٥) وهي قراءة ابن عبّاس والأعمش وعاصم برواية أبي بكر. راجع التبيان: ج ٥ ص ١٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٤١٢.

(٦) وفي هذا إحدىٰ عشرة قراءة، ذكر المصنّف رحمه الله ثلاثاً منها، ولمزيد التفصيل انظر إعراب ←

أي: تكبَّروا عن تركِ مانُهوا عنه ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً﴾ عبارةٌ عن مسخِهم قِرَدَةً ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ مَطرودين مُبَعَّدين، وقيل: إنَّهم بَقُوا كذلك ثَلاثَةَ أَيَّامٍ يَـنْظُرُ إليـهم النَاسُ ثمَّ هَلَكوا ولم يَتَناسَلوا[١].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُـومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَـذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَـلَوْنَـٰهُم بِـٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔـاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٦٨)

هو تفعُّلٌ من الإيذانِ وهو الإعلامُ، ومعناه: ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ﴾ عَزَمَ ﴿رَبُّكَ﴾ لأنَّ العازمَ على الأَمرِ يُحَدِّثُ به نفسَه ويُؤْذِنُها بفعلِه، وأُجْرِيَ مَجرىٰ فعلِ القسمِ كـ«عَلِمَ اللهُ» و «شَهِدَ اللهُ»، ولذلك أُجيبَ بما يُجابُ به القسمُ وهو قولُه: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾، فكأنَّه قال: ﴿وَإِذْ﴾ كَتَبَ ﴿رَبُّكَ﴾ علىٰ نفسِه وأَوجَبَ ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ عـلى اليـهودِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُـومُهُمْ سُـوٓءَ ٱلْـعَذَابِ﴾ فكـانوا يُـؤَدُّون الجـزيةَ إلى المجوسِ إلىٰ أَن بَعَثَ اللهُ محمَّداًﷺ ثمَّ ضَرَبَها عليهم فلاتَزالُ مضروبةً عليهم إلىٰ آخِرِ الدَهرِ، ومعنىٰ ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾: ليُسَلِّطَنَّ عليهم كقولِه: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ﴾[٢]، ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَماً﴾ أَي: فَرَّقْناهم في البلادِ فِرَقاً وجـماعاتٍ شـتَّىٰ، فلايكادُ يَخْلو بلدٌ من فِرقةٍ منهم ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ وهـم الَّـذين آمَـنوا بـاللهِ ورسولِه[٣] ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أَي: ومنهم ناسٌ دونَ ذلك الوصفِ أَي: منحطُّون عنه، فقولُه: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في محلِّ الرَفعِ لأَنَّه صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، ونحوُه

← القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٥٨ ـ ١٥٩، والتيسير في القراءات للداني: ص ١١٤.

(١) قاله ابن عبّاس كما في تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) الاسراء: ٥. (٣) في نسخة: ورسله.

قوله: ﴿وَمَامِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [١] أي: ومامنَّا أحدٌ إلَّا له مقامٌ ﴿وَبَلَوۡنَـٰهُم بِٱلۡحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنِعَمِ والنِقَمِ والمِنَحِ والمِحَنِ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ ينتهون فَيُنيبُونَ[٢].

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٌ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَـٰقُ ٱلۡكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٦٩) وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَـٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ (١٧٠)

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعدِ المذكورين ﴿خَلۡفٌ﴾ وهم الَّذين كانوا في زمنِ رسولِ الله ﷺ، قالَ الفرَّاءُ: يُقالُ: «خَلَفُ صِدْقٍ» و «خَلْفُ سَوْءٍ» بالسُكونِ[٣]، قال لبيدٌ:

وبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[٤]

﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ﴾ بَقِيَتِ التَوراةُ في أيديهم بعدَ سلفِهم يَقْرَؤونها ويَدْرُسونها ولايَعْمَلون بها ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ أي: متاعَ هذا الشَيءِ الأَدنىٰ، يُريدُ الدُنيا ومايُتَمَتَّع به منها، وفي قولِه: ﴿هَـٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ تحقيرٌ وتخسيسٌ، وهو: إمَّا من الدُنوِّ بمعنى القربِ، وإمَّا من الدناءَةِ وسقوطِ الحالِ، والمرادُ: ماكانوا يَأْخُذونه من

(١) الصافات: ١٦٤. (٢) في نسخة: يتنبّهون فينتهون.
(٣) انظر معاني القرآن للفرّاء: ج ١ ص ٣٩٩.
(٤) وصدره: ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم. والبيت من الكامل، والمعنىٰ: ذهب الكرام الذين يُنتفع بهم، وبقيتُ في قومٍ لاخير فيهم كجلد الأجرب، وجلد الأجرب من الجِمَال لاينتفع به. انظر ديوان لبيد: ص ٥٥، وخزانة الأدب: ج ٢ ص ٢٤٩، والكامل للمبرد: ج ٣ ص ١٣٩٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣١٠، ولسان العرب: مادة «خلف».

الرُشىٰ في الأَحكامِ وعلىٰ تحريفِ الكَلِمِ للتسهيلِ على العامَّةِ ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أَي: لايُؤَاخِذُنا اللهُ بما أَخَذْنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الواوُ للحالِ، أَي: يَرْجُونَ المغفرةَ وهم مصرُّون عائِدون إِلىٰ مثلِ فعلِهم ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أَلَمْ يُؤْخَذْ علىٰ هـٰؤُلاءِ المُرتَشين الميثاقُ في التوراةِ أَن لايَكْذِبوا عَلَى اللهِ ولايُضيفوا[١] إِليه إِلّا ماأَنْزَلَه، كأَنّه قيل: أَلم يقُلْ لهم: ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ وقَرَأُوا مافيه فهم ذاكرون لذلك ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العَرَضِ الحقيرِ ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ محارمَ اللهِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قُرِئَ بالياءِ[٢] والتاءِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ مرفوعٌ بالابتداءِ وخبرُه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[٣]، والمعنىٰ: لانُضيعُ أَجرَهم، وُضِعَ الظّـاهرُ موضِعَ المضمرِ؛ لأَنَّ المُصلِحين في معنىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾، ويجوزُ أَن يكونَ مجروراً عطفاً علىٰ «الَّذينَ يتَّقون» ويكونَ قولُه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضاً[٤].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١)

﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ قَلَعْناه ورفَعْناه كقولِه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾[٥]، والظُلَّةُ: كلُّ ماأَظَلَّكَ من سقيفةٍ أَو سَحابٍ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ وعَلِمُوا أَنّه ساقطٌ عليهم، وذلك أَنّهم أَبَوْا أَن يَقْبَلوا أَحكامَ التوراةِ، فرَفَعَ اللهُ الطُورَ علىٰ

---

(١) في بعض النسخ: ينسبوا.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي. انظر الكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٢٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٧ و ٤٢٨.

(٣) وهو مذهب المشهور. انظر علىٰ سبيل المثال إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٦٠، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٨٢.

(٤) راجع الكشّاف: ج ٢ ص ١٧٥.

(٥) النساء: ١٥٤.

رُؤُوسِهم مقدارَ عسكرِهم، وكان فرسخاً في فرسخ، وقيل لهم: إن قَبِلْتُموها بما فيها وإلَّا لَيَقَعَنَّ عليكم، فلمَّا نَظَرُوا إلى الجَبَلِ خرُّوا سُجَّداً علىٰ أَحدِ شِقَّيْ وجوهِهم يَنْظُرُون إلى الجَبَل فَرَقاً[1] من سقوطِه[2] ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ علىٰ إرادةِ القولِ، أي: وقُلنا: خُذُوا، أَو قائلين: خُذُوا ما آتَيْناكم من الكتابِ بقوَّةٍ أي: بجدٍّ وعزمٍ على احتمالِ تكاليفِهِ ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الأَوامرِ والنَواهي ولا تَنْسَوْه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٤)

وقُرِئَ: «ذُرِّيَّاتِهِمْ»[3]، ومن أَفْرَدَ فللاستغناء عن جمعِه لوقوعِه على الجمعِ، أَلا تَرَىٰ إلىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾، ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بدلُ البعضِ من الكلِّ، ومعنى أَخْذِ ذرِّيَّاتِهم من ظهورِهم: إخراجُهم من أَصلابِهم، وقولُه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وقولُه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ من بابِ التَمثيلِ، والمعنيُّ في ذلك أَنَّه نَصَبَ لهم الأَدِلَّةَ علىٰ ربوبيَّتِه، وشَهِدَتْ بها عقولُهم الَّتي رَكَّبها فيهم وجعَلَها مُمَيِّزَةً بينَ الضَلالةِ والهدايةِ، فكأَنَّه ﴿أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وقرَّرَهم وقالَ لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وكأَنَّهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أَنْتَ رَبُّنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ علىٰ أَنْفُسِنا وَأَقْرَرْنا برُبوبيَّتِك ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مفعولٌ له،

(١) فَرِق: فزع. (لسان العرب: مادة فرق).

(٢) راجع قصة موسىٰ عليه السلام وقومه في تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٧٠ ـ ٣٠٣.

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر والبصريان (أبو عمرو ويعقوب). راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٨.

أَي: نَصَبْنَا الأَدلَّةَ الَّتي تَشهَدُ العقولُ علىٰ صحَّتِها كراهةَ أَن تَقُولُوا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ لم نُنَبَّهْ عليه ﴿أَوْ﴾ كَراهةَ أَن ﴿تَقُولُوٓاْ﴾: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ فاقْتَدَيْنا بهم؛ لأَنَّ نصبَ الأَدلَّةِ على التَوحيدِ قائمٌ معهم، فلاعذرَ لهم في الإِعراضِ عنه والإِقبالِ علىٰ تقليدِ الآباءِ والاقتداءِ بهم، كما لاعذرَ لآبائِهم في الشِركِ وقد نُصِبَتِ الأَدلَّةُ لهم على التَوحيدِ ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أَي: كانوا السَببَ في شركِنا لتأْسيسِهم الشِركَ لنا وتَقَدُّمِهم فيه[١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أَي: ومثلُ ذلك التَفصيلِ البـليغِ ﴿نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ لهـم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وإِرادةَ أَن يَرْجِعُوا عن شركِهم نُفَصِّلُها، وقُرِئَ: «أَن يَقُولُوا» بالياءِ[٢].

(١) قال في تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣١٤: قلت: وفي الحديث عن النبيﷺ أنـه تعالىٰ أخرج الأشباح فيهـا الأرواح من ظهر آدمعليه‌السلام، وروىٰ مالك في موطئه أنّ عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ ... غَـٰفِلِينَ﴾ فـقال عـمر: سـمعتُ رسول اللهﷺ يُسأل عنها فقال: إنّ الله تعالىٰ خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للجنّة وبعمل أهل الجنّة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ... الى أن قال: قال أبوعمر: هذا حديث منقطع الاسناد لأنّ مسلمبن يسار لم يلْقَ عمر، وقال فيه يحيىٰ بن معين: مسلم بن يسـار لايُعرف، بينه وبين عمر نعيم بن ربيعة، ذكره النسائي، ونعيم هذا غير معروف بحمل العلم. انتهىٰ قوله.

قال الشيخ الطوسيرحمه‌الله: فأمّا ماروي أنّ الله تعالى أخرج ذرّية آدم من ظهره وأشهدهم علىٰ أنفسهم وهم كالذّر فانّ ذلك غير جائز؛ لأنّ الأطفال فضلاً عمن هو كالذرّ لاحجة عليهم ولايحسن خطابهم بما يتعلّق بالتكليف، ثم إنّ الآية تدلّ على خلاف ماقالوه لأنّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ وقال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظـهره، وقـال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل: ذرّيته، ثم قال: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ فأخبر أنّ هذه الذرّية قد كان قبلهم آباء مبطلون وكانوا هم بعدهم. على أنّ راوي هذا الخبر سليمان بن بشار الجهني، وقيل: مسلم بن بشار عـن عمر بن الخطاب، وقال يحيىٰ بن معين: سليمان هذا لايدري أين هو. راجع التـبيان: ج ٥ ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وحده. راجـع التبيان: ج ٥ ص ٢٦، وكتاب السبعة في القراءات ←

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (١٧٨)

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهودِ خبرَ ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ هو عالمٌ من علماءِ بني إسرائيلَ أُوتِيَ علمَ بعضِ كُتُبِ اللهِ[1]، وقيل: هو من الكنعانيِّين[2]، واسمُه بَلْعَمُ بنُ باعورا[3] ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآياتِ بأَن كَفَرَ بها ونَبَذَها وراءَ ظهرِه ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ فلَحِقَه الشيطانُ وأَدْرَكَه وصارَ قريناً له، أَو فأَتْبَعَه خُطُواتِه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ أَي: من الضالِّين الكافرين.

← لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٤٢١.

(١) وعليه مذهب الجمهور. انظر التبيان: ج ٥ ص ٣١.

(٢) قاله علي بن أبي طلحة ومقاتل قال: هو من مدينة بلقاء. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٣. وقال ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٢٥٤: قال قتادة عن كعب: كان رجلاً من أهل البلقاء يعلم الاسم الاكبر وكان مقيماً ببيت المقدس مع الجبّارين.

(٣) وهو قول ابن عبّاس وابن مسعود ومجاهد. راجع تفسير ابن عباس: ص ١٤١، وتفسير مجاهد: ص ٣٤٧، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٧٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٣. وفي تفسير القمي: ج ١ ص ٢٤٨: أنّها نزلت في بلعم بن باعورا وكان من بني إسرائيل، وحدثني أبي عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام: أنّه أعطي الاسم الأعظم، فكان يدعو به فيستجاب له، فمال الى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادعو الله على موسىٰ وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسىٰ وأصحابه، فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماتضربني؟ أتريد أجيء معك لتدعو على موسىٰ نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتىٰ قتلها وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه.

قالَ الباقرُ عليه السلام: «الأَصلُ فيه بَلْعَمُ ثمَّ ضَرَبَه اللهُ مثلاً لكلِّ مُؤْثِرٍ هواه على هُدى اللهِ من أَهلِ القبلةِ»(١).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا﴾ أي: لعَظَّمْناه ورَفَعْناه إلىٰ منازل الأبرارِ من العلماءِ بتلك الآياتِ ﴿وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مالَ إلى الدُنيا ورَغِبَ فيها، وإنَّما عَلَّقَ رفعَه بمشيئَةِ اللهِ تعالىٰ ولم يُعَلِّقْه بفعلِه الَّذي يَسْتَحِقُّ بِه الرَفعَ؛ لأَنَّ مشيئَةَ اللهِ رفعَه تابعةٌ للزومِه الآياتِ فذُكِرَت المشيئَةُ والمرادُ ماهي تابعةٌ له، فكأَنَّه قيلَ: ولو لَزِمَها لَرَفَعْناه بها، أَلا ترىٰ إلىٰ قولِه: ﴿وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فَاسْتَدْرَكَ المشيئَةَ بإخلادِه الَّذي هو فعلُه، فَوَجَبَ أَن يكونَ ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في معنى ماهو فعلُه ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ أَي: فصفتُه كصفةِ الكلبِ في أَخَسِّ أَحوالِه، وهي حالُ دوامِ اللَهثِ به واتِّصالِه، سَواءٌ حُمِلَ عليه أَي: شُدَّ عليه وهُيِّجَ فطُرِدَ أَو تُرِكَ غيرَ محمولٍ عليه، وذلك أَنَّ سائِرَ الحَيَوانِ لايكونُ منه اللَهثُ إلَّا إذا هُيِّجَ وحُرِّكَ وإلَّا لَمْ يَلْهَثْ، والكلبُ يَتَّصِلُ لهثُه في الحالتَيْن جميعاً، فكان حقُّ الكلامِ أَن يُقالَ: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرضِ فحَطَطْناهُ، ولكن تمثيلُه بالكلبِ في أَخَسِّ أَحوالِه في معنىٰ ذلك، ومحلُّ الجملةِ الشَرطيَّةِ النَصبُ على الحالِ، كأَنَّه قيل: كمثل الكلبِ ذليلاً دائِمَ الذلَّةِ لاهثاً في الحالَيْن.

وقيل: إنّ بَلْعَمَ طَلَبَ منه قومُه أَن يَدْعُوَ علىٰ موسىٰ ومن معه، فأَبى وقال: كيف أَدْعوا علىٰ من معه الملائِكةُ! فأَلَحُّوا عليه حتَّى فَعَلَ، فَخَرَجَ لسانُه فوَقَعَ علىٰ صدرِه وجَعَلَ يَلْهَثُ كما يَلْهَثُ الكلبُ(٢) ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

---

(١) التبيان: ج ٥ ص ٣٢.

(٢) وهو ماقاله ابن عبّاس وابن إسحاق والسدي في رواياتهم عنه. انظر تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٣ ـ ٢١٤، وتفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ من اليهودِ بعدَ ماقَرَأوا نعتَ رسولِ اللهِ ﷺ في التَوراةِ، وبَشَّرُوا النَاسَ بقربِ مبعثِه وَكانُوا يَسْتَفْتِحون به ﴿فَاقْصُصِ﴾ قَصَصَ بَلْعَمَ الَّذي هو نحوُ قَصَصِهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيحذَرون مثلَ عاقبتِه إذا ساروا بسيرتِه وزاغوا شبهَ زَيْغِه، ويَعْلَمُونَ أَنَّكَ عَلِمْتَه من جهةِ الوحي فتَزْدادُ الحجَّةُ لزوماً لهم ﴿سَآءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ﴾ أَي: مثلُ القومِ ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ تقديمُ المفعولِ به للاختصاصِ، فكأنَّه قيل: وخَصُّوا أَنْفُسَهم بالظُّلمِ لم يَتَعَدَّها إِلىٰ غيرِها ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ فهو محمولٌ على اللفظِ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ محمولٌ على المعنىٰ.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١)

أَي: خَلَقْنا ﴿كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ علىٰ أَنَّ مصيرَهم إِلىٰ جهنَّمَ بسوءِ اختيارِهم، وهم الَّذين عَلِمَ اللهُ أَنَّه لالطفَ لهم، جَعَلَهم سبحانه في أَنَّهم لايَتَدَبَّرون أَدلَّةَ اللهِ وبيِّناتِه بعقولِهم، ولايَنْظُرون إِلىٰ مخلوقاتِه نظرَ اعتبارٍ، ولايَسْمَعون مايُتْلَىٰ عليهم من المَواعظِ والأَذكارِ، ولايأْتي منهم إِلَّا أَفعالُ أَهلِ النارِ مَخلوقينَ للنَارِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ في عدمِ التَدبُّرِ والتفكُّرِ والنَظرِ للاعتبارِ ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإِنَّ البهائِمَ إِذا زُجِرَتْ انْزَجَرَتْ وإِذا أُرْشِدَت إِلى طريقٍ اهْتَدَتْ، وهؤلاءِ لايَهْتَدون إِلىٰ شيءٍ من أُمورِ الدياناتِ مع ماركِّبَ فيهم من العقولِ الدَالَّةِ على الرَشادِ الصَارِفةِ عن العنادِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلةِ

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الَّتي هي أَحسنُ الأَسماءِ؛ لأَنَّها تَتَضَمَّنُ معانيَ حَسَنَةً، بعضُها يَرْجِعُ إِلىٰ صفاتِ ذاتِه كالعالمِ والقادرِ والحيِّ والإِلـٰهِ، وبعضُها يَـرْجِعُ إِلىٰ صفاتِ فعلِه كالخالقِ والرَّازقِ والبارئ والمُصَوِّرِ، وبعضُها تُفيدُ التَمجيدَ والتَقديسَ كالقُدُّوسِ والغنيِّ والواحدِ[١] ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فَسَمُّوه بتلك الأَسماءِ ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ أَي: واُتْرُكُوا الَّذين يَعْدِلون بأَسمائِه عمَّا هي عليه فيُسَمُّون بها أَصنامَهم، أَو يَصِفونَه بمالايَليقُ به ويُسَمُّونه بمالايَجوزُ تَسْمِيَتُه به[٢] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّه كان يَقولُ إِذا قَرَأَها: «هـٰذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمُ بَيْنَ أَيْديكم مثلَها ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ الآية»[٣].

وعن عليٍّ عليه السلام قال: «والَّذي نفسي بيدِه، لتَفْتَرِقَنَّ هـٰذِهِ الأُمَّـةُ عـلىٰ ثـلاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةً، كلُّها في النَارِ إِلَّا فرقةً ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ الآيـة،

---

(١) قال العلّامة الطباطبائي رحمه الله: تنقسم الصفات الواجبية بالقسمة الأولية الى ماتكفي في ثبوته الذات المتعالية من غير حاجة إلىٰ فرض أمر خارج كحياته تعالى وعلمه بنفسه وتسمى الصفة الذاتية، ومالايتمّ الاتصاف به إلّا مع فرض أمر خارج من الذات كالخلق والرزق والاحياء وتسمّى الصفة الفعلية، والصفات الفعلية كثيرة وهي على كثرتها منتزعة من مقام الفعل ... الى أن قال: فلننظر في أقسام الصفات ونحو اتصافه فنقول: تنقسم الصفة الى ثبوتية كالعالم والقادر وسلبية تفيد معنى سلبياً ... الى أن قال: ثم الصفات الثبوتية تنقسم الى حقيقية كالعالم وإضافية كالقادرية والعالمية، وتنقسم الحقيقية الى محضة كالحيّ وحقيقية ذات إضافة كالعالم بالغير ... الى آخر قوله الشريف. راجع بداية الحكمة: المرحلة الثانية عشر الفصل الرابع في صفات الواجب الوجود تعالىٰ ومعنى اتّصافه بها.

(٢) انظر مبحث: هل أسماء الله توقيفية؟ ضمن مباحث الإلهيات التي بحثها الأستاذ السبحاني وتعرّض لها وفصّل، تجد تفصيل أقوال المتكلمين المسلمين فيها، وأشبع الردّ عليها وبيان الحقّ منها.

(٣) رواها الطبري باسناده: ج ٦ ص ١٣٤ ح ١٥٤٧١، وابن الجوزي في زاد المسير: ج ٣ ص ٢٩٤. والآية: ١٥٩ من سورة الأعراف.

فهذه الَّتي تَنْجو»[١].

وعن الباقرِ والصّادقِ عليهما السلام أنّهما قالا: «نَحْنُ هُمْ»[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨٦)

الاستدراجُ من الدَّرَجةِ بمنزلةِ الاستصعادِ والاستنزالِ درجةً بعدَ درجةٍ، والمعنىٰ: سَنَسْتَدْنيهم قليلاً قليلاً إلى الهلاكِ حتَّى يَقَعوا فيه بغتةً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مايُرادُ بهم ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ وهو داخلٌ في حكمِ السينِ ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ سمّاه كَيْداً لأنَّه شبيهٌ بالكيدِ؛ لأنّه في الظّاهرِ إحسانٌ وفي الحقيقةِ خِذلانٌ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ هؤلاءِ الكفّارُ فيَعْلَموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: جنونٍ، وكانوا يَقولون: شاعِرٌ مَجْنُونٌ، وعن قَتادةَ: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله علا الصَفا فدعاهم فَخْذاً فَخْذاً يُحَذِّرُهم بأسَ اللهِ، فقال قائلُهم: إنَّ صاحبَكم هذا لَمَجنونٌ بات يُهَوِّتُ[٣] إلى الصباحِ[٤] ﴿أَوَلَمْ

(١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٣ ح ١٢٢، وعنه تفسير البرهان: ج ٢ ص ٥٢ ـ ٥٣، والبحار: ج ٨ ص ٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤١٤ ب ١٠٨ ح ١٣، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١٢٠ و ١٢١، وعنه تفسير البرهان: ج ٢ ص ٥٢، والبحار: ج ٧ ص ١٢٠، وإثبات الهداة: ج ٣ ص ٥٠.

(٣) هوَّت به تهويتاً: أي صاح. (القاموس المحيط: مادة هوت).

(٤) أُنظر تفسير الطبري: ج ٦ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ح ١٥٤٧٢، والكشّاف: ج ٢ ص ١٨٢.

﴿يَنظُرُواْ﴾ نَظَرَ استدلالٍ ﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيما يَدُلّان عليه من عِظَمِ المُلكِ ﴿وَمَاخَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ وفيما خَلَقَ اللهُ مِمَّا يَقَعُ عليه اسمُ الشَيءِ من أَجناسِ خلقِه الَّتي لايَحْصُرُها العَدَدُ، ﴿وَ﴾في ﴿أَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ ولعلَّهم يَموتون عن قريبٍ فيُسارِعُوا إلى النَظرِ فيما يُنْجِيهم قبلَ مُغافَصَةِ(١) الأجلِ، و ﴿أَنْ﴾ هذه مخفَّفةٌ من الثَقيلةِ، وأَصلُه: وأَنَّه عسىٰ، علىٰ أنَّ الضَميرَ ضميرُ الشَأنِ(٢) ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أَي: بعدَ القرآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ والمعنىٰ: لعلَّ أَجلَهم قد اقْتَرَبَ فمالَهم لايُبادِرون إلى الإيمانِ بالقرآنِ قبلَ الفوتِ؟! وَبِأَيِّ حَدِيثٍ أَحقُّ منه يُريدون أَن يُؤْمِنوا؟! وقُرِئَ: ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياءِ والنُونِ وبالرَفعِ(٣) والجزمِ(٤)، والرَفعُ على الاستئْنافِ، والجزمُ عطفٌ علىٰ محلِّ ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ كأَنَّه قيلَ: مَنْ يُضْلِلِ اللهُ لايَهْدِه أَحدٌ ويَذَرْهم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَايُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَاتَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّآأَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلَاضَرّاً إِلَّامَاشَآءَٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ

---

(١) في نسخة: مفاوضة. والمغافصة: المفاجأة والأخذ على غِرّة. (القاموس المحيط: مادة غفص).

(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٨٩.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع (الحرميان) وابن عامر بالنون والرفع. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٨٥، والعنوان في القراءات السبع لابن خلف: ص ٩٨.

(٤) وقرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم بروايةٍ بالياء والجزم. راجع التبيان: ج ٥ ص ٤٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٨٥.

أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَامَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٨)

الساعةُ: من الأَسماءِ الغالبةِ كالنَجمِ للثُريَّا، وسُمِّيَت القيامةُ بالسَاعةِ لوقوعِها بغتةً، أَو لأَنَّها علىٰ طولِها عندالله كساعةٍ من ساعاتِ الخلقِ[١]، و ﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى، وقيل: اشتقاقُه من أَيٍّ؛ لأَنَّ معناه أَيُّ وقتٍ[٢]، و ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ إِرساؤُها أَو وقتَ إِرسائِها أَي: إِثباتِها، ورُسُوُّ كلِّ شيءٍ ثَباتُه واستقرارُه، والمعنىٰ: متى يُرْسِيها اللهُ؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ أَي: علمُ وقتِ إِرسائِها عندَه قد اسْتَأْثَرَ به لم يُخْبِرْ أَحداً من خلقِه ليكونَ العبادُ علىٰ حَذَرٍ منه، وذلك أَدْعَىٰ لهم إِلى الطَاعةِ وأَزْجَرُ عن المعصيةِ، كما أَخْفىٰ سبحانَه وقتَ الموتِ لذلك ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أَي: لاتزال خفيَّةً لايَكْشِفُ خفاءَ علمِها إِلَّا هو وحدَه إِذا جاءَ بها في وقتِها ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَي: أَهَمَّ شَأْنُ السَاعةِ أَهلَ السماواتِ والأَرضِ من الملائكةِ والجنِّ والإِنسِ، فكلٌّ منهم يَوَدُّ أَن يَتَجَلَّىٰ له علمُها وشَقَّ عليه خَفاؤُها وثَقُلَ عليه[٣]، أَو ثَقُلَتْ فيهما لأَنَّ أَهلَيْهما يَتَوَقَّعُونها ويَخافون شدائِدَها وأَهوالَها[٤] ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أَي: فُجاءَةً علىٰ غفلةٍ منكم.

وفي الحديثِ: «إِنَّ السَاعةَ تَهيجُ بالنَاسِ والرَجلُ يُصْلِحُ حوضَه، والرَجلُ

---

(١) انظر تفصيله في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٩٠.

(٢) قاله ابن جنّي على ماحكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٣، والرازي في تفسيره: ج ١٥ ص ٨٠.

(٣) وهو قول السدي على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٥ ص ٤٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٨٥، واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٩٩، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٥.

(٤) وهو قول ابن جريج علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٥ ص ٤٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٨٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٩٣.

يَسْقي ماشيتَه، والرَجلُ يُقَوِّمُ سِلعتَه في سوقِه، والرَجلُ يَخْفَضُ ميزانَه ويَرْفَعُه»[١].

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أَي: كأَنَّكَ عالمٌ بها، وأَصلُه: كأَنَّك أَحْفَيْتَ في السُؤالِ عنها حتَّىٰ عَلِمْتَها، أَي: اسْتَقْصَيْتَ وأَلْحفْتَ، وقيل: إِنَّ ﴿عَنْهَا﴾ يَتَعَلَّقُ بـ ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ أَي: يَسأَلونك عنها كأَنَّكَ حَفِيٌّ أَي: عالمٌ بها[٢]، وقيل: كأَنَّكَ حَفِيٌّ بالسُؤَالِ عنها تُحِبُّه وتُؤْثِرُه[٣]، يعني: أَنَّك تَكْرَهُ السُؤَالَ عنها لأَنَّه من علمِ الغيبِ الّذي اسْتَأْثَرَ اللهُ به ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّه المختصُّ بالعلمِ بها[٤] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ هو إِظهارُ العبوديَّةِ، أَي: أَنَا عبدٌ ضعيفٌ لاأَمْلِكُ لِنَفْسِي اجتلابَ نفعٍ ولادفعَ ضررٍ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ﴾ رَبِّي ومالكي من النَفعِ لي والدفعِ عنّي ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ لكانت حالي علىٰ خلافِ ماهي عليه، فَكُنْتُ أَسْتَكْثِرُ

---

(١) الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٤، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشّاف لابن حجر: ص ٦٦.

(٢) قاله ابن‌عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٤٣، وحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٨٥.

(٣) نسب السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٨٧ هذا القول الى مقاتل، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٦٢١ عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) قال الجبائي: وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة من أنّ الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر الى يوم القيامة؛ لأنّ علىٰ هذا لابد أن يعلم آخر الأئمة انّ القيامة تقوم بعده ويزول التكليف عن الخلق، وذلك خلاف قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قال الشيخ الطوسي ﷺ: وهذا الذي ذكره باطل؛ لأنّه لايمتنع أن يكون آخر الأئمة يعلم انّه لاإمام بعده وإن لم يعلم متى تقوم الساعة، لأنّه لايعلم متىٰ يموت، فهو يجوّز أن يكون موته عند قيام الساعة إذا أردنا بذلك أنّه وقت فناء الخلق، وإن قلنا: إنّ الساعة عبارة عن وقت قيام الناس في الحشر فقد زالت الشبهة؛ لأنّه إذا علم أنّه يغني الخلق بعده لايعلم متىٰ يحشر الخلق، على أنّه قد روي أنّ بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف لظهور أشراط الساعة وتواتر أماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة، ولهذا قال الحسن وجماعة من المفسّرين: بادروا بالتوبة قبل ظهور الست: طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة ....، وغير ذلك ممّا قدّمناه، فعلىٰ هذا سقط السؤال. انظر التبيان: ج ٥ ص ٤٩.

المنافعَ وأَجْتَنِبُ المضارَّ ولم أكنْ غالباً مَرَّةً ومغلوباً أُخرىٰ في الحروبِ ورابحاً وخاسراً في المتاجرِ ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا﴾ عَبْدٌ أُرْسِلْتُ بشيراً ونَذيراً، وما من شأني علمُ الغيبِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ (١٩٣)

﴿خَلَقَكُم﴾ خطابٌ لبني آدمَ ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفسُ آدمَ عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حوَّاءُ خَلَقَها من جسدِ آدمَ من ضلعٍ من أضلاعِه أَو من جنسِها كقولِه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً﴾[1]، ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ لِيَطْمئِنَّ إِلَيْها ويأْنَسَ بها؛ لأَنَّ الجنسَ إِلى الجنسِ أَميلُ وبه آنَسُ، وذُكِّرَ ﴿لِيَسْكُنَ﴾ ذهاباً إِلىٰ معنى النَّفسِ ليَتَبَيَّنَ أَنَّ المرادَ بها آدمُ، ولأَنَّ الذكَرَ هو الَّذي يَسْكُنُ إِلى الأُنثىٰ ويَتَغَشَّاها، والتَغَشِّي كنايةٌ عن الجماعِ، وكذلك الغِشيانُ والإِتيانُ ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً﴾ وهو الماءُ الَّذي حَصَلَ في رَحِمِها خَفَّ عليها ولم تَسْتَثْقِلْه ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ أَي: استمرَّت بالحملِ على الخِفَّةِ وقامَتْ بِه وقَعَدتْ كما كانَتْ قبلَ ذلك، لم يَمْنَعْها الحملُ عن شيءٍ من التَصرُّفِ ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أَي: حانَ وقتُ ثقلِ حملِها كما يقال: أَقْرَبَتْ[2]

---

(١) النحل: ٧٢.

(٢) أقربت الحامل: قرب ولادها فهي مُقرِب. (أقرب الموارد: مادة قرب).

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ﴾ أَي: دعا آدمُ وحوَّاءُ ربَّهما ومَالِكَ أَمرِهما الَّذي هو الحقيقُ بأَن يُلْتَجَأَ إِليه فقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحاً﴾ لئِن وَهَبْتَ لنا ولداً سويّاً قد صَلُحَ بدنُه وبَرِئَ، وقيل: ولداً ذكراً[١] لأَنَّ الذُكورةَ من الصَّلاحِ والجَودةِ، والضميرُ في ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾ و ﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لهما ولكلٍّ من يَتَناسَلُ من ذرِّيَّتِهما ﴿فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا﴾ ماطَلَباه من الولدِ الصَّالحِ السَويِّ ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ﴾ أَي: جَعَلَ أَولادُهما له شركاءَ، على حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إِليه مقامَه، وكذلك ﴿فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا﴾ أَي: آتىٰ أَولادَهما[٢]، وقد دَلَّ علىٰ ذلك قولُه: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيثُ جَمَعَ الضَميرَ، ومعنىٰ إِشراكِهم فيما آتاهم اللهُ: تَسْمِيَتُهم أَولادَهم بعبدِ العُزَّى وعبدِ مناة وعبدِ يَغُوثَ وما أَشْبَهَ ذلك مكانَ عبدِاللهِ وعبدِالرَحمن، وقُرِئَ: «جَعَلا لَهُ شِرْكاً»[٣] أَي: ذوي شركٍ وهم الشُركاء.

وفي الآيةِ وجهٌ آخَرُ: وهو أَن يكونَ الخطابُ لقريشٍ وهم آلُ قُصَيٍّ، أَي: خَلَقَكم من نفسِ قُصَيٍّ وجَعَلَ من جنسِها زوجَها عربيَّةً قرشيَّةً، فلمَّا آتاهما ماطَلَبا من الولدِ الصَالحِ السَويِّ جَعَلا له شركاءَ فيما آتاهما حيثُ سَمَّيا أَولادَهما الأَربعةَ بعبدِ منافٍ وعبدِ العُزَّىٰ وعبدِ قُصَيٍّ وعبدِ الدَارِ[٤].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَالَا﴾ يَقْدِرُ علىٰ خَلقِ شَيْءٍ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأَنَّ عَبَدَتَهم يَخْلُقُونَهم فهم أَعجزُ من عَبَدَتِهم ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لَعَبَدَتِهم ﴿نَصْراً وَلَآ أَنفُسَهُمْ

---

(١) وهو قول الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٩٥، وحكاه عنه ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) وهو مذهب الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٧.

(٣) وهي قراءة نافع وعاصم برواية أبي بكر وعكرمة والأعرج. راجع التبيان: ج ٥ ص ٥١، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٦٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٩.

(٤) قال هذا الوجه سعيد بن جبير والحسن وعكرمة. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٩٦، والتبيان: ج ٥ ص ٥٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢١، والدرالمنثور: ج ٣ ص ٦٢٦.

يَنصُرُونَ﴾ فيدْفعون عنها مايَعْتَريها من الحوادثِ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أَي: إِلىٰ ماهو هدىً، أَو إِلىٰ أَن يَهْدوكم[1] ﴿لَايَتَّبِعُوكُمْ﴾ إِلىٰ مرادِكم وطَلِبَتِكم، ولايُجيبوكم كما يُجِيبُكم اللهُ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ﴾ صَمَتُّمْ عن دعائِهم في أَنَّه لافلاحَ معهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَاتُنظِرُونِ﴾ (١٩٥)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ تعْبُدونَهم وتُسَمُّونَهم آلهةً ﴿مِن دُونِ ٱللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ استهزاءٌ بهم، أَي: نهايةُ أَمرِهم أَن يكونوا أَحياءً عقلاءَ، فإِن ثَبَتَ ذلك فهم عبادٌ أَمثالُكم لاتفاضُلَ بينَكم ﴿فَادْعُوهُمْ﴾ في مُهِمَّاتِكم ولصرفِ الأَسواءِ عنكم، ثمَّ أَبْطَلَ أَن يكونوا عباداً أَمثالَهم بقولِه: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ ثمَّ قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ واستَعينوا بهم في عَداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِـ﴾ـي جميعاً أَنتم وشركاؤُكم ﴿فَلَاتُنظِرُونِـ﴾ـي فإِنِّي لاأُبالي بكم، وهذا لايَقولُه إِلَّا مَن هو واثقٌ بعصمةِ اللهِ، وكانوا قد خَوَّفُوه بآلهتِهم فأُمِرَ أَن يُجِيبَهم بذلك.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩٦) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَايَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآأَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَايَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) أُنظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٨.

ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ (١٩٩)

﴿إِنَّ﴾ ناصِري وحافِظي ودافعَ شرِّكم عنِّي ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾ القرآنَ وأَعزَّني برسالتِه ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ ومن عاداتِه أن يَنْصُرَ المُطيعين له الصَالِحينَ من عبادِه ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أَي: يُشْبِهون النَـاظِرين إليك لأَنَّـهم صَـوَّرُوا أَصنامَهم بصُورةِ مَن يُقَلِّبُ حَدَقَتَه إلى الشيءِ ليَـراه ﴿وَهُـمْ لَايُـبْصِرُونَ﴾ وهـم لايُدرِكون المَرئيَّ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أَي: خُذْ ماعَفاك من أَفـعالِ النَـاسِ وأَخـلاقِهم ومايَأْتي منهم من غيرِ كلفةٍ، ولاتُداقِّهم، واقْبَلِ الميسورَ منهم [١]، ونحوُه قولُهعليه السلام: «يَسِّروا ولاتُعَسِّروا» [٢]، أَمَرَ سبحانَه بالتَسامحِ وتـركِ الاسـتقصاءِ فـي القـضاءِ والاقتضاءِ ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروفِ والجَميلِ من الأَفعالِ والحَميدِ من الخِصالِ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ ولا تُكافِئِ السُفَهاءَ بـمثلِ سَـفَهِهم، وأَعْـرِضْ عـمَّا يَسوؤُك منهم.

وقيل: إنّه لمّا نَزلَت الآيةُ سَأَلَ جَبْرئيلَ، فقال: «لاأَدري حتّى أَسْأَلَ»، ثمَّ أَتاه فقال: «يا محمَّدُ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَن تَصِلَ من قَطَعَكَ، وتُعْطِيَ مَن حَرَمَكَ، وتَعْفُوَ عمَّن ظَلَمَكَ» [٣].

وعن الصَادقِعليه السلام: «أَمَرَ اللهُ نَبيَّه بمَكارِمِ الأَخْلاقِ، وَلَيْسَ فِـي القُـرآنِ آيـةٌ أَجْمَعُ لِمَكارِمِ الأَخْلاقِ مِنْها» [٤].

---

(١) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٩٦، وأبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٣٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) مسند أحمد: ج ٤ ص ٤١٧، السنن الكبرىٰ للبيهقي: ج ٨ ص ١٥٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ٦ ص ١٥٤ من طريق سفيان بن عيينة عن أُمَيّ، والسيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٦٢٨ وعزاه الى ابن مردويه عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة، والسمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٩٠ باسناده عن سفيان عن أبي هريرة.

(٤) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ١٩٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٣٤٥.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَـٰذَا بَصَآئِرُ من رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠٣)

﴿وَإِمَّا﴾ يَنْخَسَنَّكَ ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ نخسٌ في القلبِ يُوَسْوِسُكَ على خلافِ ماأُمِرْتَ به ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ ولاتُطِعْه، وجُعِلَ النَزغُ نازغاً مثلُ قولِهم: جَدَّ جِدُّه، والنَزغُ والنَسغُ والنَخسُ بمعنىً، كأنَّه يَنْخَسُ الإنسانَ حينَ يُغْرِيه على المَعاصي، وقُرِئَ: «طَيْفٌ»[1] و ﴿طَـٰٓئِفٌ﴾ وهو مصدرُ قولِهم: طافَ به الخيالُ يَطيفُ طَيْفاً، أَو هو تخفيفُ طَيِّفٍ فَيْعِلٌ من طافَ يَطيفُ كَلَيِّنٍ، أَو من طافَ يطوفُ كهَيِّنٍ[2]، وهذا تأكيدٌ وتقريرٌ لما تَقَدَّمَ من وجوبِ الاستعاذةِ باللهِ عند نزغِ الشَيطانِ، وأَنَّ المتَّقين هذه عادتُهم ﴿إِذَا﴾ أَصابَهم أدنى لَمَّةٍ[3] ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ ماأَمَرَ اللهُ به ونَهىٰ عنه فأَبْصَرُوا الرُشْدَ ودَفَعوا الوَسْوَسَةَ ﴿وَ﴾ أَمَّا إِخْوانُ الشَياطينِ الَّذين ليسوا بمتَّقين فإِنَّ الشَياطينَ ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ أَي: يكونون مَدَداً لهم ويزيدونهم فيه، وقُرِئَ: «يُمِدُّونهم»[4] من

(١) وهي قراءة ابن كثير والبصريّين (أبي عمرو ويعقوب) والكسائي. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٤، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٩٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٣٠١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٣٠، وفي تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣٤٩: هذه قراءة أهل البصرة وأهل مكّة.

(٢) راجع تفصيل ذلك في إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٧١، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٩٨.

(٣) يقال: أصابته من الجنّ لَمّة أي مسٌّ. (القاموس المحيط: مادة لمم).

(٤) قرأه نافع وحده. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٥، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٩٠، وكتاب ←

الإمدادِ[١]، وفي الشَواذّ: «يُمادُّونَهم»[٢] والمعنىٰ: يُعاوِنونهم ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أَي: لايُمْسِكُونَ عن إِغوائِهم حتّىٰ يُصِرُّوا ولايَرْجِعُوا، وقولُه: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ كقولِ الشَاعِرِ:

قَوْمٌ إذا الْخَيْلُ جالُوا فِي كَوائِبِها[٣]

في أَنَّ الخبرَ جَرَىٰ علىٰ غيرِ مَن هو له، ويجوزُ أَن يُرادَ بالإِخوانِ: الشَياطينُ ويَرْجِعَ الضَميرُ إِلىٰ ﴿ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ فيكونَ الخبرُ جارياً علىٰ من هو له[٤]، والأَوَّلُ أَوْجَهُ؛ لأَنَّ ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾ في مقابلةِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾، وجازَ جمعُ الضَميرِ في ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾ والشيطانُ مفردٌ لأَنَّ المرادَ به الجنسُ، فهو كقولِه: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾[٥]، ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ مُقْتَرَحَةٍ ﴿قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ اجْتَبَى الشَيءَ: إِذا جَباه لِنَفسِه بمعنىٰ جَمَعَه، كقولِه: «اجْتَمَعْتُه»: أَوجَبَى إِليه فاجْتَباه أَي: أَخَذه، والمعنىٰ: هلَّا اجْتَمَعْتَها افتعالاً من عندِ نفسِك لأَنَّهم كانوا يَقُولُون: «إِنْ هـٰذا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً»، أَو هلَّا أَخَذْتَها مُنْزَلَةً عليك مُقْتَرَحَةً ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَايُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾ ولستُ بمفتعلٍ للآيات، أَولستُ بمقترحٍ لها ﴿هَـٰذَا بَصَآئِرُ﴾ أَي: هـذا

← السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٣٠١، وفي إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٧٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢٥: هي قراءة أهل المدينة.

(١) قال النحّاس: وجماعة من أهل اللغة ينكرون هذه القراءة منهم أبو حاتم وأبو عبيد، قال أبو حاتم: لاأعرف لها وجهاً إلاّ أن يكون المعنىٰ: يزيدونهم من الغيّ، وهذا غير مايَسبق الى القلوب. انظر إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) وهي قراءة عاصم والجحدري. راجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٧٢، ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٥٣.

(٣) وعجزه: فوارس الخيل لاميل ولاقدم. لم نعثر علىٰ قائله فيما توفّرت لدينا من مصادر، وأنشده الزمخشري في الكشاف: ج ٢ ص ١٩١.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٩٩.

(٥) البقرة: ٢٥٧.

القرآنُ حُجَجٌ بَيِّنَةٌ ودلائِلُ واضحةٌ يَعودُ النّاسُ بها بُصَراءَ بعدَ العمىٰ، أَو هو بمنزلةِ بصائرِ القلوبِ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٢٠٦)

هذا بظاهره يوجِبُ استماعَ القرآنِ والإنصاتِ له وقتَ قِراءَتِه في الصلاةِ وغيرِ الصلاةِ، وقيل: إنَّه في الصلاةِ خاصَّةً خلفَ الإمامِ الَّذي يُؤْتَمُّ به إذا سُمِعَتْ قِراءَتُه، وكانَ المُسلمون يَتَكَلَّمون في الصَلاةِ فَنَزَلَتْ[1]، ثُمَّ صارَ سنَّةً في غيرِ الصلاةِ أَن يُنْصِتَ القومُ في المجلسِ الَّذي يُقْرَأُ فيه القرآنُ[2]، وقيل: معناه: إذا تَلَىٰ عليكم الرَسولُ القرآنَ عندَ نزولِه ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[3].

قال الصادقُ عليه السلام: «إذا قُرِئَ عندَك القرآنُ وَجَبَ عليك الإنصاتُ والاستماعُ»[4].

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لِتُرْحَموا بذلك ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ هو عامٌّ في الأَذكارِ من قِراءَةِ القرآنِ والدُعاءِ والتَسبيحِ والتَهليلِ والتَحميدِ ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ أَي:

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي: ص ١٨٨ ـ ١٨٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢٦، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣٥٣.

(٢) وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة والزهري وعطاء وعبيدالله بن أبي عمير ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحّاك وإبراهيم والشعبي وابن عبّاس وابن زيد، واختاره الجبائي. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٧، وزاد في تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣٥٣: عمرو بن دينار وزيد بن أسلم والقاسم بن مخيمرة ومسلم بن يسار وشهر بن حوشب وعبدالله بن المبارك.

(٣) قاله الجبائي. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٨.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٤ ح ١٣٢، وعنه البرهان: ج ٢ ص ٥٧، والبحار: ج ١٨ ص ٦١٥ ـ ٦١٦.

متضرِّعاً وخائِفاً ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ ومتكلِّماً كلاماً دونَ الجهرِ؛ لأَنَّ الإخفاءَ أَدْخَلُ في الإخلاصِ وأَبْعَدُ من الرياءِ وأَقْرَبُ إلى القبولِ ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ بالغَدَواتِ والعَشِيَّاتِ لفضلِ هـٰذَيْن الوقتَيْن، وقيل: المرادُ به دوامُ الذِكرِ واتّصالُه[1] ﴿وَلَاتَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ عن ذكرِاللهِ اللاهين عنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ وهم الملائِكةُ، والمعنيُّ في ﴿عِندَ﴾: دُنُوُّ المنزلةِ والزُلفةُ والقربُ من فضلِ اللهِ ورحمته؛ لتَوَفُّرِهم علىٰ طاعتِه ﴿لَايَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ مع جلالةِ قدرِهم وعلوِّ أمرِهم ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يُنَزِّهونه عمّا لايَليقُ به ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ويَختَصّونه بالسُجودِ والعبادةِ، وهذا أَوَّلُ سَجَداتِ القرآنِ[2].

۞ ۞ ۞

(١) قاله ابن عباس علىٰ ماحكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٥ ص ١٠٩.

(٢) قال الشيخ الطوسي: وهذه أول سجدات القرآن، وهي عندنا مستحبة غير واجبة، وفي ذلك خلاف بين الفقهاء. انظر التبيان: ج ٥ ص ٧٠.